الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر - باتنة -
كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين
نيابة العمادة لما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

وصايا القرآن الكريم

مضامينها وأهدافها

-دراسة في التفسير الموضوعي-

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير تخصص "كتاب وسنة"

إعداد الباحثة:
صورية العيادي

إشراف الأستاذ الدكتور :
أحمد رحماني

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ/د.عبد الحليم بوزيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
أ/د.أحمد رحماني	أستاذ التعليم العالي	كلية الدراسات الإسلامية والعربية -دبي-	مقررا
د. حسين شرفة	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضواً
د. هلال خزاري	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضواً

السنة الجامعية

1428هـ-1429هـ/2007م-2008م

إهداء

- إلى الشمعتين اللتين أنارتا لي الدرب فوصلت "أمي وأبي "حفظهما الله" .

- إلى زوجي الفاضل الذي تحمل معي أعباء هذه المذكرة فكان صابرا.

- إلى أخي الكريم الذي عاش معي أحداث البحث فكان سندا لي .

- إلى إخوتي وأخواتي :سليمان، ليلى، سليمة، صديقة، نعيمة، حياة، سعاد، منى، أسماء، مريم.

- إلى ولديّ وأبناء إخوتي.

- إلى كل أفراد عائلتي .

أهدي ثمرة جهدي.

"صورية"

شكر وتقدير

يسرني وأنا أقدم على ختام هذا البحث المتواضع أن أتقدم بالشكر والتقديرإلى:

- المشرف الأستاذ الدكتور "أحمد رحماني" الذي تفضل برعايته وليدا إلى غايةاكتماله ونضجه بارك الله فيه.
- هيئة إدارة كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية وطاقم المكتبة .
- كل الأساتذة الذين وجهوني بنصائحهم .
- كل الأخوات اللواتي قدمن لي يد المساعدة .
- كل من شجعني على مواصلة البحث.

مقـــــدمة

الحمدلله الذي تتم بفضله الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد أنزل الله القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وجعله منهاجا للفرد ودستورا للجماعة، وهو منهاج عملي يقتضي اتباع تعاليمه، فتضمن إصلاح الفرد من جميع جوانبه، وإصلاح المجتمع بكل فئاته، فقد حرص على دفع كل أنواع الظلم التي من شأنها أن تفسد العلاقات بين أفراد المجتمع ، كما حافظ على النوع البشري من الضياع ،وحدد العلاقة التي يجب أن تربط الأفراد بعضهم ببعض، ونهى عن اقتراف الآثام والفواحش المؤدية إلى تحطيم المجتمعات وإفسادها.

هذا ما جاء في جملة من الوصايا في سور متعددة في القرآن الكريم من أجل تكوين مجتمع مسلم صالح وتقوية الروابط الاجتماعية بين أفراده، ليرتفعوا عن أهل الشرك وانحطاطهم ، وليعيشوا في انتظام موحدين الله عز وجل، متحابين متآخين ،رحماء فيما بينهم .

أولا :موضوع البحث و إشكاليته

1-موضوع البحث:

"وصـــــايا القـــــرآن الكـــــريم"

" مضامينها وأهدافها"

- دراســـة في التفسير الموضـــوعي-

2- إشكالية البحث:

لما كان هدف الإنسان المنشود في الحياة هو العيش بسعادة في الدنيا والفوز بالجنان في الآخرة ،وضح الله عز وجل له سبيل تحقيق ذلك فأوصاه بجملة من الوصايا تسهم في تربية الأفراد وتماسك المجتمع ، بها تحافظ البشرية على سعادتها، لتعيش عيشة العزة والكرامة التي أرادها الله تعالى لها في الدارين.

فالإشكاليات المطروحة في هذا البحث هي:

- ما مفهوم الوصايا ؟وما شروط تنفيذها ؟

- ما هي مضامين الوصايا في القرآن الكريم؟
- هل هناك ترابط وتكامل بينها ؟
- ما هي النتائج التي تترتب عن الإخلال بها ؟
- ما جوانب إصلاح الفرد ضمن الوصايا؟
- ما جوانب إصلاح المجتمع ضمنها؟
- ما هي الأهداف التي تحققها من أجل إصلاح أحوال الفرد؟
- ما هي الأهداف التي تحققها من أجل إصلاح أحوال المجتمع؟

ثانيا :أهمية البحث وأسباب اختياره

1 - أهمية البحث:

نزل القرآن الكريم لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور والفوز بالدارين ،فمن أراد أن يحقق هذا ما عليه إلا أن يتبع وصايا خالق البشرية وهو يتلوها في كتابه العزيز ،فقد جمعت هذه الوصايا أصول الهداية التي تدركها الفطر وتسلم بها العقول، فمن أحاط بها وعمل بمقتضاها استقامت أحواله في الدنيا وصلح حاله في الآجل والعاجل، ونال رضوان الله تعالى، وعاش في مجتمع سوي ،راق ،منظم ،يعبد فيه الله حق عبادته ،وتحفظ فيه الحقوق وتوطد العلاقات بين أفراده وتقوى الروابط بينهم.

2-أسباب اختيار البحث:

سبب اختياري هذا البحث هو ميلي إلى الدراسات القرآنية، وبالضبط إلى منهج التفسير الموضوعي.
فاخترت موضوع وصايا القرآن الكريم، لأن الله تعالى أمرنا باتباع جملة من الوصايا لابد من الاستجابة لهذا الأمر.
ومن جانب آخر ضعف الوازع الديني بين أفراد المجتمع وكثرة عقوق الوالدين ،وأكل أموال اليتامى ،فقد تخلى أغلبية المسلمين عن آداب المعاملة فيما بينهم ،كما تخلوا عن واجباتهم تجاه أنفسهم ، وتجاه قراباتهم وعشائرهم ،مما أدى إلى فساد المجتمع واختلال النظام فيه .
كما رغبت في الإلمام بالموضوع في موضع واحد .

ثالثا:أهداف البحث

يهدف البحث إلى رسم صورة واضحة المعالم لموضوع وصايا القرآن الكريم ،ذلك أن القرآن تناولها في

آيات متفرقة في سور عديدة ،والبحث جمع هذه المواضع ليبرز العلاقة بينها ،في إطار نظرة عامة للموضوع .

كما تكمن أهداف البحث في معرفة الركائز والدعائم التي تقوم بها حياة صحيحة وصالحة للمجتمعات المسلمة ،فبتحقيق هذه الوصايا وتطبيقها تستقيم حياة البشرية فيعبد الله حق عبادته ويطاع الوالدان ويحسن إليهما ،كما تحفظ النفوس والأموال والأعراض والحقوق، وتعم الأخلاق الفاضلة والحميدة المجتمعات فتستقيم حياة البشرية .

رابعا:منهج البحث

منهج البحث هو منهج التفسير الموضوعي التجميعي، حيث قمت باستقراء الآيات المتعلقة بموضوع الوصايا من خلال سور القرآن الكريم ،وحاولت تقسيمها إلى مضامين ،ثم عملت على تفسيرها وتحليلها معتمدة آليات التفسير التحليلي ، مستعينة بكتب التفسيرواللغة ، مستأنسة بمعاجم الموضوعات والألفاظ في إيجاد موضوعات المضامين و العلاقة بينها ،انطلاقا من إشكالية البحث،آملة الوصول إلى رؤية قرآنية حول الموضوع ،متبعة هذا المنهج في الجزء الأول من البحث.

أما خلال الجزء الثاني وهو "أهداف وصايا القرآن الكريم "فقد أعدت تقسيم آيات الموضوع معتبرة في ذلك الأهداف التي ترمي إليها،فكانت الاستعانة بكتب التفسير وبعض كتب المقاصد ،من أجل الوصول إلى الأهداف التي حققتها وصايا القرآن الكريم.

خامسا:خطة البحث

قسمت خطة البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة فكانت كما يلي:

مقدمـــــــــــــــــــــــــة

الفصل الأول :مفاهيم أساسية

المبحث الأول :مفهوم الوصية وشروطها

المطلب الأول :مفهوم الوصية

المطلب الثاني :شروط الوصية

المبحث الثاني :قيمة الوصية وتأصيلها

المطلب الأول :قيمة الوصية

المطلب الثاني:تأصيل الوصية

الفصل الثاني: مضامين الوصية

المبحث الأول: المضمون العقدي

المطلب الأول: التواصي بالحق

المطلب الثاني: التواصي بالصبر

المطلب الثالث التوصية بالنهي عن الشرك

المطلب الرابع: التوصية بمراعاة علم غيب الله تعالى

المطلب الخامس التوصية بإقامة الدين

المطلب السادس: التوصية باتباع الصراط المستقيم

المبحث الثاني: المضمون الأخلاقي

المطلب الأول: التوصية بالتقوى

المطلب الثاني: التوصية بالوفاء بالعهد

المطلب الثالث: التوصية بالعدل في القول

المطلب الرابع: التوصية بالنهي عن التكبر

المطلب الخامس: التوصية بالاعتدال في المشي وفي الكلام

المطلب السادس: التوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب السابع: الوصية بالوفاء في الكيل والميزان

المطلب الثامن: وصية الميراث

المطلب التاسع: الوصية بالإحسان إلى الوالدين

المبحث الثالث: المضمون الاجتماعي

المطلب الأول: التواصي بالمرحمة

المطلب الثاني: التوصية بالنهي عن قتل الولد

المطلب الثالث: التوصية بالنهي عن قربان الفواحش

المطلب الرابع: التوصية بالنهي عن قتل النفس

المطلب الخامس: التوصية بالنهي عن قربان مال اليتيم

المبحث الرابع: مضمون العبادات

المطلب الأول: التوصية بإقامة الصلاة

المطلب الثاني: التوصية بإيتاء الزكاة

الفصل الثالث:أهداف وصايا القرآن الكريم

المبحث الأول :أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد

المطلب الأول :إصلاح العقائد

المطلب الثاني :إصلاح الأخلاق

المطلب الثالث:إصلاح اجتماعي ونفسي

المطلب الرابع :حفظ الحقوق المالية

المبحث الثاني :أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمع

المطلب الأول :إصلاح العقائد

المطلب الثاني :تقوية آصرة العائلة

المطلب الثالث:تقوية آصرة العشيرة

المطلب الرابع :انتظام المجتمع والدولة

خاتـــــــــــــــــمة

سادسا:أهم المصادر

أهم المصادر التي اعتمدت عليها في بحثي بعد كتاب الله تعالى ، كتب التفسير ،وأهمها :

1-التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

2-في ظلال القرآن لسيد قطب

3-التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي

4- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي

5-تفسير القرآن الحكيم رشيد رضا

والكتب المهتمة بألفاظ القرآن الكريم ،منها :

1- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي

2- مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني

وكتب المقاصد وأهمها:

1 مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور

2-المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ليوسف العالم

سابعا:صعوبات البحث

1 – البداية واختيار المنهج السليم بخطواته السليمة .

2 – صعوبة التعامل مع التفاسبر ،وانتقاء المهم منها .

3- قلة التفاسير التي تهتم بالنظرة الكلية لموضوعات القرآن ،فأكثرها يهتم بتفسير القرآن تفسيرا تحليليا تجزيئيا.

4- قلة المراجع الحديثة التي تخدم البحث في إطار منهج التفسير الموضوعي .

5- قلة المراجع المهتمة بأهداف القرآن .

الفصل الأول: مفاهيـــم أساســية

المبحث الأول: مفهوم الوصية وشروطها

المبحث الثاني:قيمة الوصية وتأصيلها

المبحث الأول :مفهوم الوصية وشروطها

المطلب الأول:مفهوم الوصية

أولا:مفهوم الوصية في اللغة

ترد الوصية في معاجم اللغة بالمعاني التالية:

الوصل والاتصال والعهد والفرض.

أ- الوصية بمعنى الوصل والاتصال:

يقول ابن فارس في أصل الفعل **وَصَّى**:" أصل يدل على: وصل شيء بشيء، ووصيت الشيء؛ وصلته، ويقال: وطئنا أرضا واصية: أي إن نبتها متصل قد امتلأت منه، ووصيت الليلة باليوم: وصلتهما، وذلك في عمل تعمله"[1].

وعلل ابن منظور سبب تسمية الوصية بهذا الاسم فقال:" والوصية ما أوصيت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت، وقيل لعلي عليه السلام: وصي، لاتصال نسبه وسببه وسمته"[2] .

ب- الوصية بمعنى العهد:

كما تأتي الوصية بمعنى العهد، حيث يقول الزبيدي:" وأوصاه إيصاء. ووصاه توصية، إذا عهد إليه، وفي الصحاح: أوصيت له بشيء وأوصيت إليه إذا جعلته وصيك، وأوصيته ووصيته توصية بمعنى"[3].

جـ- الوصية بمعنى الفرض:

قال ابن سيده: وقوله تعالى:{ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ}[4]معناه: يفرض عليكم، لأن الوصية من الله إنما هي فرض. والدليل على ذلك: قوله تعالى:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ {151}[5].

1- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة،تحقيق ضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ 1991م،ج6، ص116.انظر،بن فارس:مجمل اللغة،دراسة وتحقيق:زهير عبد المحسن سلطان،مؤسسة الرسالة ،ط2 :هـ1406 -1997م،ج3 ،ص927.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان،(د،ت،ط)، ج15، ص394.

3- محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ، تاج العروس، دار صادر، بيروت، (د،ت،ط)،ج10، ص392.

4- النساء : 11.

5- الأنعام: 151.

وتواصوا: أوصى بعضهم بعضا، وقوله عز وجل:{ أَتَوَاصَوْا بِهِ}[1] أي: أوصى به أولهم آخرهم، والألف للتوبيخ"[2].

د- معان أخرى للوصية:

" الوصاة والوصية: جريدة النخل يحزم بها، ويوصى: طائر"[3].

الاسم من الفعل **وَصَّى:**

يقول الفيروز آبادي:" والاسم: الوصاة والوصاية والوصية، وهو الموصى به أيضا، والوصيُّ: الموصي والموصى، وهي: وصيٌّ أيضا.ج أوصياء أو لا يثنى ولا يجمع"[4] .

عندما نتأمل المعنى اللغوي- للوصية- فإننا نخرج من ذلك بمجموعة من الاستنتاجات:

1- للفظ الوصية ثلاثة معان: الوصل والاتصال، والعهد، والفرض، والمعنيان الثاني والثالث مندرجان في المعنى الأول، لأن العهد: وصل واتصال بين الوصي والموصى له.

وكذلك الفرض؛ لأن الله عز وجل يفرض على عباده فرائض، فأنى لهم أن يتعرفوا عليها لولا هذا الوصل.

2- لا تكون الوصية إلا بين طرفين: الطرف الأول: الْمُوصي، الطرف الثاني: الموصى له، وبين الطرفين وصل.

3- تقوم الوصية على مرحلتين:

أ- مرحلة التوصية: حيث يقوم الوصي بالتوصية للموصى له وجعله وصيا له.

ب- مرحلة تنفيذ الوصية.

. يمكن تعريف الوصية في اللغة: بأنها كلام يوصل بين الموصي والموصى له.

---

1 - الذاريات: 53.

2 - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1421هـ 2000 م،ج8، ص395.

3-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي ، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان،(د،ت،ط)، ج4، ص400.

4 - المصدر نفسه.انظر،محمد فريد وجدي:دائرة معارف القرن العشرين ،دار المعرفة ،لبنان ،(د،ت،ط)، ج 10 ،ص 786.

ثانيا: مفهوم الوصية في الاصطلاح

بعدما تعرفنا على المعاني اللغوية للفظ الوصية، نورد مجموعة من التعريفات الاصطلاحية للعلماء والمفسرين:

1-تعريف الراغب الأصفهاني:"500هـ"

عرفها بأنها"التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ"[1].

2-تعريف الشيخ الألوسي:"1270هـ"

وعرفها الألوسي بقوله :"التوصية :التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة سواء كان حالة الاحتضار أو لا ، وسواء كان ذلك التقدم بالقول أو الدلالة وإن كان الشائع في العرف استعمالها في القول المخصوص حالة الاحتضار "[2] .

في هذا التعريف شرط أن تكون التوصية بفعل الصلاح والقربة أما ظروفها ،فإما أن تكون حالة الاحتضار أو سواها ،ووسيلتها قد تكون بالقول أو الدلالة وبين الألوسي الوصية الشائعة في العرف.

3 -تعريف الإمام محمد رشيد رضا:"1335هـ"

عرف محمد رشيد رضا الوصية فقال:" من الإيصاء والاسم الوصية وهي -كما أفهم من ذوق اللغة واستعمال أهلها في القديم والحديث- أنها ما تعهد به إلى غيرك من العمل في المستقبل القريب أو البعيد، يقولون: يسافر فلان إلى بلد كذا وأوصيته أو وصيته بأن يحضر لي معه كذا، ويقولون: وصيت المعلم بأن يراقب آداب الصبي ويؤدبه على ما يسيء به، ولكنهم لا يقولون في طلب الشيء الحاضر أو العمل: أوصيت ولا وصيت"[3].

اختار محمد رشيد رضا من المعاني اللغوية المعنى الثاني: العهد، وأسس عليه تعريفه، فحصر الوصية في العمل وشَرَط الزمن المستقبل سواء كان قريبا أم بعيدا. ورفض أن تكون في الزمن الحاضر، أي أنها تكون في حالة الحياة ،لا في حالة الموت .

---

[1] -الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن ،تحقيق صفوان عدنان داوودي ،دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت ،ط 3 :1423 هـ 2002 م، ص873 .

2 -محمود شكري الألوسي البغدادي ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ت،ط)،ج 1،ص389.

3 -محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ،ط1 :1420هـ،1999-،ج4،ص330.

- **تعريف محمد الطاهر بن عاشور:"1393هـ**

"عرفها محمد الطاهر بن عاشور بقوله:" الإيصاء: الأمر بشيء يفعل في غيبة الآمر فيؤكد على المأموربفعله، لأن شأن الغائب التأكيد، وأطلق الإيصاء على ما أمر الله به، لأن الناس لم يشاهدوا حين فعلهم ما يأمرهم به، فكان أمر الله مؤكدا فعبر عنه بالإيصاء تنبيها لهم على الاحتراز من التفويت في أوامر الله، ولذلك أطلق على أمر الله الإيصاء في مواضع كثيرة من القرآن كقوله:{ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ}[1]"[2].

وقال:" والوصية الأمر بفعل شيء أو تركه مما فيه نفع للمأمور أو الآمر في مغيب الآمر في حياته أو فيما بعد موته، وشاع إطلاقها على أمر بشيء يصلح بعد موت الموصي"[3].

أضاف بن عاشور على التعريفات السابقة عنصر التأكيد واستعمل مصطلح الآمر والمأمور ليبين أن الوصية كما تكون بين الأشخاص، تكون من الله عز وجل إلى عباده، وبين أن الوصية قد تكون بفعل شيء أو تركه نظرا للمنفعة المتوخاة من وراء ذلك.

من خلال التعريفات السابقة للوصية يمكن استنتاج ما يلي:

1- الوصية تكون في الزمن المستقبل.

2- الوصية تكون بفعل فيه صلاح وقربة ولا تكون بفعل فيه فساد ومضرة.

3- وسيلتها هي القول أو الدلالة.

4- ظروفها: تكون في حالة الاحتضار، وقد تكون في غيرها من الحالات (كالإقدام على مشروع ما).

5- تنفذ في غيبة الموصي.

6- قد تكون لفعل شيء أو تركه.

7- مقياس الفعل والترك فيها هو المنفعة سواء للموصي أو الموصى له.

8- لا ينبغي التفويت في وصايا الله سبحانه وتعالى، بل الاحتراز من ذلك.

9- الوصية الشائعة في العرف هي: الأمر بشيء يصلح بالقول المخصوص حالة الاحتضار.

بعد هذه الاستنتاجات يمكن تعريف الوصية اصطلاحا بالآتي:" الوصية هي الأمر بفعل شيء فيه صلاح

---

1 - النساء : 11.

2 -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،(د،ت،ط)، ج8، ص134.

3 - مصدرنفسه: ج2، ص147.

ومنفعة أو الأمر بترك شيء فيه فساد ومضرة، تكون بين طرفين: وصي، موصىله وسيلتها القـــول أو الدلالة في حالة الاحتضار أو غيرها بين الأشخاص، كما تكون من الخالق الآمر إلى عبـــاده المـــأمورين وتنفذ في غيبة الوصي أو الآمر".

المطلب الثاني :شروط الوصية وصفات الوصي

أولا :شروط الوصية

1- - من شروط الوصية إشهاد شاهدين إذا حضر الموتُ المرءَ.

ويجب أن يكونا مسلمين عدلين، إلا في حالة واحدة يجوز أن يشهد من حضره الموت على وصيته غـــير المسلمَين، وذلك في حالة السفر إن تعذر وجود المسلمين، فالعدلان المسلمان صالحان للشهادة في الحضر والسفر، قال الله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَـــانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِـــسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ {106}[1].

" وهذا قول ابن عباس وأبو موسى الأشعري، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن جريج، قالوا: إن كان الإنسان في الغربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته جاز أن يشهد اليهودي أو النصراني أو المجوسي إلا في هذه الصورة.

قال الشعبي –رحمه الله-: مرض رجل من المسلمين في الغربة، فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده علـــى وصيته، فأشهد على وصيته رجلين من أهل الكتاب، فقدما الكوفة وأتيا أبا موسى الأشعري، وكان واليا عليها، فأخبراه بالواقعة وقدما تركته ووصيته، فقال أبو موسى: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم حلفهما في مسجد الكوفة بعد صلاة العصر أنهما ما كذبا ولا بـــدلا وأجاز شهادتهما"[2].

– أما الحسن والزهري وجمهور الفقهاء فذهبوا إلى أن الشاهدين لابد أن يكونا من الأقارب، فإن تعذر حضور الأقارب ساعة الموت، فليشهد الشخص على وصيته أجنبيين، فأصحاب هذا المذهب اشـــترطوا

1- المائدة: 106.

2- فخر الدين محمدبن عمر بن الحسيني بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1411هـــ 1990م، ج2، ص95، 96.

الإسلام في الشاهدين، واستدلوا على مذهبهم بقوله تعالى:{ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ}[1] والكافر لا يكون عدلا.

" أجاب الأولون عنه: لم لا يجوز أن يكون المراد بالعدل من كان عدلا في الاحتراز عن الكذب، لا من كان عدلا في الدين والاعتقاد، والدليل عليه، أنا أجمعنا على قبول شهادة أهل الأهواء والبدع، مع أنهم ليسوا عدولا في مذهبهم، ولكنهم لما كانوا عدولا في الاحتراز عن الكذب قبلنا شهادتهم، فهكذا هاهنا سلمنا أن الكافر ليس بعدل إلا أن قوله:{ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ }"[2] عام، وقوله في هذه الآية:{ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ}[3] خاص فإنه أوجب شهادة العدل الذي يكون منا في الحضر، واكتفى بشهادة من لا يكون منا في السفر، فهذه الآية خاصة، والآية التي ذكرتموها عامة، والخاص مقدم على العام، لاسيما إذا كان الخاص متأخرا في النزول، ولا شك أن سورة المائدة متأخرة، فكان تقديم هذه الآية الخاصة على الآية العامة التي ذكرتموها واجبا بالاتفاق"[4].

- كما احتج أصحاب المذهب الأول بحجج على صحة مذهبهم فقالوا:

" الحجة الأولى: أنه تعالى قال في أول الآية:{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} فعمم بهذا الخطاب جميع المؤمنين، فلما قال بعده:{ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} كان المراد أو آخران من جميع المؤمنين لا محالة.

الحجة الثانية: أنه تعالى قال: {أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ}[5] وهذا يدل على أن جواز الاستشهاد بهذين الآخرَيْن مشروط بكون المستشهد في السفر، فلو كان هذان الشاهدان مسلمين، لما كان جواز الاستشهاد بهما مشروطا بالسفر، لأن استشهاد المسلم جائز في السفر والحضر.

الحجة الثالثة: الآية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين من بعد الصلاة، وأجمع المسلمون على أن الشاهد المسلم لا يجب عليه الحلف، فعلمنا أن هذين الشاهدين ليسا من المسلمين.

الحجة الرابعة: أن سبب نزول هذه الآية شهادة النصرانيين على بديل وكان مسلما.

الحجة الخامسة: أن أبا موسى الأشعري قضى بشهادة اليهوديين بعد أن حلفهما، وما أنكر عليه أحد من الصحابة، فكان ذلك إجماعا.

1- الطلاق:02.

2- الطلاق: 02.

3- المائدة: 106.

4 -الرازي:التفسير الكبير ، ج12، ص97.

5- المائدة: 106.

الحجة السادسة: أنا إنما نجيز إشهاد الكافرين إذا لم نجد أحدا من المسلمين، والضرورات قد تبيح المحظورات، والضرورة حاصلة في هذه المسألة، لأن المسلم إذا قرب أجله في الغربة و لم يجد مسلما يشهده على نفسه و لم تكن شهادة الكفار مقبولة، فإنه يضيع أكثر مهماته، فإنه ربما وجبت عليه زكوات وكفارات وما أداها، وربما كان عنده ودائع أو ديون كانت في ذمته، وكما تجوز شهادة النساء فيما يتعلق بأحوال النساء لأجل أنه لا يمكن وقوف الرجال على هذه الأحوال، فاكتفينا فيها بشهادة النساء لأجل الضرورة، فهكذا هاهنا"[1].

– بعد عرض أدلة الفريقين أرى أن أدلة المذهب الأول أقوى من أدلة المذهب الثاني؛ الذين ردت حجتهم وأجاب عنها أصحاب المذهب الأول وبالتالي أرجح القول القائل بأن الشاهدين يشترط أن يكونا مسلمين إلا في حالة واحدة، وهي الضرب في الأرض إن تعذر وجود المسلمين في المكان الذي حضر فيه الموت الشخص، جاز إشهاد غير المسلمين وذلك قياسا على أنه إن لم يشهد ضاعت وصيته وتَرِكته معا، فاحتمال وصول الوصية خير من تأكد ضياعها إن لم يشهد عليها. وكذلك مراعاة لمصلحة الميت وأقاربه والشاهدان إن كانا غير مسلمين، إن ارتاب الورثة في شأنهما واتهموهما بخيانة أو كذب، فلا بد عليهما أن يقسما بالله في المسجد من بعد الصلاة؛ أنهما لا يبيعان عهد الله بشيء من الدنيا ولو كان ذلك الشيء لذي قرابتهما ولا يكتمان شهادة الله، حُكِم بشهادتهما.

– أما تحديد الصلاة فقال عامة المفسرين أنها صلاة العصر، مستندين في قولهم إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم، بأنه دعا بعدي وتميم فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر.

وأيضا لأن أهل الأديان يعظمون هذا الوقت ويحترزون عن الحلف الكاذب فيه.

– ففي حالة اكتشاف الكذب في قول الشاهدين أو خيانة في المال يحلف اثنان من ورثة الميت الذين وقع عليهم هذا الإثم بالله أن شهادتهما أحق وأصدق من شهادة الشاهدين الأوليين، وأنهما لم يتعديا عليهما بتهمة باطلة، وبذلك تبطل شهادة الشاهدين الكافرين، وتنفذ شهادة الرجلين من أهل الميت، ويغرم الشاهدان الأوليان بقدر ما أخذا، قال تعالى: {فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ {107}[2].

أما الحكمة التي من أجلها لم تقبل في شريعة المسلمين شهادة غير المسلمين إلا في الضرورة، أن قبول

---

1 -الرازي :التفسير الكبير ، ج12، ص96.

2 - المائدة: 107.

الشهادة تزكية وتعديل للشاهد، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا الناس إلى اتباع دينه فأعرض عنه أهل الكتاب، لم يكونوا أهلا لأن تزكيهم أمته، وتسمهم بالصدق وهم كذبوا رسولنا ولأن من كان دينه مخالفا لديننا لا نعلم حدود مجال التضييق والتوسع في أعماله الناشئة عن معتقداته، إذ لعل في دينه ما يبيح له الكذب، وبخاصة إذا كانت شهادته في حق لمن يخالفه في الدين فإننا عهدنا منهم أنهم لا يتوخون الاحتياط في حقوق من لم يكن من أهل دينهم؛ قال الله تعالى حكاية عنهم: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}[1].

فمن أجل ذلك لم يكن مظنة للعدالة ولا كان مقدارها فيه مضبوطا، وهذا حال الغالب منهم، ومنهم من قال الله في شأنه:{ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}[2]، ولكن الحكم للغالب، هذا ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور[3].

2 -العدل في الوصية

قال تعالى:{ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ}[4].

" والمراد بالمعروف العدل الذي لا مضارة فيه ولا يحدث منه تحاسد بين الأقارب، بأن ينظر الموصي في ترجيح من هو الأولى بأن يوصي إليه لقوة قرابة أو شدة حاجة، فإنه إن توخى ذلك استحسن فعله الناس ولم يلوموه"[5].

- فمن شروط الوصية أن يسلك فيها الموصي طريق المعروف في وصيته فلا يحرم الفقير ويوصي للغني، ولا يسوي بين الوالدين وبين الأقارب، ولا يوصي للقريب ويترك الأقرب، فيجب أن تكون الوصية عادلة جائزة.

فعن عباد بن منصور عن الحسن قوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ }[6] فقال: نعم الوصية

1- آل عمران: 75.

2- أل عمران: 75.

3- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والطباعة،ج7، ص96.

4 - البقرة: 180.

5 - الطاهر بن عاشور :المصدر السابق ، ج2،ص148.

6- البقرة: 180.

حق على كل مسلم أن يوصي إذا حضره الموت بالمعروف غير المنكر، والمراد بالمعروف أن يوصي لأقربيه وصية لا تجحف بورثته من غير إسراف ولا تقتيير"[1].

3 -الوصية بالثلث

حددت السنة للموصي ما يجوز له أن يوصي به بمقدار ثلث ماله، فقد أخرج مسلم في صحيحه قال: حدثنا يحي بن يحي التميمي، أخبرنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عامر بن سعد عن أبيه، قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله! بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك، قال: قلت: يا رسول الله! أخلف بعد أصحابي؟ قال:" إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله، إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينفع بك أقوام، ويضر بك آخرون، اللهم!أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة.

قال: رثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن توفي بمكة"[2].

4- خلو الوصية من الضرر بالورثة:

ويشترط أيضا في تنفيذ وصية الميت أن تخلو من الضرر بالورثة، فإن قصد الموصي الإضرار بهم جاز لهم إبطالها وعدم تنفيذها؛ كأن يوصي بأكثر من الثلث، أو يوصي للغني ويترك الفقير.

يقول ابن قيم:" فإن علم الموصى له أن الموصي إنما أوصى ضرارا لم يحل له الأخذ، ولو اعترف الموصي أنه إنما أوصى ضرارا لم تجز إعانته على إمضاء هذه الوصية"[3].

---

1 - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2: 1400هـ 1980م، ج1، ص374.

2 -أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،صحيح مسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء الكتب العربية ،توزيع دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،كتاب الوصية ،باب الوصية بالثلث ،حديث (1628). صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، ح(2742).

3 -شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، الضوء المنير على التفسير،جمع علي الحمد الحمد الصالحي ، الناشر مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام، ج 1، ص 325، 326.

قال أبو داود[1]: حدثنا عبيدة بن عبد الله قال: أخبرنا عبد الصمد، ثنا نصر بن علي الحداني، ثنا الأشعث ابن جابر، حدثني شهر بن شوحب أن أبا هريرة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن الرجل ليعمل، أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار" قال وقرأ علي أبو هريرة من هاهنا{مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ } حتى بلغ {وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[2]

ثانيا :صفات الوصي

قال تعالى: فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {181} فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {182}[3].

في الآية كناية على وجوب نقل الوصية كما جاءت سواء في الكتابة أو في قسمة الحقوق، وحتى إذا أمر الموصي بقضاء دين عليه ثم إن الوصي قصر في قضائه، فهذا كله تبديل للوصية من الحق إلى الباطل، يؤثم عليه الوصي.

- أما إذا كان التبديل والتغيير إلى ما فيه الصلاح، حيث يظهر الميل عن طريق الحق من الموصي في وصيته مع جهله بذلك، أو كونه متعمدا، كأن يزيد غير المستحق، أو ينقص المستحق حقه، أو يعدل عن المستحق، ففي مثل هذه الحالات، وقبل تنفيذ الوصية يقوم الوصي بالإصلاح، بأن ينبه الموصي إلى خطئه ويحرضه على تعديل وصيته، لأنه للموصي – ما لم يمت- حق الرجوع عن وصيته وتغييرها بالزيادة أو النقصان، أما إذا مات الموصي وفي وصيته الجنف والإثم فلا حرج على الوصي تغييرها إلى الصلاح الذي يتنافى به ذلك الجنف والإثم ويرد الوصية إلى العدل.

فقد جوز الله سبحانه وتعالى إبطال هذه الوصية وجعلها متفقة مع شرعه.

يقول محمد رشيد رضا:" والمعنى إن خرج الموصي في وصيته عن المعروف والعدل خطأ أو عمدا فتنازع الموصى لهم فيه أو تنازعوا مع الورثة، فينبغي أن يتوسط بينهم من يعلم بذلك ويصلح بينهم، ولا إثم عليه في هذا الإصلاح إذا وجد فيه شيء من تبديل الجنف والحيف لأنه تبديل باطل إلى حق وإزالة مفسدة،

1 - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ،سنن أبي داود،دراسة وفهرسة :كمال يوسف الحوت ،دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ،مؤسسة الكتب الثقافية ،ط:1 ،1409هـ،1988م، كتاب الوصايا، باب: كراهية الإضرار في الوصية، ح (2867).

2-النساء: 11،12.

3 - البقرة: 181، 182.

فقلما يكون إصلاح إلا بترك بعض الخصوم شيئا مما يراه حقا له للآخر"[1] .

المبحث الثاني : قيمة الوصية وتأصيلها.

المطلب الأول: قيمة الوصية بالنسبة للميت

بين الله عز وجل قيمة الوصية بالنسبة للميت فقال:{ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ {49} فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ {50}"[2] فالمرء حينما يحضره الموت بغتة دون أمارات سابقة؛ كالمرض الشديد، أو الهرم، أو غير ذلك، يتوق إلى التوصية، خاصة إذا خلف وراءه ذرية أو أموالا وعقارات، وأيضا إذا كان له بعض الأسرار لم يبح بها من قبل، تخصه أو تخص أهله، كمن يكون مدينا فيود لو يستطيع أن يوصي بقضاء دينه، أو تاركا لأموال متفرقة عند أشخاص آخرين، أو أن يوصي بترك المعاصي والامتثال لأوامر الله عز وجل، فلا يستطيع أن يوصي بماله وما عليه، فلا قدرة له على التلفظ بأقل الكلمات، وهو في حاجة ماسة إليها، لأنه يعلم أنه لا رجوع ولا التقاء بأهله، وهم أحب الناس لديه، يأمنهم على ما ترك ويوصيهم بما يريد، لكن هيهات، هيهات أن يتحقق له ما يريد.

يقول الرازي في تفسير قوله تعالى: {وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ {50}[3]:" بيان لشدة الحاجة إلى التوصية لأن من يرجو الوصول إلى أهله قد يمسك عن الوصية لعدم الحاجة إليها، وأما من يقطع بأنه لا وصول له إلى أهله فلا بد له من التوصية، فإذا لم يستطع مع الحاجة دل على غاية الشدة"[4].

أما الماوردي فقد جعل لتفسير هذه الآية احتمالين فقال:"أي لا يستطيع بعضهم أن يوصي إلى بعض بما في يديه من حق ،ويحتمل وجها ثانيا :أنه لا يستطيع أن يوصي بعضهم بعضا بالتوبة والاقلاع"[5] .

المطلب الثاني:تأصيل موضوع الوصية

أولا- وجوب الوصية:

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ

---

1 -محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم ، ج 2، ص 114.

2 - يس:49، 50.

3- يس: 50.

4 -الرازي : التفسير الكبير، ج26 ، ص77.

5 -أبوالحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ،النكت والعيون تفسير الماوردي ،تعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم،مؤسسة الكتب الثقافية ،دار الكتب العلمية ،(د،ت،ط)، ج5،ص22.انظر القرطبي:أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ،الجامع لأحكام القرآن،دار إحياء التراث العربي بيروت ،لبنان،ط1405هـ، 1985م، ج15ص39.

لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ}[1].

بين الله عز وجل في هذه الآية حكم المال إذا مات صاحبه، وغير تعامل المسلمين في الأموال علـــى مـــا كانوا عليه في الجاهلية، فكانوا كثيرا ما يورثون البعيد ويمنعون القريب من الإرث ظنا منهم بأن القريب يود موت مورثه لتنتقل ملكية أمواله إليه، كما قد يفضل الميت بعض الأقارب على بعض فتنشب العداوة والبغضاء والحسد بين الأقارب، فجاء الإسلام بتشريعه للحفاظ على العلاقات الاجتماعية.

ففرض الله عز وجل وأوجب على الميت إذا حضرته أمارات الموت وأسبابه وعلاماته من نحـــو العلـــل المخوفة كالمرض والهرم البالغ وهو يملك (الخير)، والخير هو المال بدليل قوله تعالى:{ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ }[2] وقوله:{ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ {8}[3] أن يوصي بالمال لوالديه والأقربين له.

واختلف السلف في هذا المال على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب الزهري وعليه الجمهور؛ على أن الوصية مشروعة في المال قليله وكثيره، وأدلتهم:

"1- أن الله تعالى أوجب الوصية فيما إذا ترك خيرا، والمال القليل خير يدل عليه القرآن والمعقول، أمـــا القرآن فقوله تعالى:{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ {7} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ {8}[4].

وأيضا قوله:{ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ {24}[5].

أما من المعقول فهو أن الخير ما ينتفع به، والمال القليل كذلك ينتفع به فيكون خيرا.

2- أن الله تعالى اعتبر أحكام المواريث فيما يبقى من المال قل أو كثر، بدليل قوله تعـــالى:{ لِّلرِّجَـــالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْـــهُ أَوْ كَثُـــرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً {7}[6] فوجب أن يكون كذلك في الوصية"[7].

المذهب الثاني: مذهب ابن عباس وعائشة وعلي –رضي الله عنهم وأرضاهم- ، وهو أن لفظ الخـــير في هذه الآية هو المال الكثير لا القليل، وأدلتهم:

"1- أن من ترك درهما لا يقال: إنه ترك خيرا، كما يقال: فلان ذو مال؛ فإنه يراد تعظيم ماله ومجاوزته

---

1 - البقرة: 180.

2 - البقرة: 272.

3 - العاديات: 08.

4 - الزلزلة: 07، 08.

5 - القصص: 24.

6 - النساء: 07.

7 -الرازي: التفسير الكبير، ج5، ص51.

حد الحاجة، وإن كان اسم المال قد يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الإنسان من قليل أو كثير، وكذلك إذا قيل: فلان في نعمة، وفي رفاهية من العيش، فإنما يراد به تكثير النعمة، وإن كان أحد لا ينفك عن نعمة الله، وهذا من المجاز مشهور وهو نفي الاسم عن الشيء لنقصه، كما قد روي من قوله:" لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد" وقوله:" ليس بمؤمن من بات شبعانا وجاره جائع" ونحو هذا.

2- لو كانت الوصية واجبة في كل مال ترك، سواء كان قليلا أو كثيرا، لما كان التقييد بقوله:" إن ترك خيرا" كلاما مفيدا، لأن كل أحد لا بد أن يترك شيئا ما، قليلا كان أو كثيرا، أما الذي يموت عريانا، ولا يبقى معه كسرة خبز، ولا قدر من الكرباس الذي يستر به عورته، فذاك في غاية الندرة"[1].

-بعد عرض الأدلة أرى أن أدلة الفريق الأول أقوى وأرجح لأن القرآن يثبت أن معنى الخير هو المال؛ قليله أو كثيره، والخير لم يقيد في الآية لا بالقلة ولا بالكثرة فالوصية واجبة في الكل.

- أن دليل الفريق الثاني في قيد:{ إِن تَرَكَ خَيْراً }[2] أي مالا كثيرا، أنه في غاية الندرة أن لا يترك الشخص شيئا بعد موته.

أقول: بل طالما مات أشخاص وهم لا يملكون شيئا، بل يموتون وهم مدينون، لذا وجب على الأحياء تسديد ديونهم.وقد يملك الإنسان مالا فيطول به المرض فيبيع كل ممتلكاته من أجل مصاريف العلاج ونفقة العيال، فإذا حضره الموت لم يبق له شيء.

- إذن فأحكام الأموال في الشريعة الإسلامية تشمل القليل والكثير ولو كانت الوصية واجبة في المال الكثير دون المال القليل، فكيف نميز بين قلة المال وكثرته؟ وما هو الحد الفاصل الذي نقول به أن المال قليل أو كثير؟

- ثم إن أصحاب المذهب الثاني اختلفوا في المال هل هو مقدر ومحدد أم لا؟

فاتجهوا اتجاهين:

الاتجاه الأول: أنه مقدر بمقدار معين، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في هذا المقدار.

" فقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه دخل على مولى له في الموت وله سبعمائة درهم، فقال: ألا أوصي؟ قال: لا، إنما قال الله تعالى:" إِنْ تَرَكَ خَيْرًا" وليس لك كثير مال.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال لها:" إني أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف،

---

1 - مصدر نفسه ، ج5، ص51.

2- البقرة: 180.

قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: قال الله تعالى:" إِنْ تَرَكَ خَيْرًا" وإن هذا لشيء يسير، فاتركه لعيالك فهو أفضل.

وعن ابن عباس: إذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي، فإذا بلغ ثمانمائة درهم أوصى. وعن قتادة ألف درهم،وعن النخعي من ألف إلى وخمسمائة درهم،وروي عن علي أنه قال: أربعة آلاف درهم وما دونها نفقة"[1].

- فالمقدار الذي اتفقوا عليه جميعا والذي يشتركون في تقديره هو أربعة آلاف درهم، فالوصية تجب عندهم على من بلغ ماله أربعة آلاف درهم، كما اشتركوا في المقدار الذي اتفقوا عليه والذي لا تجب فيه الوصية سبعمائة درهم فما دونها، والمقدار الذي اختلفوا فيه يتراوح بين ثمانمائة درهم وثلاثة آلاف.

- الاتجاه الثاني: أن المقدار غير محدد، ويختلف باختلاف أحوال الرجال" وعللوا ذلك أن بمقدار من المال يوصف المرء غنيا، وبذلك المقدار يوصف آخر فقيرا؛ لكثرة العيال، وكثرة النفقة، وقالوا أنه لا يمتنع الإيجاب أن يكون متعلقا بمقدار مقدر حسب الاجتهاد"[2].

يقول محمد رشيد رضا:" واختار الأستاذ الإمام عدم تقديره لاختلافه باختلاف العرف، فهو موكول عنده إلى اعتقاد الشخص وحاله، ولا يخفى أن العرف يختلف باختلاف الزمان والأشخاص والبيوت، فمن يترك سبعين دينارا في مترل قفر، وبلد فقر، وهو من الدهماء، فقد ترك خيرا، ولكن الأمير أو الوزير إذا تركا مثل ذلك في المصر الكبير، فهما لم يتركا إلا العدم والفقر، وما لايفي بتجهيزهما إلى القبر"[3].

- أرى أن هذا الاختلاف قد فصلت فيه السنة وأبانته، حيث حدد الرسول صلى الله عليه وسلم مقدار الوصية بالنسبة، لا بالعدد المحدد والمقدار المعين، لأن المقدار يتغير حسب الزمان والأشخاص والمكان أيضا، لكن النسبة ثابتة ،في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه:"... الثلث، والثلث كثير، وإن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"[4].

والآية صريحة في وجوب الوصية للوالدين والأقربين بدليل:

1- قوله تعالى:" كُتِبَ عَلَيْكُمْ" بمعنى فرض ووجب.

وشرط وجوب الوصية وجود المال بقيد قوله تعالى:" إِنْ تَرَكَ خَيْرًا".

---

1 - الرازي :التفسير الكبير ، ج5،ص51.

2 - المصدر نفسه، ، ص52.

3 -محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم ، ج2، ص108.

4 -سبق تخريجه ،ص16.

أما وقت الوجوب فهو حضور أمارات الموت وأسبابه وعلاماته.

2- ما أخرجه مسلم في صحيحه قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَا حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ "[1].

ثانيا- حكم الوصية:

اختلف العلماء في نسخ هذه الآية بآية المواريث الموجودة في سورة النساء، فمنهم من قال هذه الآية صارت منسوخة، ومنهم من قال ما صارت منسوخة بل هي مفسرة لها وهذا مذهب أبو مسلم الأصبهاني نقله عنه الرازي بقوله:" وتقرير قوله من وجوه: أحدها: أن هذه الآية ما هي مخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله تعالى من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى:{ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ }[2] أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم.

وثانيها: أنه لا منافاة بين ثبوت الميراث للأقرباء مع ثبوت الوصية، فالميراث عطية من الله تعالى، والوصية عطية ممن حضره الموت، فالوارث جمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين.

وثالثها: لو قدرنا حصول المنافاة لكان يمكن جعل آية الميراث مخصصة لهذه الآية، وذلك لأن هذه الآية توجب الوصية للأقربين، ثم آية الميراث تخرج القريب الوارث، ويبقي القريب الذي لا يكون وارثا داخلا تحت هذه الآية، وذلك لأن من الوالدين من يرث ومنهم من لا يرث؛ وذلك بسبب اختلاف الدين، والرق والقتل، ومن الأقارب الذين لا يسقطون في فريضة من لا يرث بهذه الأسباب الحاجية، ومنهم من يسقط من حال ويثبت في حال، إذا كان في الواقعة من هو أولى بالميراث منهم، ومنهم من يسقط في كل حال إذا كانوا ذوي رحم؛ فكل من كان من هؤلاء وارثا لم تجز الوصية له، ومن لم يكن وارثا جازت الوصية له لأجل صلة الرحم، فقد أكد الله تعالى ذلك بقوله:{ وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}[3]. وبقوله:{ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى}[1]"[2].

1 - صحيح مسلم ،كتاب الوصية ،باب الوصية بالثلث ،ح(1627)، وأخرجه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء فيما يؤمر به من الوصية، ح(2862).

2 - النساء: 11.

3 - النساء: 01.

المذهب الثاني: ذهب إلى أن آية الوصية في سورة البقرة:{ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ {180}}[3] نسخت بآية الميراث في سورة النساء:{ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}[4].وهو مذهب عامة الفقهاء .

قال الشافعي :"فكان فرضا في كتاب الله (عزوجل)على من ترك خيرا والخير :المال،أن يوصي لوالديه وأقربيه . وزعم بعض أهل العلم بالقرآن :أن الوصية للوالدين والأقربين الوارثين منسوخة واختلفوا في الأقربين غير الوارثين،فأكثر من لقيت من أهل العلم وممن حفظت عنه ،قال الوصايا منسوخة :لأنه إنما أمر بها إذا كانت إنما يورث بها ،فلما قسم الله الميراث كانت تطوعا"[5].

واستدلوا على مذهبهم:

"1- بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله أعطى كل ذي حق حقه؛ ألا لا وصية لوارث"[6].

2- أنها صارت منسوخة بإعطاء الله تعالى أهل المواريث كل ذي حق حقه.

3- أنها صارت منسوخة بالإجماع.

4- صارت منسوخة بدليل قياسي؛ وهو أن نقول: هذه الوصية لو كانت واجبة لكان عندما لم توجد هذه الوصية وجب أن لا يسقط حق هؤلاء الأقربين قياسا على الديون التي لا توجد الوصية بها، لكن عندما توجد الوصية لهؤلاء الأقربين لا يستحقون شيئا بدليل قوله تعالى:{ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}[7].

5- أنها كما قال الألوسي:" نزلت بعد آية الوصية بالاتفاق، وقد قال الله تعالى:{ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} فرتب الميراث على وصية منكرة، والوصية الأولى كانت معهودة، فلو كانت تلك الوصية باقية لوجب ترتيبه على المعهود، فلما لم يترتب عليه ورتب على المطلق دل على نسخ الوصية المقيدة؛

---

1 - النحل: 90.

2 -الرازي: التفسير الكبير،ج5، ص53.

3 - البقرة: 180.

4 - النساء: 11.

5 -أبو عبدالله محمدبن إدريس الشافعي، أحكام القرآن للشافعي ،جمع:أبو بكرأحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري صاحب السنن الكبرى ،دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ،ط1400 هـ 1980م،ج1،ص149.

6 - أخرجه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث، ح(2870).

7 - النساء: 12.

لأن الإطلاق بعد التقييد نسخ، كما أن التقييد بعد الإطلاق لتغاير المعنيين"[1].

وقد رد الرازي الأدلة الأربعة الأولى بقوله:

" أنها صارت منسوخة بإعطاء الله تعالى أهل المواريث كل ذي حقه، وهذا بعيد لأنه لا يمتنع مع قدر من الحق بالميراث وجوب قدر آخر بالوصية، وأكثر ما يوجبه ذلك التخصيص لا النسخ؛ بأن يقول قائل: إنه لا بد وأن تكون منسوخة فيمن لم يخلف إلا الوالدين من حيث يصير كل المال حقا لهما بسبب الإرث، فلا يبقى للوصية شيء، إلا أن هذا تخصيص لا نسخ.

وثانيها: أنها صارت منسوخة بقوله عليه السلام:" ألا لا وصية لوارث" وهذا أقرب إلا أن الإشكال فيه أن هذا خبر واحد، فلا يجوز نسخ القرآن به، وأجيب عن هذا السؤال: بأن هذا الخبر وإن كان خبر واحد إلا أن الأئمة تلقته بالقبول فالتحق بالمتواتر.

ولقائل أن يقول: يدعي أن الأئمة تلقته بالقبول على وجه الظن أو على وجه القطع، والأول مسلم إلا أن ذلك يكون إجماعا منهم على أنه خبر واحد، فلا يجوز نسخ القرآن به، والثاني ممنوع لأنهم لو قطعوا بصحته مع أنه من باب الآحاد لكانوا قد أجمعوا على الخطأ وأنه غير جائز، وثالثها: أنها صارت منسوخة بالإجماع، والإجماع لا يجوز أن ينسخ به القرآن، لأن الإجماع يدل على أنه كان الدليل الناسخ موجودا إلا أنهم اكتفوا بالإجماع عن ذكر ذلك الدليل، ولقائل أن يقول: لما ثبت أن في الأمة من أنكر وقوع هذا النسخ فكيف يدعى انعقاد الإجماع على حصول النسخ؟

ورابعها: أنها صارت منسوخة بدليل قياسي، وهو أن نقول: هذه الوصية لو كانت واجبة لكان عندما لم توجد هذه الوصية وجب أن لا يسقط حق هؤلاء الأقربين، قياسا على الديون التي لا توجد الوصية بها لكان عندما لم توجد الوصية لهؤلاء الأقربين لا يستحقون شيئا، بدليل قوله تعالى في آية المواريث:{ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}[2] وظاهر الآية يقتضي أنه إذا لم تكن وصية ولا دين، فالمال أجمع مصروف إلى أهل الميراث، ولقائل أن يقول: نسخ القرآن بالقياس غير جائز"[3].

– وقد نفى محمد عبده أن تكون آية المواريث ناسخة لآية الوصية بقوله:" أنه لا دليل على أن آية المواريث نزلت بعد آية الوصية هنا، وبأن السياق ينافي النسخ، فإن الله تعالى إذا شرع للناس حكما، وعلم أنه مؤقت، وأنه سينسخه بعد زمن قريب لا يؤكده ويوثقه بمثل ما أكد به أمر الوصية هنا؛ من

1 –الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص54.

2 - النساء: 12.

3 –الرازي :التفسير الكبير ، ج5، ص53، 54.

كونه حقا على المتقين، ومن وعيد من بدله"[1] .

وقال:" لقد علم مما تقدم أن آية المواريث لا تعارض آية الوصية فيقال بأنها ناسخة لها إذا علم أنها بعدها، وأما الحديث فقد أرادوا أن يجعلوا له حكم المتواتر أو يلصقوه به بتلقي الأمة له بالقبول ليصلح ناسخا على أنه لم يصل إلى درجة ثقة الشيخين به فلم يروه أحد منهما مسندا، ورواية أصحاب السنن محصورة في عمرو بن خارجة، وأبي أمامة وابن عباس، وفي إسناد الثاني إسماعيل بن عياش تكلموا فيه، وإنما حسنه الترمذي لأن إسماعيل يرويه عن الشاميين، وقد قوى بعض الأئمة روايته عنهم خاصة، وحديث ابن عباس معلول؛ إذ هو من رواية عطاء عنه، وقد قيل إنه عطاء الخرساني وهو لم يسمع من ابن عباس، وقيل عطاء بن أبي رباح، فإن أبا داود أخرجه في مراسيله عنه، وما أخرجه البخاري من طريق عطاء بن أبي رباح موقوف على ابن عباس، وما روي غير ذلك فلا نزاع في ضعفه، فعلم أنه ليس لنا كرواية للحديث صححت إلا رواية عمرو بن خارجة والذي صححها هو الترمذي وهو من المتساهلين في التصحيح، وقد علمت أن البخاري ومسلم لم يرضياها، فهل يقال: إن حديثا كهذا تلقته الأمة بالقبول؟"[2] .

كما رد محمد عبده على الألوسي رأيه بقوله:" فأما دعواه الاتفاق في التقدم والتأخر فلا دليل عليها، وأما تأويله فظاهر البطلان، وقاعدة الإطلاق والتقييد إن سلمت لا تؤخذ على إطلاقها، لأن شرع الوصية على الإطلاق لا ينافي شرع الوصية لصنف مخصوص، ونظير هذا الأمر بمواساة الفقراء مطلقا، والأمر بمواساة الضعفاء والمرضى منهم لا يتعارضان، ولا يصح أن يكون الثاني منهما مبطلا للأول إلا إذا وجد في العبارة ما ينفي ذلك، وما في الآيتين ليس من قبيل تعارض المطلق والمقيد، وإنما آية الوصية خاصة، وذكر الوصية منكرة في آية الإرث يفيد الإطلاق الذي يشمل ذلك الخاص وغيره، فإن سلمنا لذلك الحنفي أن آية الميراث متأخرة، فلا نسلم له أنه يجب أن تذكر فيها الوصية بالتعريف لتدل على الوصية المعهودة، إذ لو رتب على الوصية المعهودة لما جازت الوصية لغير الوالدين والأقربين"[3] .

وهناك رأي آخر يرى أن حكم الوصية يتراوح بين الوجوب والجواز ،قال السمرقندي :"وقال بعضهم إن كان عليه حج أو كفارة من الكفارات فالوصية واجبة ،وإن لم يكن عليه شيء من الواجبات فهو

1 -محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم ، ج2، ص109.

2 - محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم ، ج2، ص110.

3 - المصدر نفسه ، ص109، 110.

بالخيار إن شاء أوصى وإن شاء لم يوص"[1].

ترجيح الأدلة:

من خلال ما تقدم من أدلة الفريقين تبين لي أن أدلة الفريق الأول الذين يرون أن الآية محكمة وحكمها باق، أقوى من أدلة الفريق الثاني الذين يقولون بالنسخ، وأدلتهم كلها مرجوحة حسب ما تقدم، بخلاف أدلة الفريق الأول فهي راجحة.

وأرى أن لا منافاة بين آية الوصية وآية الميراث من وجوه:

1- أن آية الوصية تفرضها للوالدين والأقربين، وقد عرفنا أن معنى الوصية: العهد بالشيء: فنتساءل: بم يوصي الله للوالدين والأقربين؟ فيكون الجواب بتوريثهم؛ وقد حددت آية الميراث أنصبتهم.

2- ولا تعارض بين الآيتين فقد يكون أحد الوالدين أو الأقربين الذين لا يرثون بسبب من الأسباب المانعة من الإرث ، فيوصي له الميت بمقدار من المال شرط أن لا يتعدى الثلث.

3- يمكن الجمع بينهما باعتبار آية الوصية عامة تشمل كل قريب سواء ورث أم لم يرث، وكل وَالِدَين مسلمين كانا أم كافرين، وجاءت آية الميراث فخصصت آية الوصية، وجعلت الميراث محصورا في مجموعة من الأشخاص، وهم الوالدين المسلمين الحرين، والقريب الوارث.

- وبناء على هذا فإن كل شخص شملته آية الميراث له حق في الوصية، والعكس غير صحيح، أي: ليس كل فرد داخل تحت آية الوصية يرث.

ثم إن الذين قالوا بالنسخ اختلفوا على قولين:

1- منهم من قال أن الآية منسوخة في حق من يرث ومن لا يرث"وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء"[2] .

2- قالوا أنها منسوخة في حق من يرث ثابتة في حق من لا يرث" وهو مذهب ابن عباس والحسن

1 -أبو الليث نصربن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي،تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ،تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض،الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،الدكتور زكرياعبد المجيد النوتي ،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،ط1 :1413هـ-1993م،ج1ص182.

2 -الرازي:التفسير الكبير ، ج5، ص54.

البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد"[1] وأدلتهم:

أ- آية الميراث التي في سورة النساء وحديث " ألا لا وصية لوارث"؛ لأن بالآية والحديث تنسخ الوصية للوارث القريب، فتبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث.

ب- حديث:" ما حق امرئ مسلم له مال يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"[2] استدلوا به على وجوب الوصية، والإجماع على أن الوصية لغير الأقارب غير واجبة، فالحديث مختص في وجوب الوصية للأقارب وصارت السنة مؤكدة للقرآن في وجوب هذه الوصية.

أما الجمهور القائلون بأن الآية منسوخة في حق من لا يرث فدليلهم: قوله تعالى:" من بعد وصية يوصي به أو دين".

والقائلون أن الآية ما صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا في موضعين:

" الأول: نقل عن ابن عباس أنه جعل هذه الوصية للأفقر فالأفقر من الأقرباء، وقال الحسن البصري: هم والأغنياء سواء.

الثاني: روي عن الحسن وخالد بن زيد وعبد الملك بن يعلى أنهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا ترثه: يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة، وثلث الثلث لمن أوصى له، وعن طاوس أن الأقارب إن كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الأجانب وردت إلى الأقارب"[3].

من خلال الفصل الأول من البحث الموسوم بمفهوم الوصية وشروطها تبين لي أن لفظ الوصية في اللغة يدور حول ثلاثة معان وهي: الوصل والاتصال ،والعهد ،والفرض .

وأما مفهومها في الإصطلاح فيختلف باختلاف العلماء والمفسرين .

ولتنفيذها لابد من توافر شروط لها ،وأولها إشهاد شاهدين إذا حضر الموت المرء ،وفد اختلف العلماء حول هذا الشرط وانقسموا إلى مذهبين ،المذهب الأول يشترط أن يكون الشاهدان مسلمان عدلان إلافي حالة السفر إن تعذر وجود المسلمين ،فيجوز إشهاد غير المسلمين .

أما المذهب الثاني فاشترط كون الشاهدين مسلمين في حالة الحضر والسفر .

وقد احتج كلا المذهبين بحجج على صحة مذهبه ،وبعد عرض أدلتهم ظهر لي أن أدلة الفريق الأول

---

1 - المصدر نفسه .

2-سبق تخريجه ص23.

3 -الرازي: التفسير الكبير ،ج5، ص55.

أقوى ،فرجحت رأيهم .أما الشرط الثاني لتنفيذ الوصية فهو العدل فيها ،كما يشترط ألا تتعدى ثلث التركة ،وأن تخلو من الضرر بالورثة .

وعلى الوصي نقل الوصية كما جاءت من غير تبديل أما إذا كان في الوصية الجنف والإثم فعلى الوصي الإصلاح ،بأن ينبه الموصي إلى خطئه ويحرضه على تعديلها قبل موته. أما إذا مات وفي وصيته الجنف والظلم جاز للوصي تغيير الوصية إلى ما فيه الصلاح .

وللوصية عند الموت قيمة عظيمة خاصة إن حضر الموت المرء بغتة دون أمارات سابقة وكانت له أسرار لم يبح بها من قبل فيتوق إلى التوصية .

وقد بين الله عز وجل حكم المال إذا مات صاحبه في قوله تعالى :{ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ {180}}[1] .

لكن السلف اختلفوا في هذا المال على مذهبين :المذهب الأول يرى أن الوصية مشروعة في المال قليله وكثيره .في حين يرى المذهب الثاني أن الوصية مشروعة في المال الكثير لا القليل، وبعد عرض أدلة الفريقين رجحت رأي الفريق الأول بناء على قوة أدلته ،

ثم إن أصحاب المذهب الثاني اختلفوا في المال : أهومحددأم لا على اتجاهين :

الاتجاه :الأول يرى أنه محدد.

الاتجاه الثاني : يرى أن المال غير محدديختلف باختلاف أحوال الناس وباختلاف الزمان والمكان .

لكن أرى أن هذا الاختلاف قد فصلت فيه السنة وقد أبانته ،حيث حدد الرسول صلى الله عليه وسلم مقدار الوصية بالنسبة لا بالمقدار ، وهو الثلث .

أما بالنسبة لحكم الوصية، فقد اختلف العلماء في نسخ آية الوصية بآية المواريث إلى مذهبين ،المذهب الأول:يرى أن آية المواريث ما نسخت آية الوصية بل هي مفسرة لها .

المذهب الثاني :ذهب إلى أن آية الوصية نسخت بآية الميراث.

وقد أورد كلا المذهبين أدلة وحججا على صحة مذهبه ،فكانت أدلة الفريق الأول أقوى من أدلة الفريق الثاني فرجحت الرأي الأول .

ثم إن أصحاب المذهب القائل بالنسخ اختلفوا على قولين ،

القول الأول :أن الآية منسوخة في حق من يرث ومن لا يرث .

القول الثاني :أن الآية منسوخة في حق من يرث غير منسوخة في حق من لا يرث .

---

1 -البقرة: 180.

الفصل الثاني: مضامين وصايا القرآن الكريم

المبحث الأول:المضمون العقدي

المبحث الثاني:المضمون الأخلاقي

المبحث الثالث: المضمون الاجتماعي

المبحث الرابع: مضمون العبادات

المبحث الأول: المضمون العقدي.

توطئة:

تعرفنا على معنى التواصي في اللغة وهو:" أن يوصي بعض القوم بعضا".[1]

فهم يتلقون ثم يقدمون، والتواصي بالأمور الخيرة النافعة فضيلة، يسديها الموصي إلى من يطلبها منه، كما يسديها إلى من لا يطلبها نصحا منه وتوجيها له.

هذا الموصي قدمت له الوصية والنصيحة فتقبلها وعمل بها، وها هو الآن أصبح يوصي غيره كذلك، وهنا تكمن حقيقة التواصي، ويكفيها شرفا ورفعة أن الله تعالى قد أوصى عباده بها، فقال عز وجل: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[2] وقال:{ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[3].

وقد أوصى الله عز وجل عباده بأصول العقيدة، وركز في قلوبهم عقيدة التوحيد، والنهي عن الشرك ثم عقيدة علم الله تعالى وقدرته، فإذا هم تذكروا هذه الأصول، وجعلوها نصب أعينهم، أمرهم بإقامة دينه في الأرض، ولإقامته عليهم أن يتواصوا بالحق، ويصبروا على الأذى، هذه المضامين تندرج تحت المضمون العقدي، الذي يتناوله هذا المبحث بالدراسة والتفسير.

---

1 - ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم، ج8، ص395.

2 - العصر: 03.

3 - البلد: 17.

المطلب الأول: مضمون الحق

أوصى الله عز وجل عباده بالتواصي بالحق فقال :{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}[1] .

- فما مفهوم الحق في اللغة ؟وما مفهومه في الاصطلاح؟
- ماذا يشمل الحق الذي أوصى الله عز وجل عباده بالتواصي به؟
- ما هي الأسباب التي تعين على معرفة الحق ومن ثم القيام به؟
- ما هي قيمة التواصي بالحق ؟

أولا- الحق في اللغة:

يرد الحق في معاجم اللغة بالمعاني التالية:

الحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق، وفي التتريل:{ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ }[2] أي ثبت.

وحق الأمر يحقه حقا وأحقه: كان منه على يقين، تقول: حققت الأمر وأحققته إذا كنت على يقين منه، ويقال: مالي فيك حق ولا حقاق؛ أي خصومة.

واحتق القوم: قال كل واحد منهم: الحق في يدي.

والحق من أسماء الله عز وجل، وقيل من صفاته، قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته.

والحق: صدق الحديث، والحق اليقين بعد الشك، وأحق الرجل: قال شيئا أو ادعى شيئا فوجب له، واستحق الشيء: استوجبه"[3].

فمعاني الحق اللغوية تدور حول معنى الثبات واليقين، فمن أسماء الله عز وجل الحق؛ لأنه ثابت وجوده ومتَيَقَّن، والحق صدق الحديث؛ لأنه هو الحديث الثابت، وضد الحق هو الباطل.

ثانيا-مفهوم الحق في الاصطلاح:

قال ابن عاشور في مفهوم الحق:" والحق ترجع معانيه إلى موافقة الشيء لما يحق أن يقع"[4].

---

1 -العصر:3.

2 - القصص: 63.

3 - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت،(د،ت،ط)، ج1، ص680، 682 .

4 -ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص364.

وقال:" الحق الأمر الثابت؛ من حق إذا ثبت ووجب، وهو ما تعترف به سائر النفوس بقطع النظر عن شهواهما"[1].والحق والباطل ضدان متقابلان، والحق اسم من أسماء الله تعالى أو من صفاته، والحق القرآن، والثابت بلا شك، وفي التتريل:{ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ {23}[2] .

والحق: العدل والإسلام، والموجود الثابت والصدق، والباطل ضد الحق"[3].

وعرفه طنطاوي بقوله:"الحق هو الأمر الذي ثبتت صحته ثبوتا قاطعا"[4] .

كماعرفه وهبة الزحيلي بقوله :"هو الشيء الثابت الذي لا يصح إنكاره من اعتقادأو عمل أو هو ما أرشد إليه دليل قاطع ،أو عيان ومشاهدة أوشرع صحيح جاء به نبي معصوم"[5] .

أما المراغي فذهب إلى أن الحق هو "الأمر الثابت الذي لاسبيل إلى إنكاره ولازوال في الدارين لمحاسن آثاره، وهو الخير كله من الإيمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل"[6].

وذهب الواحدي إلى أن الحق هو القرآن فقال :"وتواصوا بالحق ،أوصى بعضهم بعضا بالقرآن"[7].

والحق يقال على أربعة أوجه: الأول: يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى: هو الحق.

الثاني: يقال للموجد بحسب ما تقتضيه الحكمة ولذلك يقال: فعل الله كله حق؛ نحو قولنا: الموت حق، والبعث حق.

الثالث: الاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه؛ كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب

---

1 - مصدر نفسه، ج1، ص470.

2 - الذاريات: 23.

3 -أحمدبن محمد طاحون ، أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم، مكتبة التراث الإسلامي ط1-1411هـ 1990،ط2-1414-1993، ج1، ص178.

4 -محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1406هـ،1986م،ج15،ص705.

5-وهبة الزهيلي،التفسيرالمنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ،ط1،1411هـ،1991م،ج30-ص393.

6 -أحمد مصطفى المراغي ،تفسير المراغي ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ج10،ص235.انظر أبي السعود:محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ،تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1 :1419هـ 1999م،ج6 ص468.

7-أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري،الوسيط في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1415:1هـ 1994م ،ج4 ص551.انظر الطبرسي:أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل،مجمع البيان في تفسير القرآن ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1: 1418هـ 1997م ،ج10 ص347.

والعقاب والجنة والنار حق.

الرابع: للفعل والقول الواقع ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب؛ كقولنا: فعلك حق، وقولك حق"[1].

تعريف الحق الاصطلاحي يوافق معناه اللغوي، فهو الأمر الثابت، والواجب الذي لا ينكره أحد، فالنفوس كلها تعترف به، فالعدل والإسلام أيضا ثابتان.

والحق يطلق على أربعة أوجه؛ لموجد الشيء وهو الله تعالى، للموجَد وهو فعله عز وجل، كالموت والحق، وهذان الوجهان يخصان الله عز وجل.

أما الوجه الثالث فهو إطلاقه على الاعتقاد الصحيح، والوجه الأخير خاص بالقول والفعل إذا وقعا بالقدر الواجب في الوقت الواجب وهما خاصان بالإنسان.

فالحق إذا هو: كل ثابت سواء كان موجِدا أو موجَدا أو اعتقادا أو قولا أو فعلا.

ثالثا- التواصي بالحق:

أقسم الله في سورة العصر أن جنس الإنسان في خسران مطلق ما لم يتصف بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وبهذه المراتب الأربعة يبلغ الإنسان غاية كماله، لأن غاية الكمال تكمن في كمال الشخص في نفسه وتكميله غيره، فإن كان كذلك نجا من الخسران، وفاز بالدنيا والآخرة.

هذا ما ذهب إليه ابن القيم حيث قال:" إن المراتب أربعة، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، أحدها: معرفة الحق، الثانية: عمله به، الثالثة: تعليمه من لا يحسنه، الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه"[2].

فالمرتبة الأولى: هي مرتبة الذين آمنوا، وهم الذين عرفوا الحق وآمنوا به، وتليها مرتبة الذين عملوا الصالحات، وهم الذين عملوا بهذا الحق الذي عرفوه وآمنوا به، ثم تليها مرتبة التواصي بالعمل بالحق، وآخر مرتبة هي مرتبة الصبر على الحق والثبات عليه.

وهذا مذهب الرازي أيضا؛ حيث يرى أن:" التواصي بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل، والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابهم ما يحرم، إذ

---

1 -مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، دار المكتبة العلمية، بيروت ، (د،ت،ط)، ج2، ص484.

2 -ابن قيم الجوزية: الضوء المنير على التفسير، ج6،ص449.

الإقدام على المكروه والإحجام على المراد كلاهما شاق شديد"[1].

فالإنسان ليس مكلفا بما يخص نفسه فقط، بل يخصه في غيره أمور لا بد أن يأتيها، فعليه أن يعرف الحق، ويلزمه نفسه، ويمكنه من قلبه، ثم يدعو غيره إلى الاعتقاد بهذه الحقائق الثابتة.

فعلى المسلم إذا أن يحرص على معرفة الحق الذي أوجبه الله تعالى ويقوم به، ومن أجل هذا لا بد له من أخذ الأسباب التي تعينه على ذلك ومنها:

"1- العلم بالحق والإيمان به: فذاك هو السبيل للهداية إليه، والتسليم به وعدم التشكيك فيه، فإن معرفة الشيء أصل في الإيمان به، والإيمان به داع للعمل بمقتضاه، فالعلم بأنه لا إله إلا الله أصل في حسن التوجه إليه، وإخلاص الدين له، وتحقيق الخشية منه.

2- حسن الاستجابة للحق والرغبة فيه: فذاك يحقق الحب في مناصرته وتأييده وخضوع النفس له.

3- إيثاره على من سواه: فإن من آثر الحق سلك سبيله وهدي إليه، ومن آثر الباطل اتبعه واتخذ الشياطين أولياء.

4- النظر إلى العواقب: فإن من نظر إلى عاقبة أمر، أخذ نفسه به أو كف عنه، ومن عرف أن العاقبة لمن قام بالحق، واستجاب له، ثابر في أداء فرائضه والقيام بواجباته.

5- تقديم خشية الله ومرضاته على خشية الناس ومرضاهم: فإن من خشي الله آثر رضاه ولو سخط عليه الناس، ومن خشي الناس أرضاهم ولو بسخط الله، وفي ذلك نكوص عن الحق ومجانبة له وتفريط في التمسك به، والقيام بما أوجبه.

6- الثقة في وعد الله واليقين في الوفاء بعهده، فإن ذلك يعين على تطويع النفس لما أمرت به وإخضاعها وما ملكت لمرضاة ربها، فمن أيقن بالجنة سارع إلى الخيرات، ومن أيقن بالنار عف عن المحرمات.

7- النظر في آيات الله نظر تدبر وتبصرة وتذكرة، فإن ذلك يعين على النهوض بالحق والعلم به وإدراك خصائصه ونتائجه.

8- التوكل على الله: لا يستطيع النهوض بالحق إلا من أحسن التوكل على الله واعتمد عليه دون سواه.

9- أن يطيب نفسا بما يصدق الحق الذي يعرفه، وألا يضيق صدرا بالداعين إليه والمؤمنين به، فإن طلاب الحق، دعاة إلى الحق فحيث كان الحق كانوا معه، ولو كان مع عدوهم، وتلك تستوجب الإخلاص للحق والتجرد له.

10- الصبر: لا يستطيع نصرة الحق من لا يعتصم بالصبر، والاعتصام بالصبر يقترن بالثقة في وعد الله

1 -الرازي: التفسير الكبير ،ج32،ص85.

وأنه حق، وأن العاقبة لا تكون إلا لمحق.

11- الإخلاص في عبادة الله وعدم الإشراك به، فهو الأصل الأصيل الذي يعين المسلم على القيام بالحق، ومن فاته الإخلاص لله ضعف قيامه بالحق، وفترت همته.

12- الحرص على تبين الحق ومعرفته في كل شأن وسبيل ذلك آيات الله المترلة على نبيه وآياته في الآفاق وفي الأنفس.

13- تعهد القلب بالموعظة حتى لا ينسى أن الحق الذي نزل إنما نزل لهدايته وتبصرته.

14- لزوم جماعة المسلمين؛ فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار، يؤدي النصح لهم، ويتقبل النصيحة منهم، وهم يتعاونون على البر والتقوى، ويتواصون بالحق والصبر، ويؤدون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بر ورشد وحكمة وصدق، فذاك هو السبيل للفوز والفلاح"[1] .

رابعا-صفات المتواصين بالحق:

من أهم الصفات التي يجب أن يتميز بها المتواصون بالحق:

معرفته والثبات عليه، والاعتصام به، والإصرار عليه، فالذي يعلي قدر النفس ويرفع شأنها؛ معرفتها للحق واستمساكها به.

كما يجب أن تتوفر فيهم الجرأة الكافية والشجاعة للجهر بهذا الحق لأنهم منتدبون من الله تعالى لإشاعة الحق وإذاعته بين الناس، فلا قيام للباطل في أمة قائمة على الحق متواصية به في مختلف الظروف، داعية إليه في السراء والضراء.

فبالاعتصام بالحق والإصرار عليه انتصر المسلمون في بدر والخندق والحديبية والفتح، وفي جميع المعارك التي خاضوها ضد الفرس والروم والصيليبين والتتار والاستعمار."فمن كان في مدة عمره في التواصي بالحق والعمل بحسب الوصاة فلا خسران معه وقد جمع له الخير كله"[2].

كما أن التواصي بالحق يورث المحبة والألفة بين المتواصين ويورث الاجتماع والائتلاف، وينفي الفرقة والاختلاف، وكثيرا من الصفات الذميمة؛ كالاستعلاء والكبر والأنانية.فالتواصي بالحق:"إيثار مع الخلق

---

1 –محمد الراوي، كلمة الحق في القرآن موردها ودلالتها ،مكتبة العبيكان ،ط1،1415هـ،1995م، ج2، ص151،152 .

2 –أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ،ط1،1412هـ-1991م،ج15،ص565.

وصدق مع الحق"[1].

خامسا- قيمة الحق:

من عرف الحق واتبعه وأوصى به غيره، فإنه لا يضل عن الغاية ولا يتيه عن الطريق، ولا يتحير أمام المفارق، ولا تختلط عليه الأمور ولا "تتغبش"[2] عليه الرؤية.

" ففي الحق طمأنينة وسلامة، وفي الباطل حيرة وضلال وضياع، في الحق خير وأمن وراحة، وفي الباطل شر وخوف وقلق، في الحق والثبات عليه قهر للشيطان، ودحر للهوى الجامح، وفي الباطل واتباعه انقيادا لإبليس وخضوع للأهواء المردية وللشهوات المهلكة، وفي الحق نور وهداية واستقامة، وفي الباطل ظلام وعوج وشبهات مضلة"[3].

فمن كفر بالحق تفرقت به السبل واستهوته الشياطين وحُرم الهداية وضل السبيل، وكان له عذاب الجحيم.

ومن آمن بالحق وأوصى به أبصر نتائجه من إحياء للنفوس وحفظ للعقيدة وللحقوق " فانتصار الحق في النفس يحقق لها فوزا وفلاحا، وتلك ميزة لا تكون إلا للحق ومنفعة لا تقوم إلا به، تخضع له النفس فتعلو وتستجيب لأمره فتسمو وتعتصم به فتبرأ من العيوب وتسلم من النقائص، وتلجأ إلى غيره فلا تأمن إلا باللجوء إليه"[4].

فالتواصي بالحق يثمر الخير وينجي من الخسران المبين ويحقق الفوز والفلاح والنصر في الدنيا والسعادة السرمدية في الآخرة .

من خلال وصية التواصي بالحق نخلص إلى أن:

- معنى الحق اللغوي هو الثبات واليقين وضده الباطل .
- معنى الحق الاصطلاحي هو كل ثابت سواء كان موجدا أوموجدا أو اعتقادا أوفعلا .
- الإنسان لا يكفيه أن يعرف الحق لنفسه فقط بل لا بد أن يعرّفه لغيره وذلك بالدعوة إليه والتواصي به.

---

1 -أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري النيسابوري الشافعي ،تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1،1420هـ،2000م،ج3،ص446.

2 - الغبش: شدة الظلمة، قيل: هو بقية الليل، وقيل:ظلمة آخر الليل

3 -أحمد طاحون: أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم، ج1، ص178.

4 -الراوي : كلمة الحق في القرآن الكريم موردها ودلالتها، ج2،ص721.

- بالتواصي بالحق يعرف العبد دينه وعقائده فيكمل نفسه ثم يكمل غيره فيكون في غاية الكمال.
- لا يمكن للأمة المسلمة أن تتواصى بالحق إلا إذا عرفته، ولمعرفته لا بد من الأخذ بالأسباب المعينة عليه.
- التواصي بالحق أحد شروط النجاة من الخسران المبين.

المطلب الثاني:التواصي بالصبر

أوصىالله عز وجل بالتواصي بالصبر فقال :{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[1] و قال:{ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[2].

- فما مفهوم الصبر في اللغة؟وما مفهومه في الاصطلاح؟
- ما حقيقة الصبر ؟وكيف يحصل في قلب العبد؟
- ما الفائدة التي يجنيها العباد حين يتواصون بالصبر ؟
- من هي الطائفة الناجية من الخسران يوم القيامة ؟
- هل للصبر أنواع ؟وما هي أضربه؟
- ما هي أحكام الصبر في القرآن الكريم؟
- ما مراتب الصبر وما هي درجاته؟
- فيم تتمثل قيمة الصبر؟

أولا- الصبر في اللغة:

ورد الصبر في معاجم اللغة بالمعاني التالية:

" صبر: في أسماء الله تعالى: الصبور تعالى وتقدس؛ هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم.

والصبر: نصب الإنسان للقتل، فهو مصبور، وصبر الإنسان على القتل: نصبه عليه، وصبر الرجل يصبره: لزمه.

والصبر: نقيض الجزع.

وقوله تعالى: }وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} معناه: وتواصوا بالصبر على طاعة الله، والصبر عن الدخول في معاصيه.

1 -العصر :3.

2 -البلد:17.

والصبر: الجراءة، ومنه قوله تعالى:{ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ }[1] أي: ما أجرأهم على أعمال أهل النار. قال ابن عربي: قال عمر: أفضل الصبر التصبر، وقوله:{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}[2] أي: صبري صبر جميل، وقوله عز وجل:{ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ }[3] أي: اصبروا واثبتوا على دينكم، وصابروا: أي صابروا أعداءكم في الجهاد، وقوله عز وجل:{ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ }[4] أي: بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان، وشهر الصبر: شهر الصوم، وفي حديث الصوم[5]:" صم شهر الصبر" وهو:شهر رمضان.

وأصل الصبر: الحبس، وسمي الصوم صبرا لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح.

وصبر به يصبر صبرا: كفل، وهو به صبير. والصبير:الكفيل، تقول منه: صبرت أصبر صبرا وصبارة أي:كفلت به.

تقول منه: اصبرني يا رجل: أي أعطني كفيلا، وصبير القوم: زعيمهم المقدم في أمورهم.

والصبير: السحاب الأبيض الذي يصبر بعضه فوق بعض درجا.

والصبر جانب الشيء، وصبر الشيء أعلاه"[6].

فالصبر في اللغة له عدة معاني أهمها:

عدم التعجل، والجرأة، والثبات، والكفيل.

وأرى أنها تدور حول معنى واحد وهو:

لزوم الحالة التي يكون عليها وثباته لمدة معينة.

ثانيا- الصبر في الاصطلاح:

يأخذ الصبر مفهومه الاصطلاحي من معانيه اللغوية، حيث عرفه القرضاوي بقوله:

" حبس النفس على ما تكره، ابتغاء مرضاة الله كما قال تعالى:{ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ}[7] "[8].

---

1 - البقرة: 175.

2 - يوسف: 83،18.

3 - آل عمران: 200.

4 - البقرة: 153.

5 - أخرجه ابن ماجه في سننه ،كتاب الصيام ،باب صيام أشهر الحرم ،ح (1741).

6 -ابن منظور : لسان العرب ،دار صادر بيروت ،ج4ص 437 إلى 443 .

7 - الرعد: 22.

8 -يوسف القرضاوي ، الصبر في القرآن الكريم، مكتبة الشركة الجزائرية، ط1408هـ، 1987م، ص10.

وقيل:" هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسهما عنه، والصوم يسمى صبرا لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والشهوة"[1].

عرفه وهبة الزحيلي بقوله:"قوة في النفس تدعو إلى احتمال المشقة في العمل "[2].

أما الطنطاوي فعرف الصبر بأنه "قوة النفس على احتمال المكاره والمشاق"[3].

وذهب الشيخ محمد عبده إلى أن الصبر "هو تلقي المكروه بالاحتمال وكظم النفس ،مع الرؤية في دفعه،ومقاومة ما يحدثه من الجزع فهو مركب من أمرين :دفع الجزع ومحاولة طرده ثم مقاومة أثره حتى يغلب على النفس ،وإنما يكون ذلك مع الاحساس بألم المكروه ،فمن لايحس لايسمى صابرا وإنما هو فاقد الإحساس يسمى بليدا ،وفرق بين الصبر والبلادة ،فالصبر وسط بين الجزع والبلادة "[4] .

إن التعريفات الاصطلاحية" للصير" تدور حول معنى واحد،وهو حبس النفس على ما يقتضيه الشرع مع ترك الأفعال المشتهاة ابتغاء وجه الله.

إلا أن الشيخ محمد عبده ،جعل الصبر يتركب من أمرين :دفع الجزع ،ثم مقاومة أثره.

ثالثا- حقيقة الصبر و كيفية حصوله :

بين الشيخ أبو حامد الغزالي حقيقة الصبر فقال:" فإن ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى: الصبر، وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة، وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضاداها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة، فإذا قوي يقينه- أعني المعرفة التي تسمى إيمانا، وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى- قوي ثبات باعث الدين، وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة، وقوة المعرفة والإيمان تكبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها"[5].

فقد ابتعد الإمام الغزالي عن التقيد بالمفاهيم اللغوية ليبين معنى الصبر وحقيقته، وكيف يحصل للعبد، فذكر أن البواعث في الإنسان باعثان: باعث الهوى والشهوة، ويقابله باعث الدين حيث أنهما يثبتان

---

1 - أحمد الشرباصي ،موسوعة أخلاق القرآن،دار الرائدالعربي ،ط 2 :1407 هـ1987 م ، ج1، ص191.

2 - الزحيلي:التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج30،ص393.

3 - طنطاوي :التفسير الوسيط للقرآن الكريم،ج15،ص705.

4 - رشيدرضا:تفسير القرآن الحكيم ،ج4ص225.

5- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين،دار المعرفة،بيروت،لبنان ، ج4، ص63.

ويتراجعان، فلثبات باعث الدين، لابد من معرفة الإنسان بعداوة الشهوات ومضاداتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة، فإذا تيقن من ذلك وقوي ثبات باعث الدين، فيتم ترك الشهوة، فثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة هو الصبر.

كما بين حقيقته فقال:" فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها: باعثا دينيا، ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها: باعث الهوى، وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى، والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة و لم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين"[1].

إذن فالمعركة قائمة بين باعثين: باعث الهوى ومدده من الشياطين العاصين الله، ويقابله باعث الدين ومدده الملائكة المطيعون الله عز وجل، وميدان المعركة قلب العبد، فإن ثبت في قلبه باعث الدين وخالف الشهوة، وتغلب عليها، فقد تحلى بالصبر، وهو من أنصار حزب الله تعالى، وإن ثبت في قلبه باعث الهوى، وضعف فيه باعث الدين استحوذت عليه الشياطين وزينت له حب الشهوات فاستسلم لها، فهو من الجزعين، ومن أتباع الشياطين.

1- مصدر نفسه، ج4، ص63.

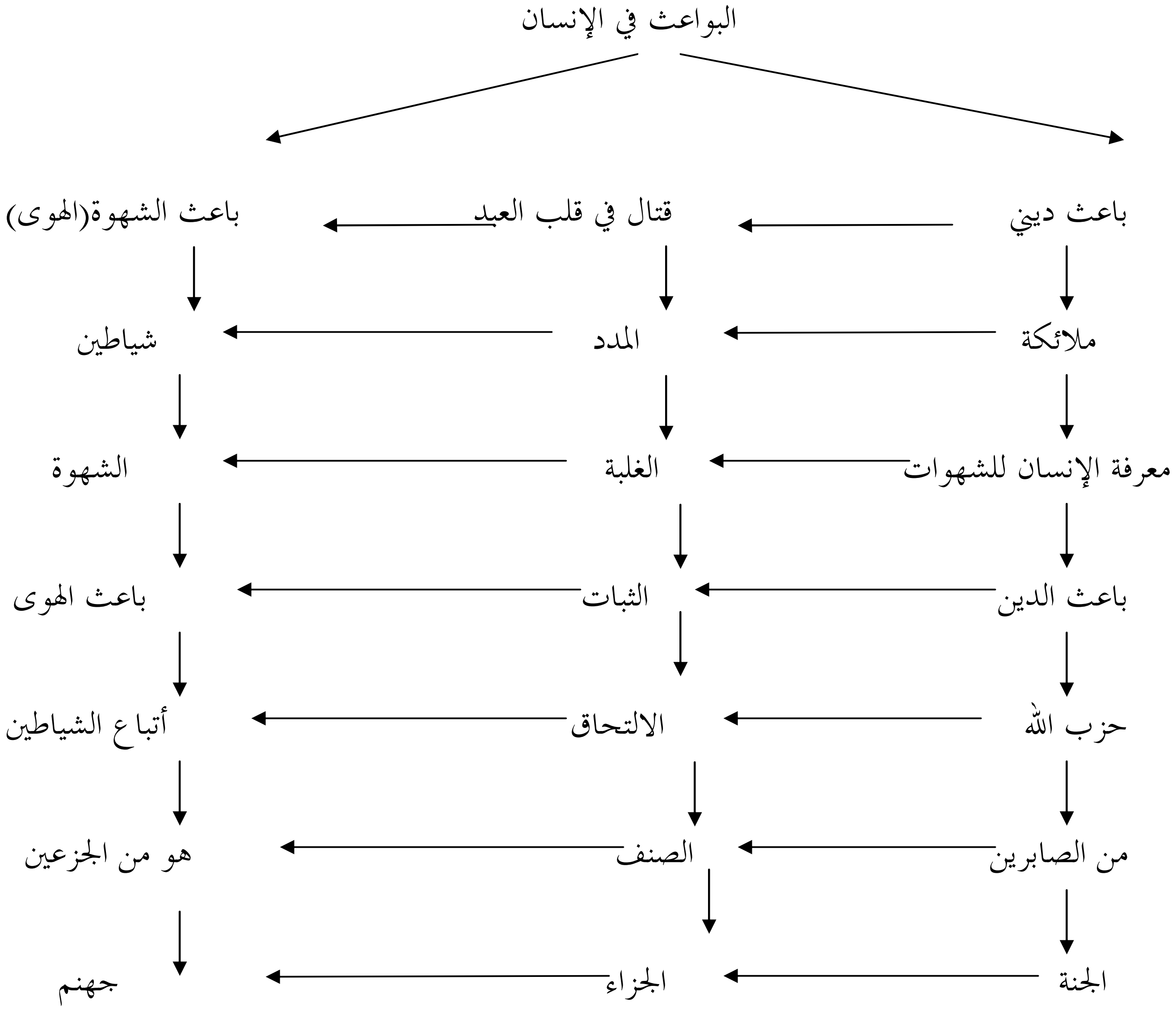
البواعث في الإنسان
باعث ديني
قتال في قلب العبد
باعث الشهوة(الهوى)
ملائكة
المدد
شياطين
معرفة الإنسان للشهوات
الغلبة
الشهوة
باعث الدين
الثبات
باعث الهوى
حزب الله
الالتحاق
أتباع الشياطين
من الصابرين
الصنف
هو من الجزعين
الجنة
الجزاء
جهنم

حقيقة الصبر

جعل الغزالي الصبر يتحقق بعد معركة بين البواعث في الإنسان، يثبت فيها باعث الدين على باعث الشهوة.

رابعا-التواصي بالصبر:

أمر الله عز وجل عباده أن يتواصوا بالصبر فقال:{ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[1] "والصبر ملكة تجعل صاحبها يحتمل ما يشق احتماله، وأن يحتمله دون شكوى، والصبر أنواع....ويلزمنا حين نوصي بالصبر أن نصحح معنى الصبر، وأن نؤمن بأنه طريق الفوز، وأن يخلص كل منا نصيحة أخيه بالتزام الصبر، فهو لا يكتفي بصلاح نفسه، بل ينقل الخير إلى أخيه في الإسلام"[2].

وقد أكد القرآن الكريم على فضيلة التواصي بالصبر، وجعلها صفة من صفات عباد الله الناجين من النار، الفائزين بالجنان، المقتحمين العقبة بسلام فقال عز من قائل:{ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {11} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {12} فَكُّ رَقَبَةٍ {13} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {14} يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ {15} أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ {16} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[3].

وقد فسر ابن قيم الجوزية معنى العقبة فقال:" العقبة مكان شاق كؤود يقتحمه الناس حتى يصلوا إلى الجنة، واقتحامه بفعل هذه الأمور، فمن فعلها اقتحم العقبة"[4].

واستشهد بأثر بعض الصحابة، حين حضره الموت بقوله:" وقال بعض الصحابة، وقد حضره الموت، فجعل يبكي ويقول: مالي لا أبكي وبين يدي عقبة كؤود، أهبط منها إما إلى الجنة، وإما إلى النار، فهذا القول أقرب إلى الحقيقة"[5].

والصبر عنصر ضروري للتقوى بصفة عامة ولاقتحام العقبة بصفة خاصة، والصبر درجة، والتواصي به هو درجة تماسك الجماعة المؤمنة فيقوي بعضها بعضا فلا تنهزم، وهو صبر جماعي، وأساسه الصبر الفردي، هذا ما قرره سيد قطب في ضرورة التواصي بالصبر بين أفراد الجماعة المؤمنة بقوله:" والصبر هو العنصر الضروري للإيمان بصفة عامة، ولاقتحام العقبة بصفة خاصة، والتواصي به يقرر درجة وراء درجة الصبر ذاته، درجة تماسك الجماعة المؤمنة وتواصيها على معنى الصبر، وتعاونها على تكاليف

1 - العصر: 3.

2 - الشرباصي :موسوعة أخلاق القرآن، ج3، ص202.

3 - البلد: 11، 17.

4 -ابن قيم الجوزية: الضوء المنير على التفسير، ج6، ص365.

5 - المصدرنفسه ، ص367.

الإيمان، فهي أعضاء متجاوبة الحس، تشعر جميعا شعورا واحدا بمشقة الجهاد لتحقيق الإيمان في الأرض، وحمل تكاليفه، فيوصي بعضها بعضا بالصبر على العبء المشترك، ويثبت بعضها بعضا، فلا تتخاذل، ويقوي بعضها بعضا فلا تنهزم، وهذا أمر غير الصبر الفردي، وإن يكن قائما على الصبر الفردي، وهو إيحاء بواجب المؤمن في الجماعة المؤمنة، وهو ألا يكون عنصر تخذيل بل عنصر تثبيت ولا يكون داعية هزيمة بل داعية اقتحام، ولا يكون مثار جزع، بل مهبط طمأنينة"[1].

والإيمان والتدين أصلان ضروريان في اقتحام العقبة لأن فيهما تحمل النفس ما يخالف هواها ومألوفها، وهما ضربان من ضروب الصبر.

فإذا تخلقت الأمم بالصبر وتواصت عليه فتحت نفوس الناس فيها لتقبل ما أمرهم الله به، فكانوا من أصحاب الميمنة.

يقول محمد الطاهر بن عاشور:" وأنت إذا تأملت وجدت أصل التدين والإيمان من ضروب الصبر، فإن فيه مخالفة النفس هواها ومألوفها في التصديق بما هو مغيب عن الحس الذي اعتادته وبوجوب طاعة واحد من جنسها لا تراه يفوقها في الخلقة، وفي مخالفة عادة آبائها وأقوامها من الديانات السابقة.

فإذا صار الصبر خلقا لصاحبه هون عليه مخالفة ذلك كله لأجل الحق والبرهان، فظهر وجه الأمر بالاستعانة على الإيمان وما يتفرع عنه بالصبر، فإنه خلق يفتح أبواب النفوس لقبول ما أمروا به من ذلك"[2].

فأساس التحلي بفضيلة التواصي بالصبر أن يكون أفراد المجتمع متخلقين بها، قائمين على التذكير بالتواصي بها، فتشيع بينهم، فيوصي الواحد منهم الآخر بها، فيتحقق التواصي بالصبر.

خامسا–التواصي بالصبر شرط النجاة من الخسران:

أكد الله سبحانه وتعالى في سورة العصر أن جنس الإنسان في خسار، ثم استثنى منهم طائفة متصفة بصفات: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالصبر والتواصي بالحق.

والتواصي بالصبر: هو أن يكون الإنسان صابرا موصيا غيره بالصبر.

يقول الرازي:" إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة ، لا يقتصرون على ما يخصهم، بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم، ليكونوا

---

1 - سيد قطب:في ظلال القرآن، دار الشروق، ط15: 1408هـ 1988م ،ج6، ص3913.

2 -ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج1، ص478.

أيضا سببا لطاعات الغير، كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين، وعلى هذا الوجه قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً[1] "[2].

والصبر جدير أن يتصف به أهل الإيمان، لأنه ملاك فضائل الأخلاق، والتحلي بالأخلاق الحميدة هو حمل النفس على مخالفة شهوات كثيرة، ويلاقي الإنسان من جراء تلك المخالفة مشقة لا بد له من الصبر عليها، حتى تصير مكارم الأخلاق من صفاته، وهكذا يسلم من خسران محيط به.

"ولعله سبحانه إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود، فإن المقصود بيان ما فيه الفوز بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية وإشعار بأن ما عدا ما عد يؤدي إلى خسر"[3].

والتواصي بالصبر تذكير وتشجيع من مجموعة اتجاهات فردية تحملت مشقة التكاليف في القيام بما يجب، وفي اجتناب ما يحرم، تفاعلت وتضاعفت حتى حققت هذا الصبر وتواصت به، فكانوا من الذين حققوا شرط النجاة من الخسران بتكميلهم قواهم بأم الفضائل.

" وفي جعل التواصي بالصبر قرينا للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره، وفخامة شرفه، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه أن الله مع الصابرين، وأيضا التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق، فإفراده بالذكر، وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة على إنافته على خصال الحق ومزيد شرفه عليها وارتفاع طبقته عنها"[4].

ويرى ابن قيم في تفسير قوله تعالى:{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ[5] أن الله عز وجل وهب الإنسان قوتين: قوة العلم وقوة العمل ، تكمل الأولى بالإيمان، والأخرى بالعمل الصالح.

كما أن له حالتين: حالة يأتمر فيها بأمر غيره، وحالة يأمر فيها غيره، فمن تحققت له القوتين مع الحالتين كان من الذين حققوا شرط النجاة من الخسران، فيقول :" ولما كان الإنسان له قوتان: قوة العلم وقوة العمل، وله حالتان: حالة يأتمر فيها بأمر غيره، وحالة يأمر فيها غيره، استثنى سبحانه من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح ، وانقاد لأمر غيره له بذلك ، وأمر غيره به من الإنسان الذي هو في خسر.

---

1 - التحريم: 06.

2 -الرازي: التفسير الكبير، ج32، ص85.

3 -إسماعيل حقي البرسوي، تفسير روح البيان ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ،(د،ت،ط)،ج10،ص507.

4 - أبو الطيب القنوجي البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار الكتب العلمية، ط1: 1420هـ، 1999م، ج7، ص544.

5 - العصر: 3.

فإن العبد له حالتان: حالة كمال في نفسه، وحالة تكميل لغيره، وكماله وتكميله موقوف على أمرين: علم بالحق، وصبر عليه، فتضمنت الآية جميع مراتب الكمال الإنساني : من العلم النافع، والعمل الصالح، والإحسان إلى نفسه بذلك، وإلى أخيه به، وانقياده وقبوله لمن يأمره بذلك"[1].

والصبر خلق أهل العزيمة الذين يعزمون على أوامر الله تعالى، فلا يتوانون عن مطلوب إلا قاموا به، فهم يفعلون الخيرات، ويقيمون الصلوات، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وإن لحقهم ضرر، فيصبرون على المصائب التي تلحقهم، يقول تعالى في سورة لقمان:{ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[2].

فالصبر يكون في مواطن الضيق والأذى والمشقة والتعب، فالأعمال الصالحة، وأعمال البر، والمأمورات ليست سهلة، بل قد يتعرض العبد وهو يؤدي عملا من هذه الأعمال إلى الضرر أو العرقلة، لكنه مطالب بإقامته مع الصبر على ما يصيبه.

يقول بيوض:"ولكن اعلم يا هذا أن الله أمرك بالصبر وقال:{ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ}[3] وليس الاعتناء بالصلاة وإقامتها يكونان فقط عندما تتهيأ الظروف، فلا تجد صعوبة ولا مشقة، لأنه إذا كان الأمر كذلك فلا منة لك ولا فضل، وإنما المنة والفضل عندما تتحمل في سبيل العبادة ما تتحمل، فتقوم بما أمرت به وتصبر على ما أصابك في سبيله"[4].

فالشعائر الدينية كلها كالصلاة، علينا إقامتها في كل الأحوال، سواء كانت الظروف مهيأة، أو غير مهيأة، سهلة أو صعبة، وعلى الإنسان أن يصبر في سبيل الآخرة كما يصبر في سبيل الدنيا، ولكن من الناس من يقيم الشعائر الدينية إذا تهيأت له الظروف، أما إذا لم تتهيأ ترك إقامتها، كأن يعاير إذا ذهب إلى الصلاة، أو يسخر منه إذا ترفع عن الدنايا والتزم بمبادئ الشريعة الإسلامية، قال تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ }[5] فهذه الفئة من الناس لا تعرف معنى الصبر، فهي تؤمن إذا أصابتها سراء، وتكفر حال أصابتها ضراء، لكن المسلم لا يسلم أبدا من الضراء ولا من الأذى، يقول بيوض:"..ولكن مهما عظم الأذى باليد أو باللسان، فلا يكون عذرا عند

---

1 -ابن قيم الجوزية: الضوء المنير على التفسير، ج6، ص453.

2 - لقمان: 17.

3- لقمان: 17.

4 - بيوض إبراهيم بن عمر ،في رحاب القرآن،نشر جمعية التراث القرارة،غرداية ،الجزائر، ط-1423هـ،2002، ج11، ص347.

5 - العنكبوت: 10.

الله في ترك الطريق القويم والسير في صراط الله المستقيم، ألا فلنعلم أن ذلك امتحان وفتنة يختبر بها الله عباده والويل الماحق والعذاب الشديد في ترك العمل الصالح من أجل ذلك، وهنا يكمن خطأ الناس وضلالهم إذ يجعلون فتنة الناس كعذاب الله"[1].

سادسا-أنواع الصبر من حيث الكسب:

إن الصبر من حيث الكسب على ثلاثة أنواع:

صبر على طاعة الله، وصبر عن معصيته، وهما صبران متعلقان بالكسب.

وثالث أنواع الصبر وهو صبر على امتحان الله وهو صبر على ما لا كسب للعبد فيه.

فصبر المسلم على طاعة الله، وعن معصيته إياه أكمل من صبره على امتحان الله، لأن الصبرين الأولين يجريان عليه بإرادته واختياره، وإيثاره لما عند الله، فهما صبران يتعلقان بكسب الإنسان، أما الصبر على امتحان الله، فهي أمور تجري على الإنسان بغير اختياره، وضراء تصيبه، فلا حيلة أمامه غير الصبر" قال بعض المشايخ :كان صبر يوسف عن طاعة امرأة العزيز ، أكمل من صبره على إلقاء إخوته إياه في الجب، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره. لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية، فصبر اختيار ورضى، ومحاربة للنفس، ولا سيما مع أسباب تقوى معها داعية الموافقة، فإنه كان شابا، وداعية الشباب إليها قوتة، وكان عزبا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته،وغريبا والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه وأهله، ويحسبونه مملوكا والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وقد غاب الرقيب ، وهي الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته بالسجن إن لم يفعل ،فمع هذه الدواعي كلها، صبر اختيارا وإيثارا لما عند الله، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه؟

والصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة، أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية"[2].

1 - بيوض :المصدر السابق ، ص350.

2 -الفيروزآبادي:بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج3،ص375،376.

سابعا–أضرب الصبر وأساميه[1]:

الصبر صبران: أحدهما ضرب بدني؛ ويكون إما بالفعل، كالأعمال الشاقة، وإما بالاحتمال، كالصبر على المرض العظيم، ويكون محمودا إذا وافق الشرع.

والآخر: هو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، فإن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي: (عفة)، وإن كان في مصيبة اقتصر على اسم(الصبر) ، وتضاده حالة تسمى: (الجزع والهلع).

وإن كان في احتمال الغنى سمي (ضبط النفس) وتضاده حالة تسمى (البطر)، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي (شجاعة) ويضاده (الجبن)، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي (حلما)، ويضاده (التذمر)، وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي(سعة الصدر) ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر، وإن كان في إخفاء كلام سمي (كتمان السر) وإن كان عن فضول العيش سمي(زهدا) ويضاده(الحرص)، وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي (قناعة) ويضاده الشره.

فمعظم شعب الإيمان تندرج تحت الصبر، لذلك كان نصف الإيمان، لأنه أساسه وأكثر أعماله.

ثامنا–أحكام الصبر الصبر في القرآن:

وردت عدة أحكام للصبر في القرآن الكريم وهي:

" 1- الأمر به، كقوله تعالى:{ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ }[2]. وقوله:{ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ}[3].

2- النهي عن ضده؛ نحو قوله تعالى:{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}[4].

3- الثناء على أهله، كقوله تعالى:{ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[5].

4- إيجاب محبة الله لهم، كقوله تعالى:{ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ }[6].

5- حفظ الله ونصره لهم، قال تعالى:{ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[1].

---

1 –الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص66-67.

2 – البقرة: 45.

3 – آل عمران: 200.

4 – الأحقاف: 35.

5 – البقرة: 177.

6 – آل عمران: 146.

6- الإخبار بأن الصبر خير لأهله، قال تعالى:{ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[2].

7- جزاؤهم بأحسن أعمالهم،كقوله تعالى:{ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[3].

8- يجازون بغير حساب، لقوله تعالى:{ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[4].

9- إطلاق البشرى لأهله، كقوله تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ }[5].

10- ضمان النصر والمدد لهم، كقوله تعالى:{ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ[6].

11- الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالى:{ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[7].

12- الإخبار بأن أهل الصبر يلقون الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة، قال تعالى:{ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ[8].

13- الإخبار بأن أهل الصبر ينتفعون بالآيات والعبر، كقوله تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }[9].

14- الإخبار بأن ثمرة الصبر هي الفوز المطلوب؛ بالنجاة من النار ودخول الجنة، كقوله تعالى:{ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ {23} سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}[10].

15- يورث صاحبه الإمامة، وأن بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، كقوله تعالى:{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ

---

1 - الأنفال: 46.

2 - النحل: 126.

3 - النحل: 96.

4 - الزمر: 10.

5 - البقرة: 155.

6 - آل عمران: 125.

7 - الشورى: 43.

8 - فصلت: 35.

9 - إبراهيم: 5.

10 - الرعد: 23،24.

أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[1].

16- اقترانه بمقامات الإسلام والدين، كما قرنه سبحانه باليقين والتقوى والتوكل والشكر والعمل الصالح والرحمة.

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمترلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له"[2].

تاسعا- مراتب الصبر ودرجاته:

الصبر على ثلاث مراتب:

"1- صبر بالله: الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى:{ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ }[3] يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

2- صبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأغراض.

3- الصبر مع الله: وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرا نفسه معها، سائرا بسيرها، مقيما بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، ويترل معها أين استقلت مضاربها.

فهذا معنى كونه صابرا مع الله، أي قد جعل نفسه وقفا على أوامره ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين.

وقيل مراتب الصابرين خمسة: صابر ومصطبر ومتصبر وصبور وصبّار.

فالصابر: أعمها، والمصطبر: المكتسب الصبر المليء، والمتصبر المتكلف حامل نفسه عليه، والصبور: العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره، والصبار: الكثير الصبر، فهذا في القدر والكم، والذي قبله في الوصف والكيف"[4].

---

1 - السجدة: 24.

2 -أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،دار الجيل بيروت ، ط1، 1413هـ 1991م ،ج1 ص174-175-176-177.

3 - النحل: 127.

4 - ابن قيم الجوزية:المصدر السابق ، ص180-181.

أما درجات الصبر فهو على ثلاث درجات:

" الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاء على الإيمان، وحذرا من الحرام، وأحسن منها: الصبر عن المعصية حياء.

الدرجة الثانية: الصبر على الطاعة، بالمحافظة عليها دوما، وبرعايتها إخلاصا وبتحسينها علما.

ففعل الطاعة آكد من ترك المعصية، فيكون الصبر عليها فوق الصبر عن ترك المعصية في الدرجة.

الدرجة الثالثة: الصبر في البلاء بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج وهوين البلية بعدِّ أيادي المنن، وبذكر سوالف النعم"[1].

عاشرا- قيمة الصبر:

للصبر قيمة عظيمة دينية وخلقية، فالدينية تتمثل في طاعة الله عز وجل والامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه، فيجني العبد من ذلك المغفرة والأجر الكبير، قال تعالى:{ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}[2] ومن تحققت له المغفرة والأجر فاز بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية، وقد قال صلى الله عليه وسلم:" من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولئن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إليَّ أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، ولكن أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي، فينكر بعضكم بعضا، وينكركم أهل السماء عند ذلك، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى:{ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم }[3]"[4].

كما أن الصبر ضرورة دنيوية، فلا تتحقق الآمال ولا النجاح، ولا أهداف الإنسان إلا بصبره، فلولا صبر الطالب لما تخرج، ولولا صبر الفلاح لما جنى، ولولا صبر الأم لما أنجبت،" وهكذا كل الناجحين في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر، استمروا المر، واستعذبوا العذاب، واستهانوا بالصعاب، ومشوا على الشوك، وحفروا الصخور بالأظافر، ولم يبالوا بالأحجار تقف في طريقهم، والطعنات تغرس في ظهورهم، وبالشراك تنصب للإيقاع بهم، وبالكلاب تنبح من حولهم، بل مضوا في طريقهم غير وانين ولا متوقفين

---

1 - ابن قيم الجوزية:مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،ج1، ص189- 190.

2 - هود: 11.

3 - النحل: 96.

4 -.قال فيه العراقي: لم أقف له على أصل. وروى ابن عبد البر من حديث معاذ" ما أنزل الله شيئا أقل من اليقين ولا قسم شيئا بين الناس أقل من الحلم".

مغضين الأعين على القذى، ساحبين الذيول على الأذى، متذرعين بالعزيمة مسلحين بالصبر"[1].

قد لا يتحقق لهم النجاح في المرة الأولى، إلا أنهم لا يستسلمون للفشل، ولا يفقدون الأمل، فينهضون ويصوبون ما أخطؤوه، ويعيدون المرة تلو المرة، حتى يحققوا آمالهم، ويروا الفرج.

" لقد عرف عشاق المجد، وخطاب المعالي، وطلاب السعادة أن الرفعة في الدنيا كالفوز في الآخرة لا تنال إلا بركوب المشاق وتجرع غصص الآلام، والصبر على كثير مما يحب، و عن كثير مما يكره، وبدون هذا لا يتم عمل، ولا يتحقق أمل... وإذا كانت هذه طبيعة الطريق الموصل إلى العلا والمجد فلا سبيل إلى اجتيازها إلا بالصبر، ولا يقدر عليها إلا الصابرون"[2].

والصبر ضرورة خلقية، فلا نجاة من النار إلا بالصبر عن الشهوات، ومن تغلب عليه دواعي الهوى والشهوات، سلم نفسه إلى الشياطين، فحكموا قلبه، فاشترى الحياة الدنيا بالآخرة، قال تعالى : {فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {29} ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ}[3]. فقد حكم على نفسه بالحق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحق من أتبع نفسه هواها.."[4]. فقد أبطل عمل العقل الذي سخره الله عز وجل للتذكر والتدبر والتأمل، فليس له هم إلا التفكير في الطريق الذي يوصله إلى الشهوات، فقد أصبح عقله في يد شهواته، شبهه الإمام الغزالي رحمه الله بمن يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار، فيكون أسيرا في أيديهم فيسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها، كذلك حال العبد فإنه يأسر عقله ويسلط عليه الشهوات، فكلاهما أسر ما لا يحق له أسره، وسلط عليه ما لا يحق تسليطه عليه، لكنهما يتفاوتان في الوجوب، فحق المسلم على نفسه أوجب من حقه على غيره، يقول رحمه الله:" كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير، وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم، لأنه بفاحش جنايته، يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لا يستسخر، وسلط ما حقه أن لا يتسلط عليه، وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله، وباعث الدين، وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين، وباعث الشياطين، وحق

1 -يوسف القرضاوي: الصبر في القرآن، ص15.

2 - مصدر نفسه، ص15،16.

3 - النجم: 29.

4 -أخرجه ابن ماجه ،كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له ،ح (4260)،وأخرجه الترمذي في سننه ،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ،ح(2459) وقال عنه حديث حسن.

المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه، فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من الشياطين المبعدين عن الله تعالى، كمن أرق مسلما لكافر، بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه، فانظر كيف يكـــون كفرانـــه لنعمته واستجابته لنقمته! لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى، والعقل أعز موجود خلـــق على وجه الأرض"[1].

وتتجلى أكبر قيمة للصبر في ضبط النفس، حيث يتغلب باعث الدين، ويثبت أمام باعث الشهوة الـــذي يتقهقر ويتراجع، فييأس جند الشيطان من التحكم في العبد، وتتبين الشهوات له فيهجرها، فيفارق عالم البهائم التي سلطت عليها الشهوات، ليلتحق بالصابرين وينصر حزب الله.

لهذه القيمة العظيمة للصبر، نوه الرسول صلى الله عليه وسلم بشأنه في أحاديث كثيرة، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" الصبر ضياء"[2] وقال:" الصبر نصف الإيمان"[3].

ولم يكرر القرآن الكريم ذكر خلق كما ذكر الصبر، فقد ذكره في نحو تسعين موضعا.

---

1 -الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص65.

2-أخرجه مسلم ،كتاب الطهارة،باب فضل الوضوء ،ح(223)،وأخرجه ابن ماجه ،كتاب الطهارة وسننها ،باب الوضوء شطر الإيمان، ح(280) .

3-أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الكبير ،تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ،ط2 :1406هـ ،1985م ،ج9،ص104 ح(8544).

من خلال وصية التواصي بالصبر أخلص إلى أن:

- لتحقيق هذه الوصية لا بد أن يتغلب باعث الدين الذي يمثل الحق على باعث الشهوة(الباطل).

-لا تتحقق وصية التواصي بالصبر إلا إذا تحققت وصية التواصي بالحق ، فوصية التواصي بالصبر مكملة للوصية الأولى(التواصي بالحق) فهما معا يحققان الفوز والفلاح والنجاة من الخسران.

- لا يكفي أن يكون الإنسان صابرا لينجو بل لا بد له أن يوصي غيره ويحثه على هذه الوصية ليكملــه وبذلك تتحقق نجاته في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: التوصية بالنهي عن الشرك

أوصى الله تعالى عباده بالنهي عن الشرك فقال:{ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً}[1]وقال على لسان لقمان عليه السلام :{ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[2].

- ما معنى "الشرك" في اللغة ؟وما مفهومه الاصطلاحي ؟
- ما أقسام الشرك ؟
- ما هي أهمية التوصية بالنهي عن الشرك؟

أولا- مفهوم الشرك في اللغة:

يأتي الشرك في معاجم اللغة بالمعاني التالية:

مخالطة الشريكين؛ يقال: اشتركنا؛ بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والجمع: أشراك وشركاء.

وأشرك بالله: جعل له شريكا في ملكه، تعالى الله عن ذلك، والاسم الشرك، قال الله حكاية عن عبده لقمان أنه قال لابنه:{ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[3].

والشرك أن يجعل لله شريكا في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد، وإنما دخلت التاء في قوله:{ لا تشرك بالله} لأن معناه لا تعدل به غيره، فتجعله شريكا له، وكذلك قوله تعالى:{ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً }[4] لأن معناه عدلوا به، ومن عدل به شيئا من خلقه، فهو كافر مشرك، لأن الله وحده لا شريك له ولا ند ولا نديد.

وقال أبو العباس في قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ}[5]، معناه: الذين هم صاروا مشركين بطاعتهم للشيطان. وفي الحديث:" من حلف بغير الله فقد أشرك"[6] حيث جعل ما لا يحلف به محلوفا به، كاسم الله الذي به يكون القسم.

والشرَك: حبائل الصائد، وكذلك ما ينصب للطير، واحدته شركة، والجمع:شُرُك؛ وهي نادرة.

---

1 -الأنعام : 151.

2 -لقمان:13.

3- لقمان:13.

4- الأعراف: 33.

5- النحل: 100.

6 -أخرجه الترمذي ،كتاب النذور والإيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله،ح(1535) وقال :الحديث حسن .

وشَرَك الصائد: حبالته يرتبك فيها الصيد،
والكلأ في بني فلان شُرُك أي طرائق؛ واحدها شراك.
والشراك سير النعل والجمع شرك."[1]
للشرك معنى لغوي يدور حول مخالطة شريكين هذا بالنسبة للبشر، أما من أشرك بالله فقد جعل له شريكا في ربوبيته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ أي عدل به غيره، كالرياء، والحلف بغير الله والطيرة.

ثانيا- مفهوم الشرك في الاصطلاح:

نورد مجموعة من التعريفات الاصطلاحية للشرك:

1-تعريف الراغب الأصفهاني:

جعل الراغب الشرك على ضربين فقال:" أحدهما الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر؟ قال الله تعالى:{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ }[2]، وقال:{ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }[3]، {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ}[4]،{يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً}[5]، وقال:{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا }[6].
" والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله:{ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[7]{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ }[8]
وقال بعضهم معنى قوله{ إِلَّاَ وهُمْ مشْرِكُونَ" أي واقعون في شرك الدنيا؛ أي حبالتها، ولفظ الشرك من الألفاظ المشتركة. وقوله:{ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً[9] محمول على المشركين، وقوله:{ فَاقْتُلُواْ

1 -ابن منظور :لسان العرب المحيط ،ج 2،ص306،-307.
2 - النساء: 116.
3 - النساء: 116.
4 - المائدة: 72.
5 - الممتحنة:12.
6 - الأنعام: 148.
7 - الأعراف: 190.
8 - يوسف: 106.
9 - الكهف: 110.

الْمُشْرِكِينَ}[1] فأكثر الفقهاء يحملونه على الكفار جميعا"[2].

- جعل الراغب الشرك على نوعين: الأول: هو الشرك العظيم. أما الثاني: فهو الشرك الصغير، وجاء بأدلة لكل نوع، أما المعاني الشرعية التي استعملها فهي قريبة من المعاني اللغوية.

وفرق بين النوعين وجعل الأول: بإثبات شريك لله في كل الأمور، أما النوع الثاني: فهو جعل شريك لله في بعض الأمور، ومثل لذلك بالرياء والنفاق، ولم يفرق بين الشرك والكفر، بل جعلهما بمعنى واحد.

2-تعريف أبي هلال العسكري:

"الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب، فمنها الشرك بالله، ومنها الجحد للنبوة؛ منها استحلال ما حرم الله، وهو راجع إلى جحد النبوة... الفرق بين الكفر والشرك، أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان، لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر، فقد ضيع خصلة من الإيمان، والشرك خصلة واحدة، وهو إيجاد ألوهية مع الله، أو دون الله، واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى، ثم كثر حتى قيل لكل كفر شرك على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته، وأصله كفر النعمة، ونقيضه الشكر، ونقيض الكفر بالله الإيمان، وإنما قيل لمضيع الإيمان كافرا لتضييعه حقوق الله تعالى، وما يجب عليه من شكر نعمة، فهو بمنزلة الكافر لها، ونقيض الشرك في الحقيقة الإخلاص، ثم لما استعمل في كل كفر، صار نقيضه الإيمان"[3].

من خلال تعريف أبي هلال العسكري يتبين لنا أنه فرق بين الكفر والشرك، فجعل الكفر لأنواع معينة من الذنوب العظيمة، كالشرك بالله، وإنكار النبوة واستحلال ما حرم الله، وهذه الذنوب تضاد خصالا من الإيمان، لأن تضييع خصال الإيمان، يكون بعد الكفر، و الشرك خصلة واحدة من خصال الكفر. والشرك هو جعل إله مع الله، أو دون الله، ثم انتشر الكفر وعم أكثر من خصال الكفر الأخرى حتى قيل لكل كفر شرك، ومن أضرب الكفر: كفر النعمة، ويقابلها الشكر، والشرك بالله، ويقابله الإخلاص، و الكفر به، ويقابله الإيمان.

إذن نستنتج أن الكفر لفظ عام والشرك خاص وهو أحد فروع الكفر.

3-تعريف بيوض:

" الشرك هو الكفر بالله. وله أنواع كثيرة، منها الظاهر ومنها الخفي، ومنها الشرك الذي هو إنكار

---

1 - التوبة: 05.

2 -الراغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القرآن، ص452.

3 -مبارك بن محمد الميلي،رسالة الشرك ومظاهره، دار البعث للطباعة والنشر،ط3-1403-هـ1982م،ص60.

وجود الله تماما، أو التقرب إليه بعبادة غيره من مخلوقاته. ويبدو أن كلمة: (الشرك) جاءت من: (الشركة) والتي نستعملها بلغتنا أخذا من العربية، فنقول: فلان شريك فلان، وهؤلاء شركاء.

وقد عبر الله تعالى بالشرك عن الكفر به و بأنبيائه وبالوحي الذي أنزل وبيوم القيامة والحساب والعقاب، وخاصة فيما يتعلق بعبادة غيره فنجده يقول مثلا:{ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}[1] والمظهر العام والأشهر للشرك، والذي عم أكثر البشر منذ القديم هو اتخاذهم آلهة يعبدونها تقربا إلى الله كما زعم أصحابها، ونص عليه تعالى في قوله:{ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}[2] "[3].

– أما بيوض فجعل الشرك كالكفر، وعدد أنواعه، ومثل له بالشرك الظاهر والخفي وإنكار وجود الله أو التقرب إليه عن طريق عبادة غيره، وبين أن المظهر العام للشرك، ليس إنكار وجود الله، إنما هو اعتراف البشر بوجوده واتخاذهم غيره آلهة تقربهم من الله عز وجل.

– وكذلك ابن قيم الجوزية فرق بين الشرك والكفر، فجعل الكفر ضربين، كما جعل الشرك ضربين؛ أكبر وأصغر، فالأكبر هو اتخاذ غير الله ندا، وحبهم له، والأصغر هو الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله.

فقال:" وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه؛ وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار:{ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {97} إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[4] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم...

أما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء والتصنع للخلق، والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال" من حلف بغير الله فقد أشرك"[5]

و قول الرجل للرجل (ما شاء الله وشئت)"[6].

---

1 - الكهف: 110.

2 - الزمر: 03.

3 -بيوض: في رحاب القرآن، ج11، ص170،171.

4 - الشعراء: 97، 98.

5 -سبق تخريجه ص55.

6- ابن قيم الجوزية:مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،ج1 ، 379،384.

ثالثا-أقسام الشرك وأحكمها:

بينت آية سورة سبأ أقسام الشرك وجعلتها أربعة أقسام؛ قال الله تعالى:{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ {22} وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ }[1].

القسم الأول: في قوله تعالى:{ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } نفى سبحانه أن يكون له شريك يملك شيئا ويستقل به، حتى وإن كان مثل الذرة، لا في السموت ولا في الأرض.

القسم الثاني: في قوله تعالى:{ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ } نفى سبحانه أن يكون لغيره أي شيء يشاركه فيه، سواء في ملكوت السماء أو الأرض.

القسم الثالث: يتمثل في قوله تعالى:{ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ } ينفي الله عز وجل أن يكون له ظهير أو معين في شؤونه.

القسم الرابع: في قوله تعالى:{ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } نفى الله تعالى كون أي شفاعة من أحد إلا إذا أذن بذلك.

" فهو تعالى لم يقبل من أقسام الشركة حتى أضعفها وأخفاها، وهي الشركة بالجاه في تحصيل السلامة والنجاة، إلا بعد الإذن للشفيع، وتعيين المشفوع له، وحينئذ لا تكون في الشفاعة رائحة الشركة. بل الشفاعة كغيرها من وجوه النفع هي لله وحده"[2].

وقد وضع مبارك بن محمد الميلي في "رسالة الشرك ومظاهره" أسماء لهذه الأقسام فسمى الأول بـ: شرك الاحتياز، والقسم الثاني بـ: شرك الشياع، أما القسم الثالث: فهو شرك الإعانة، والقسم الأخير: شرك الشفاعة. وقال:" و لم يخرج عن الآية شيء من أقسام الشركة لأن الشريك إما في الملك، وإما في التصرف، والأول: إما أن يختار قسطه، وإما أن يكون على الشياع، والثاني: إما أن يعين المالك وإما أن يكون أحدا عند المالك، فتلك الأقسام الأربعة مرتبة ترتيبها في الآية"[3].

وقد قسم أبو البقاء الحنفي الشرك إلى ستة أقسام، فقال:" والشرك أنواع: شرك الاستقلال، وهو إثبات شريكين مستقلين، كشرك المجوس، وشرك التبعيض؛ وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى، وشرك

---

1 - سبأ: 22، 23.

2 - الميلي :رسالة الشرك ومظاهره ، ص62.

3 - المرجع نفسه.

التقريب، وهو عبادة غير الله يقرب إلى الله زلفى، كشرك متقدمي الجاهلية، وشرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعا للغير، كشرك متأخري الجاهلية، وشرك الأسباب، وهو إسناد التأثير للأسباب العادية، كشرك الفلاسفة والطبائعيين، ومن تبعهم على ذلك، وشرك الأغراض، وهو العمل لغير الله، فحكم الأربعة الأول: الكفر بإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل: فمن قال في الأسباب العادية إنها تؤثر بطبعها فقد حُكيَ الإجماع على كفره، ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق"[1] .

الشرك عند أبي البقاء: ستة أنواع تتفق في حكم واحد وهو الكفر ما عدا الفرع الثاني من القسم الخامس فحكمه الفسق، أما القسم السادس فهو يتفرع إلى فرعين، الفرع الأول: إن كان العمل لغير الله رياء فهو معصية، وإن كان العمل لغير الله نفاقا فهو كفر.

- علق الميلي على هذه الأقسام فقال:" والنوع الثاني عند أبي البقاء خارج عن الآية لبعده عن العقل والطبع معا، والأول عنده شامل للأول والثاني في الآية، والثالث والرابع عنده يشملهما الرابع في الآية، والخامس والسادس يتناولهما الثالث في الآية الذي هو شرك الإعانة، لأن المعتمِد على الأسباب مستعين بها، والمرائي والمنافق مستعينان بمن يعملان له"[2].

- فالميلي أسقط الأنواع الستة التي قسمها أبو البقاء، فوجدها تتوافق مع أقسام الشرك التي حددتها آية سبأ،ما عدا النوع الثاني فهو لا يوجد في تقسيمات الآية، لأنه لا يتوافق مع العقل ولا مع الطبع.

نستنتج أن أقسام الشرك محددة بآية سبأ، وهي أربعة أقسام:

1- شرك الاحتياز.

2- شرك الشياع.

3- شرك الإعانة.

4- شرك الشفاعة.

رابعا-شرك الربوبية:

توحيد الربوبية يقتضي أن نعرف الله عز وجل ونؤمن به وبربوبيته ونثبت أسماءه تعالى وصفاته، وننفي الشرك عنه.

1 -أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات ،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،مؤسسة الرسالة ،ط2-1413هـ-1993م ص533.

2 -الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، ص62.

يقول صاحب عقيدة المؤمن معرفا توحيد الربوبية:" إن توحيد الربوبية يدور على المعرفة بالله وربوبيته ونفي الشرك له في ذلك، كما أن توحيد الأسماء والصفات يدور على إثبات أسماء الله تعالى وصفاته ونفي الشريك في الأسماء وعدم التمثيل والتعطيل في الصفات"[1].

ويتحدث عن الشرك في الربوبية فيقول:" والشرك في ربوبيته تعالى أو أسمائه وصفاته كفر، وفي عبادته تعالى إن كان الفاعل عالما مصرا عليه كفر كذلك، إذ الشرك في ربوبية الله تعالى وأسمائه وصفاته تكذيب لله تعالى وكذب عليه عز وجل"[2].

إذن شرك الربوبية هو الشرك والكفر بأسماء الله وصفاته، وكذلك في عبادته، وهذا يعني تكذيبا لله وكذبا عليه.

ولشرك الربوبية عدة مظاهر في الأمة الإسلامية من بينها ما يلي:

" 1- اعتقاد كثير من عوام المسلمين أن الأولياء والصالحين لهم قدر من التصرف في حياة الناس، كما شاع أن لهم ديوانا يطلق عليه (ديوان الصالحين) منه تصدر القرارات السارة والضارة التي تخصهم، فتعلقت قلوب الكثيرين بالصالحين، وهتفت بهم الألسنة، فنودوا للخلاص من المحن.

2- شيوع اعتقاد باطل كاذب ورسوخه في نفوس كثير من المسلمين، وهو أنه لأرواح الأولياء والصالحين تصرف بعد موقم، فأصبحت الأضرحة والقبور قبلة توجه كل مريض وخائف وكل مصاب بكرب وصاحب حاجة وكلهم رجاء وطمع في نيل مرادهم..

3- الخوف من الجن والاستغاثة بهم، وتقديم القرابين لهم، كالتي تذبح على حافات الآبار عند حفرها، وعلى أعتاب المنازل عند إتمام بنائها.

4- تقديس المشايخ من رجال التصوف والطرقيين والمشعوذين، وطاعتهم في غير طاعة الله تعالى، وقبول ما يشرعون لهم من البدع، وما يسنون لهم من سنن الباطل، واتباعهم في ترك سنن الهدى، ومعاداقما وأهلها.

5- الخنوع للحكام غير المسلمين، والخضوع التام لهم، وطاعتهم بدون إكراه منهم لهم، حيث حكموهم بالباطل، وساسوهم بقوانين الكفر والكافرين، فأحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم في كل ذلك"[3].

---

1 - أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن ، دار الشهاب، باتنة، ط1، ص85.

2 - المرجع نفسه ، ص90.

3 - المرجع نفسه ،ص 81، 82، 83.

فهذه بعض أنواع الشرك في ربوبيته تعالى، وهذه المظاهر موجودة في الأمة الإسلامية وإلى يومنا هذا.

خامسا- الشرك في الألوهية:

إن عبادة غير الله سبحانه وتعالى تأليه لغيره وشرك به، وتكذيب له عز وجل، وهو القائل:{ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ }[1].

والشرك في ألوهيته تعالى قد يكون في عبادته أو بالكلام على ذات الله وصفاته وأفعاله، ومن بعض مظاهره في الأمة الإسلامية الآتي:

أ- التفكير في الذات المقدسة: إن التفكير في ذات الله تعالى ومحاولة إدراك كنهها محرم شرعا، لأن ذلك مستحيل على العقل، لأن الله تعالى لاتدركه الأبصاره ولا تكتنهه العقول، وهو ليس كمثله شيء، والعقول تدرك المادة المحيطة بها، والله تعالى هو خالقها، والخالق لا يكون جزءا من مخلوقه، فذات الله مقدسة، وهي موصوفة بصفات عليا، فمن شبه ذات الله تعالى بذات المخلوقات، أو ادعى إدراك كنهها، ومعرفة حقيقتها، أو تكلم فيها فقد كفر وأشرك"[2].

ب- تأويل صفات الله تعالى وأسمائه:" وصف الله عز وجل نفسه على لسان رسوله بصفات عليا، وسمى نفسه بأسماء حسنى، فوجب على المؤمن الإيمان بذلك، وإطلاقه عليه تعالى على ما هو مراده منه، فمن نفى عنه ما وصف به نفسه، وسماها به من أسماء فقد كفر، ومن شبه تلك الأسماء والصفات بأسماء وصفات البشر، فقد كفر وأشرك إذ هو يتردد في ذلك بين تكذيب الله تعالى والكذب عليه وكلاهما كفر شنيع وظلم عظيم"[3].

جـ- إشراك غيره في عبادته تعالى: بين الله عز وجل أن وظيفة الإنسان في الأرض هي توحيده وعبادته، وفرض عليه أنواعا من العبادات، ذكرها في كتابه العزيز، ثم جاءت السنة لتبين له طريقة العبادة، فأمرنا عز وجل بعبادته وفقا لما جاء في القرآن وما بينته السنة، فمن عبده وفقا لهما فقد أطاع الله، أما من عبده بغير ما شرعه له، فهو عابد لهواه، وأيضا من عبده كما شرع لنا في الكتاب والسنة لكنه أشرك معه غيره فقد أشرك وكفر، فمن العبادات التي شرعها الله لعباده ليعبدوه بها وحده، ولا يشركوا معه غيره: عبادات القلوب؛ كالإيمان والمحبة والخوف والخشية والرجاء والرغبة والإنابة والتوكل، وكذلك أعمال

---

1 - آل عمران: 18.

2 - أبو بكر الجزائري :عقيدة المؤمن، ص92،91.

3 - المرجع نفسه، ص92.

الجوارح، كالدعاء والاستغاثة وذبح القربان والركوع والسجود والنذور وتعظيم الله بالحلف والتوسل والاستشفاع والتبرك...فهذه بعض أنواع الشرك في الألوهية التي يقع فيها الكثيرون فعلينا أن نحذرها وأن نخلص الطاعة والعبادة لله عز وجل بكل ما شرع أن يعبد به، وألا نشرك معه غيره فيهما، قال تعالى:{ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[1] وبذلك ننال رضوان الله.

سادسا-وصية النهي عن الشرك:

إن التوحيد هو أساس الدين، كما أنه الأصل الذي لا تكون النجاة إلا به وهو وصية الأنبياء جميعا، وصى بها النبيون من آدم عليه السلام، إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

فالله عز وجل يوصينا بعبادته، وينهانا عن الإشراك به، قال تعالى في سورة الأنعام:{ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً }[2] فالإشراك بالله من أكبر المحرمات، وأكثرها إفسادا للعقل والفطرة، سواء كان هذا الشرك صغيرا أو كبيرا، وسواء كانت المعبودات عظيمة في الخلق أو في القدر. وكيف نعبدها ونذر خالقها وموجدها؟ وكيف للإنسان أن ينكر ويجحد نعم الله عليه؟ قال تعالى:{ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}[3].

قال البقاعي وهو يفسر سورة الأنعام:{ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً }الآيات مرتبة جملها أحسن ترتيب، فبدأ بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل"[4].

بالتوحيد تقوم حياة سوية للبشر، وتستمد منها حقوقهم وواجباهم، وهو القاعدة التي يقوم عليها بناء الدين من أوامر ونواهي وشرائع وأحكام، فيجب على الإنسان أن يعترف أولا لله بالألوهية والربوبية قبل تنفيذ أي أمر أو حكم، أو اجتناب أي نهي.

وبتوحيد الله عز وجل، تنقى الضمائر من الشرك، والعقول من الخرافات، والمجتمع من الجاهلية، ومن جميع المعبودات غير الله عز وجل.

---

1 - الأنعام: 162، 163.

2- الأنعام: 151.

3 - فاطر: 3.

4 -برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدررفي تناسب الآيات والسور،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1-1415هـ،1995م، ج2، ص741.

والشرك هو المحرم والمنكر الأول لأنه يقود بعد ذلك إلى كل المحرمات، والمراد بالشرك الذي نهت عنه الآية هو الشرك في الاعتقاد، كما أنه الشرك في حاكمية الله تعالى، وهذا ما أثبتته الآية السابقة في قوله تعالى: { قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَـذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}[1].

" إن الله قبل أن يوصي الناس أي وصية، أوصاهم ألا يشركوا به شيئا، في موضع من السياق القرآني يحدد المعنى بالشرك الذي تبدأ بالنهي عنه جميع الوصايا.

إنها القاعدة التي يرتبط على أساسها الفرد بالله على بصيرة، وترتبط بها الجماعة بالمعيار الثابت التي ترجع إليه كافة الروابط، وبالقيم الأساسية التي تحكم الحياة البشرية، فلا تظل نهبا لرياح الشهوات والنزوات"[2].

فدعوة التوحيد لم تكن دعوة خاصة بالرسل والأنبياء فقط، بل كانت دعوة الحكماء أيضا، فكان لقمان الحكيم الذي آتاه الله الحكمة يعظ ولده ويوصيه، وكانت أول وصية وصاه بها، هي قوله تعالى على لسان لقمان: { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[3].

لكن لماذا يوصينا الله تعالى على لسان لقمان، ولا يأمرنا وينهانا مباشرة كبقية الأحكام؟ هذا ما يجيبنا عنه بيوض بقوله:" ذلك لأن الله تعالى يعلم أن الناس يقتدي بعضهم ببعض، ويؤثر بعضهم في بعض، ومن أعظم ما يؤثر في النفوس القدوة، سواء أكانت حسنة أم سيئة، فالله تعالى إذا أراد الخير بأحد يجعل محبته وثقته في إنسان صالح يجعله نصب عينه مثله الأعلى يقتدي به، ويتشبه به، ويتقبل نصائحه، ويعمل بوصاياه"[4].

فالاقتداء يكون بالتماثل في الخلقة وفي القدرة، فلا فضل لأحد على الآخر، فإن قام أحد بعمل فإنه غير مستحيل على غيره، وبهذا يكون الاقتداء، والإنسان خلق بطبعه يتأثر بغيره، فإما أن يكون متأثرا بقدوة حسنة فيتبعها في كل الأحوال، وإما أن يتأثر بقدوة سيئة فيتأثر بها في كل أعماله وأقواله، لكنه يستحيل عليه أن يتأثر بملك أو بجن وذلك للاختلاف التام بينهم، لأنه لا يتأثر من خلق من طين بمن خلق من نور أو من نار، وأيضا للاختلاف التام في القدرة.

لعل هذا هو المقصد والهدف من جعل هذه الوصية على لسان لقمان عليه السلام.

---

1 - الأنعام: 150.

2 - سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص1230.

3 - لقمان: 13.

4 -بيوض: في رحاب القرآن، ج11، ص90.

هذه الوصية موجهة لولد لقمان، لكن السؤال المطروح: هل كان هذا الولد كافرا أم مؤمنا يوصيه والده بالحفاظ على إيمانه؟

لم يرد في القرآن ولا في السنة دليل يثبت أن هذا الولد كافر، كما أنه لم يثبت فيهما أنه يوصيه والـــده بالثبات على دينه، فكثر الاختلاف، فذهب بعض المفسرين إلى أن هذا الولد كافر، وكان والده يوصيه ليرد كفره ويؤمن بالله، كما اختلفوا في كونه: هل استجاب لوصية والده وآمن، أم تمادى على كفره.

وذهب بعضهم إلى أنه مؤمن، وإنما كان أبوه يوصيه ليحافظ على إيمانه، ولبيوض رأي يبدو أنه الحـــل المناسب لهذا الاختلاف يقول :" ...إنما الذي يتتبع الوصايا التي أوصى بها لقمان ابنه يجدها كلها وصايا تليق بمؤمن لا بكافر، فلو كان ابن لقمان كافرا لما أمكن أن يستجيب لهذه الوصايا، ولما أمكن للقمـــان أن يوصي ابنه بها وهو يعلمه مشركا، وخاصة قوله:{ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَـــا أَصَابَكَ }[1] طبعا الصبر في طريق الأمر والنهي وإقامة الدين، فهذه- بمقتضى الظاهر- توجه إلى إنـــسان مؤمن يوصى بأن يكون شديد التمسك بإيمانه، يعمل بمقتضاه، ثم بعد ذلك يقوم بالدعوة إليه والصبرفي سبيله"[2].

إن الدين ينقسم إلى شطرين: أصول وفروع، فالكافر يخاطب بأصوله لا بفروعه، فإذا آمن وأسلم فإنـــه يخاطب ببقية فروعه.

وجملة هذه الوصايا تتضمن أصول الدين: كالنهي عن الشرك وإقامة الصلاة، كمـــا تتـــضمن فروعـــه: كالصبر والنهي عن التكبر.فلو كان ولد لقمان كافرا لما وصاه بفروع الدين ولاكتفى بأصوله، وبما أنـــه خاطبه بأصول الدين وفروعه فيعني هذا أنه مؤمن.

وقد أنكر الله عز وجل كل أنواع الشرك، وخاصة ذلك الذي يتخذون فيه آلهة يعبدونها تقربـــا إلى الله تعالى، أو يتقربون بأوليائهم الذين اشتهروا عندهم بالصلاح والتقوى، هذا ما يعرف بالأضرحة، فيذبح لهم، ويتقرب إليهم بالقرابين، ويرجى منهم النفع ودفع الضر، والشفاء والـــشفاعة...معتقـــدين بـــأنهم مدنسون بالذنوب لا يستطيعون الوصول إلى الله إلا بواسطة من الأولياء الصالحين، فيقربوهم من الله عز وجل الذي سيشفع فيهم ويغفر لهم ذنوبهم، ويدفع عنهم الضر، ويجلب لهم النفع، قال تعالى:{ وَالَّـــذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}[3].

---

1 - لقمان: 17.

2 - بيوض: في رحاب القرآن،ج11،ص169.

3- الزمر: 3.

والله عز وجل ليس بحاجة إلى أي واسطة للتقرب إليه، وإنما التقرب يكون بتوحيده عز وجل والإيمان به وبالعمل الصالح.

والرسل أفضل خلق الله على وجه الأرض لا يشفعون لأحد وإن كان ذا قربى.

وأكبر الشرك هو إنكار وجود الله تعالى، وأن هذا الكون وجد صدفة وهذا هو الإلحاد.

إننا بحاجة ملحة أن يذكر بعضنا بعضا بقوله تعالى:{ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }[1]، وأن نبدأ بالدعوة إلى الإيمان وعدم الإشراك بالله، في عصر كثر فيه أعداء الإسلام، وانتشر الكفر والإلحاد حتى في بلاد المسلمين، وعم كثيرا من الشباب.

وصف الله الشرك بالظلم فما أقسام الظلم؟ ولماذا وصفه الله عز وجل بالظلم العظيم؟

أما أقسام الظلم فقد صنفها مبارك الميلي إلى ثلاثة أصناف:" ظلم في حق الله، وظلم للناس، وظلم للنفس، والشرك اجتمعت فيه الأنواع الثلاثة: فالظلم في حق الله بعدم توحيده، والظلم للمعبود مع الله بإيذائه، وإن كان صالحا، وتغليطه في نفسه إن كان جاهلا، والظلم للنفس بإذلالها، وتعبيدها لمن هو مثلها في الافتقار والاحتياج"[2].

الظلم في القرآن يأتي بمعنى المعاصي كلها، سواء أكان شركا أو ما دونه من ارتكاب المعاصي والسيئات، وإهلاك الأمم التي كفرت برسلها من قوم نوح إلى قوم هود إلى صالح ولوط وشعيب...قال تعالى:{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ}[3] وقال تعالى:{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[4].

" فالله تعالى يعبر بظلم النفس ليبين لنا أن العاصي – وإن كان عصى المعصية الكبرى- التي هي الشرك بالله أو كفر بأنبيائه ورسله أو ما دون ذلك مما يعصى به، من عدم امتثال الأمر واجتناب النهي، وإن ادعى الإيمان بالله والكتاب وبالرسول – فإنه ظالم لنفسه، بل عبر بالظلم على أكثر من هذا على الذين عفا الله عنهم من المؤمنين الذين كثرت سيئاتهم وأسرفوا على أنفسهم خاطبهم بقوله:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً}[5] فتابوا وأنابوا وماتوا على التوبة والاستغفار وعلى حسن الخاتمة، فكانوا من المؤمنين الذين يرثون الجنة. ولما ذكر الله تعالى

1 - لقمان: 13.

2 -الميلي : رسالة الشرك ومظاهره، ص51.

3 - هود: 101.

4 - النحل: 118.

5 - الزمر: 53.

تقسيم درجات المرضي عنهم من أصحاب الجنة قال:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}[1] "[2].

فالقرآن الكريم يسمي مرتكب المعاصي ظالما لنفسه، والمعاصي دركات أسفلها الشرك بالله، وسميت المعاصي ظلما، لأن مرتكبها ظلم نفسه، ودنسها وأهانها وعرضها للعقاب وألقاها في جهنم.

إذن فالظلم لا ينحصر في التعدي على الآخرين بضرب أو قتل أو سرقة مال أو شتم أو سب أو غير ذلك من الأذى،فهو أشمل من ذلك، وهو تعد على النفس بالمعاصي والإثم، وعدم إعطائها حقها في الدنيا وفي الآخرة.

فعلى المسلم أن يجتنب كل أنواع الظلم؛ صغيرها وكبيرها، عظيمها وحقيرها، حتى يكون من الذين استمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وكفروا بالطاغوت، قال تعالى:{ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[3].

ولا يشرك بالله شيئا، لأنه من يشرك بالله فكأنما سقط من السماء فتمزقه الصقور والنسور، وغيرها من كواسر الطير، أو تهوي به الريح في هاوية بعيدة القعر، قال تعالى:{ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }[4].

وقد حذر الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم من الشرك الأصغر (الرياء) كمن قصد بالعبادة مراءاة الناس ليحبوه أو ليعطوه أو ليقال عنه أنه مصل، وقد نسي الله في عبادته، فعمله للناس من أول الأمر، ومن أمارات (الرياء) أن يحسن المرء العبادة أمام الناس، وينقصها إن كان وحده، فمن أراد الله به خيرا حفظه من هذا الشرك، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قل: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لئن يقال: جريء وقد قيل، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النار"[5].

ومن أنواع الشرك أيضا؛ التوجه والتضرع بالدعاء لغير الله تعالى، والتقرب لغيره بالقرابين، قال تعالى:{

---

1 - فاطر: 32.

2 - بيوض:في رحاب القرآن، ج11، ص183.

3 - البقرة: 256.

4 - الحج: 31.

5 -أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ح(1905)وأخرجه الألباني ،صحيح سنن النسائي ،كتاب الجهاد ،باب من قاتل ليقال :فلان جريء، ح(3137).

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ}[1].

- ما هو أخطر أنواع الشرك؛ الرياء أم التقرب لغير الله بالقرابين؟ يجيبنا بيوض فيقول:" إن هناك فرقا بين الرياء وبين هذه الذبائح التي يقصد بها غير الله، ذلك لأن الرياء أمر خاص، كل يسأل فيه عن نفسه وحده، ولا يكون له مظهر جماعي، ولذلك كان خطره أقل باعتبار المجموع، أي باعتبار الطعن في الإسلام، وهدم عقيدته الصحيحة، وأما هذه المظاهر فتتخذ صورة جماعية، إذ يحيطها الناس بطقوس وعادات حتى تأخذ صورة شعيرة من شعائر الله التي أمر أن تقام، كما أمر بإقامة صلاة الجماعة والجمعة ومناسك الحج، ونادرا ما يقوم شخص بمفرده ويذبح شيئا لغير الله"[2].

رجح بيوض خطورة التقرب لغير الله بالذبائح والقرابين على خطورة الرياء، باعتبار المجموع واتفاقهم على هدم عقيدة صحيحة، وهذا التقرب جعلوه عبادة كالعبادات الجماعية التي أمرنا الله بأدائها، فهم لا يفوتون لها موعدا، فقد أحلوا ما حرم الله، واتفقوا على ذلك.

أما الرياء فله صورة فردية، لاتمثل طعنا في الإسلام، لأن الأمر خفي لا يعلمه إلا الله، هذا باعتبار الفرق بينهما، أما أنهما يجتمعان فكلاهما شرك عظيم بالله تعالى، وأن لكل نوع منهما عقابا توعد الله به المشركين.

كذلك الحال بالنسبة للدعاء، فالتوجه بالدعاء لغير الله تعالى شرك، وكيف يتوسل الإنسان إلى الميت، وهو لا ينفع حتى نفسه؟ قال الله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[3].

" فهي جبلة واحدة وطبيعة للمكذبين، وهو استقبال واحد للحق وللرسل يستقبلهم به المنحرفون:{ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ }[4] كما يقول هؤلاء المشركون! كأنما تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون! وما تواصوا بشيء، إنما هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق والقصد تجمع بين الغابرين واللاحقين"[5].

فهل هذا التكذيب تواطئوا عليه وأوصى بعضهم بعضا بأن لا يقولوا إلا هذا الكلام: ساحر أو مجنون؟

---

1 - المائدة: 3.

2 -بيوض: في رحاب القرآن، ج11،ص 221،222.

3 - العنكبوت: 17.

4 - الذاريات:52.

5 -قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3386.

الجواب في تتمة الآية:{ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }[1] بسبب التشابه في أعمالهم، وفي الإشراك تتماثل أقوالهم:"...ما هو بتواصي، ولكنه تماثل في منشئ ذلك القول، أي بسبب تماثل المقالة تماثل التفكير والدواعي للمقالة، إذ جميعهم قوم طاغون، وأن طغيانهم وكبرياءهم يصدهم عن اتباع رسول يحسبون أنفسهم أعظم منه"[2].

– فواجب الرسل قول الحق وإذاعته والتذكير به، حتى وإن أعرض الناس، لأنهم غير مسؤولين عن هذا الضلال:{ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ }[3] فهم غير ملومين على هذا الإعراض والتكذيب، ولم يكتفوا بالإعراض فحسب، وإنما افتروا على الرسل الأقاويل، فقالوا: إن إبراهيم مشرك، ففند الله عز وجل قولهم قائلا:{ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[4] فإنه لم يدع مع الله غيره، وتبرأ من كل ما عبد قومه، كما تبرأ من والده المشرك، قال تعالى:{ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {130} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }[5].

وملة إبراهيم الخليل: الإسلام الخالص لله، ومن يعرض عن هذا الدين الذي اصطفاه الله واختاره، فقد ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره وكفره، وقد أوصى إبراهيم بنيه بالتمسك بالدين الذي اصطفاه لهم الله عز وجل، وعدم مفارقته بالشرك أو الكفر، يقول الألوسي في تفسير هذه الآية:" إن الله اصطفى لكم الدين" أي: جعل لكم الدين الذي هو صفوة الأديان بأن شرعه لكم ووفقكم للأخذ به، والمراد به دين الإسلام الذي به الإخلاص لله تعالى والانقياد له"[6].

ونهاهم عن مفارقة ملة إبراهيم، نهاهم عن ترك الإسلام، ووصاهم بملازمته طول حياتهم، حتى إذا جاءهم الموت، توفاهم مسلمين. ثم يواصل القرآن تفصيل هذه الوصية:{ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ من بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

---

1 - الذاريات:53.

2 -ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج27، ص22،23.

3 - الذاريات: 54.

4 - البقرة: 135.

5 - البقرة: 130، 131، 132.

6 -الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 69ج1، ص387.

إِلَــهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[1].

وهي وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه، بأن يكونوا على ملة الأنبياء بالاستمساك بالدين الحق القــويم، والسير على الطريق المستقيم، يقول سيد قطب :" تلك كانت وصية إبراهيم لبنيــه ووصــية يعقــوب لبنيه...الوصية التي كررها يعقوب في آخر لحظة من لحظات حياته، والتي كانت شغله الشاغل الذي لم يصرفه عنه الموت وسكراته، فليسمعها بنو إسرائيل:{ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَــالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَــهَكَ وَإِلَــهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَــهاً وَاحِــداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[2].

إن هذا المشهد بين يعقوب وبنيه في لحظة الموت والاحتضار لمشهد عظيم الدلالة، قوي الإيحاء، عميــق التأثير...ميت يحتضر، فما هي القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ ما هو الشاغل الــذي يعــني خاطره وهو في سكرات الموت؟ ما هو الأمر الجلل الذي يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه؟ مــا هــي التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه، ويحرص على سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر، يسجل فيه كل التفصيلات؟

إنها (العقيدة) هي التركة، وهي الذخر، وهي القضية الكبرى، وهي الشغل الشاغل، وهي الأمر الجلــل، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وصرعاته.

"ما تعبدون من بعدي؟"

هذا هو الأمر الذي جمعتكم من أجله، وهذه هي القضية التي أردت الاطمئنان عليها، وهذه هي الأمانة والذخر والتراث.

" قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون"

إنهم يعرفون دينهم ويذكرونه، إنهم يتسلمون التراث ويصونونه، إنهم يطمئنون الوالد المحتضر ويريحونه.

وكذلك ظلت وصية إبراهيم لبنيه مرعية في أبناء يعقوب، وكذلك هم ينصون نصا صريحا علــى أنهــم (مسلمون)"[3]

فقد كان النهي عن الشرك والأمر بالتمسك بالدين الحنيف، وتوحيد الله عز وجل وصية الأنبياء جميعا.

1 - البقرة: 133.

2 - البقرة: 133.

3 - قطب:في ظلال القرآن، ج1، ص116.

المطلب الرابع: التوصية بعلم غيب الله تعالى

إن الله مطلع على كل صغيرة وكبيرة ،عظيمة وحقيرة ،يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ،هذا موضوع الوصية الثانية التي خاطب بها لقمان ابنه في أصول العقيدة .

بعد ما نهاه عن الشرك ،يأتي ليعلمه كون الله عالم الغيب .قال تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}[1] .

- فما مفهوم الغيب لغة ؟وما مفهومه إصطلاحا؟

- ماذا يشمل غيب الله تعالى؟ما الهدف من هذه الوصية؟

أولا- مفهوم الغيب في اللغة:

يأتي الغيب في معاجم اللغة بالمعاني التالية:

الغيب: الشك، وجمعه: غياب وغيوب.

والغيب: كل ما غاب عنك، قال أبو إسحاق في قوله تعالى:{ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ }[2] أي: يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم؛ من أمر البعث والجنة والنار، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم، فهو غيب، وقال ابن الأعرابي: يؤمنون بالله.

قال: والغيب أيضا ما غاب عن العيون، وإن كان محصلا في القلوب.

ويقال: سمعت صوتا من وراء الغيب، أي: من موضع لا أراه.

وقد تكرر في الحديث ذكر الغيب، وهو كل ما غاب عن العيون سواء كان محصلا في القلوب أو غير محصل.وغاب عني: بَطَنَ.

وفي الحديث:" لما هَجَا حسَّان قريش، قالت: إن هذا لشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة"، أرادوا: أن أبا بكر كان عالما بالأنساب والأخبار، فهو الذي علم حسان، ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان:" سل أبا بكر عن معايب القوم"، وكان نسابة علامة.

وقولهم: غيَّبه غيابه، أي: دفن في قبره.قال شمر: كل مكان لا يدرى ما فيه، فهو غيب، وكذلك الموضع الذي لا يدري ما وراءه وجمعه غيوب"[3].

---

1 -لقمان 16.

2 - البقرة:3.

3 -ابن منظور : لسان العرب المحيط، ج2، ص1033.

من خلال المفهوم اللغوي نستنتج أن:

المعنى اللغوي للغيب: هو كل ما غاب عن العيون، وإن كان محصلا في القلب، أو غير محصل، وقد يأتي بمعاني أخرى: كالشك، والبطن، والدفن.

ثانيا- مفهوم الغيب في القرآن:

قال الراغب في بيان معنى الغيب:

" الغيب: مصدر، غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين، يقال: غاب عني كذا، قال تعالى:{ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ }[1]، واستعمل في كل غائب عن الحواس، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، قال تعالى:{ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}[2]، ويقال: الشيء غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى، فإنه لا يغيب عنه شيء،كما لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، وقوله:{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ }[3] أي ما يغيب عنكم وما تشهدونه.

والغيب في قوله:{ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ }[4]، ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام.

وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد، ومن قال: الغيب هو القرآن، ومن قال: هو القدر، فإشارة منهم إلى بعض ما يقتضيه لفظه"[5].

وقال البيضاوي:" والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى:{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}[6]، والمراد به: الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل، وهو قسمان: قسم لا دليل عليه، وهو المعنِيُّ بقوله تعالى:{ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ }[7]، وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله"[8].

---

1 - النمل: 20.

2 - النمل: 75.

3 - الرعد: 09.

4 - البقرة:03.

5 ا لراغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القرآن ، ص616-617.

6 - الرعد: 09.

7 - الأنعام: 59.

8 - شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ،حاشية الشهاب المسماة عناية الراضي على تفسير البيضاوي،دار الكتب العلمية

أما سيد قطب فإنه يقول:" والإيمان بالله سبحانه هو إيمان بالغيب، فذات الله سبحانه غيب بالقياس إلى البشر...والإيمان بالآخرة غيب، فالساعة بالقياس إلى البشر غيب...والغيب الذي يتحقق الإيمان بالتصديق به يشمل حقائق أخرى، يذكرها القرآن الكريم، وصف واقع المسلمين وعقيدتهم الشاملة:{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...}[1] ...ويبقى من الغيب الذي لا يقوم الإيمان إلا بالتصديق به، قدر الله، وهو غيب لا يعلمه الإنسان حتى يقع"[2].

- من التعريفات الاصطلاحية يتبين أن الغيب: هو ما لا يدركه الإنسان بحواسه ولا يعلمه، وهو أنواع باعتبارات شتى:

فأما الراغب الأصفهاني فقسمه باعتبار الحواس: النوع الأول: هو ما غاب عن الحواس وعلم الإنسان.

والنوع الثاني: فهو ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول.

وأما البيضاوي فقسمه باعتبار الدليل: قسم لا دليل عليه وهو مفاتح الغيب.

والقسم الثاني: هو الذي توجد أدلة عليه؛ كالخالق تعالى وصفاته.

وأما سيد قطب فقسمه باعتبار القياس على البشر:

فالقسم الأول: هو الذي يحقق لهم الإيمان؛ وهو ذات الله عز وجل، والآخرة، والملائكة.

والقسم الثاني: يمثل الركن الأخير من أركان الإيمان وهو قدر الله الذي قدره للبشر، فهم لا يعلمونه حتى يقع.

ثالثا- التوصية بعلم غيب الله :

بين لقمان لولده سعة علم الله، وأن قدرته محيطة بكل شيء، فهو يأتي بالذرات أينما كانت، وقد استعمل كلمة(الخردل) وهو:" النبات الذي نعرفه، وبذوره دقيقة جدا، وقد جرى التمثيل عند العرب بحبة الخردل للشيء الحقير، وإن كان يوجد ما هو أقل من حبة الخردل بملايين المرات، ولكن ذلك أسلوب عربي، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وبالقدر الذي تفهمه عقول العامة، وليس فقط العلماء المطلعون على أسرار الكون، وعلى حجم الجراثيم وكبرها وعددها، فالقرآن جاء موعظة لكل الناس،

بيروت لبنان ط1-1417هـ،1997م ج1، ص335،334،335.

1 - البقرة: 285.

2 - قطب :في ظلال القرآن،ج2، ص1115.

وكل يفهم بمقدوره، فكان يعبر بالتعابير المألوفة المعروفة، ولكن في أسلوب بديع"[1].

" أما الفعل(تك) فقد أنث مع المذكر(مثقال) باعتبار المضاف إليه(الحبة)، والحبة مؤنث، أما المثقال فهو المقدار، والكلمة مأخوذة من الثقل، والضمير في (إنها) هو ضمير الشأن، أو ضمير القصة، وضمير الشأن قد يؤنث وقد يذكر"[2]فقد شبه الله عز وجل الحسنات والسيئات، الخير والشر، بحبة الخردل، حيثما كانت، يحضرها الله عز وجل يوم القيامة، حيث يضع موازين القسط، ويجازي عليها خيرا أو شرا، قال تعالى:{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ {7} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ {8}}[3]، وقال:{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }[4].

فالخير أو الشر مهما صغر وحقر، فالله عز وجل لا يهمله، ولا يظلم أحدا في الخير فلا يجازيه عليه، أو في الشر فيزيد عليه. فالخير أو الشر مهما صغر وأينما وجد فإن الله يأتي به يوم القيامة ويجازي عليه.

" وقد ذكر الله تعالى وجود حبة الخردل في ثلاثة أماكن: في الصخرة، وفي السماوات، وفي الأرض، وكلها مما يستبعده عقل البشر، فمثل بالصخرة للصلابة، فكيف يتوصل إلى الحبة في وسط الصخرة الصلبة؟ ومثل بالسماوات في البعد، وبعد السماوات لا يقدر، ومثل بالأرض للظلمة التي في جوفها، فما يمنع من الوصول إلى شيء؟ إما كونه محاطا بشيء صلب متين لا يخترق، وإما كونه في مكان بعيد، وإما كونه في مكان مظلم، وبالجمع بين الصخرة، والسماوات والأرض، ندرك بأن الشيء مهما كان في مكان بعيد، أو في مكان مظلم، أو كان محاطا بحصن أمين، فإن الله يعلمه، ويأتي به، ويجازي عليه، كيف وهو الذي خلقه، وهذا سر ذكر هذه الأنواع الثلاثة"[5].

هذا مثل ضربه الله للناس ليبين لهم أنه مهتم بإحصاء أعمالهم في الدنيا، ويوم القيامة يجازيهم عليها، فكل عبد عمله محصي عليه لا يضيع منه شيء، ولا يخفى على الله منه خافية مهما صغر أو حقر، ومهما تستر العبد على معاصيه، فالله عز وجل سيبدي هذا ويظهره،

ليس هناك مكان يوجد فيه العبد إلا والله معه يراقب أعماله، قال تعالى:{ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا

---

1 -بيوض : في رحاب القرآن، ج11، ص266.

2 امصدرنفسه ، ص267،.

3 - الزلزلة: 8،7.

4 - الأنبياء: 47.

5 - بيوض:المصدر السابق ، ص270.

هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[1].

إن الله عز وجل أقرب إلى نفوسنا منا، وعلمه محيط بكل شيء، لكن قد لا يلقي الإنسان بالا إلا ذنب يقترفه، معتقدا أن الله لا يحاسبه عليه، لكن صغار الأمور قد تهوي بصاحبها في النار، وقد يحتقر الواحد منا خيرا قام به، لا يلقي له بالا، ولو كان كلمة، فيرفعه الله به درجات في الجنة،

" وإن ضرب المثل بحبة الخردل للأعمال، وإن دقت وصغرت، جعل المعنى المراد أكثر وضوحا، وأقوى تأثيرا، فنحن كثيرا ما تصدر منا ألفاظ، أو نعمل أعمالا لا نلقي لها بالا، ولا يظن صاحبها أنها تؤثر شيئا، ولا يقدر لها في نفسه ما يترتب عليها من ثواب أو عقاب، وقد أبرز لنا التمثيل بحبة الخردل، في جوف صخرة صماء، أن شيئا من ذلك لا يضيع، وأننا واجدون في صحف أعمالنا كل صغيرة وكبيرة، كهمسة بكلمة طيبة أو خبيثة، أو شوكة يلقيها المرء في طريق شخص ليؤذيه، أو استخفاف بضعيف، أو إعراض عن فقير ازدراء به، أو شربة ماء قدمها لعطشان، أو تمرة لصائم عند إفطاره، أو رحمة بحيوان، أو إرشاد ضال غريب، ونحو ذلك"[2].

ومهما اقترفت من المعاصي، فإنها لا تضر الله أبدا، وإنما تضرك وحدك والله تعالى يكره من عبده الإصرار على المعصية وإن كانت من صغائر الذنوب، والصغائر إذا أصر عليها تنقلب كبائر قال تعالى:{ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ}[3].

" فالله هو العالم بخفيات الأمور، يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة، وإن الحبة في جوف الصخرة أخفى منها في قاع البحر، وإن العاقل إذا عرف ذلك فإنه يحذر أن يطلع عليه مولاه حيث نهاه"[4].

فهو تعالى عالم بدقائق الأمور وكنهها وحقيقتها، كحبة الخردل في الصخرة، أو في السماوات أو في الأرض، وكيف لا يعلم سعي الإنسان في الخير وفي الشر؟

و إن الكيس الفطن من استعظم الذنوب فهجرها، وابتعد عن الرياء والتصنع لغير الخالق، وأخلص العمل والطاعة لله وحده، قال صلى الله عليه وسلم:" الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من

---

1 - المجادلة: 7.

2 -أحمد طاحون: أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم، ج5، ص132، 133.

3 - النور: 15.

4 -أحمد طاحون :المصدر السابق ، ص130.

أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"[1].

" فالذي تنبهنا إليه هذه الآية هو أن نعتقد اعتقادا جازما في دواخل نفوسنا بأن الله تعالى علـيم بكـل شيء، ويأتي الحساب بكل مهما صغر.

وهذه هي الوصية التي جاء بها بعد النهي عن الشرك فقدمها بين يدي الوصايا الأخرى حتى تتمكن مـن القلوب بمثل هذا التصوير البديع، وإذا تمكن هذا الإيمان وارتكز في نفس المرء فإنه يعينه على هواه وعلى شيطانه، فيستقيم على الصراط، ويسهل عليه عمل الخير، ويصعب عليه عمل الشر"[2].

فالآية خير دليل على البعث والجزاء، ليجازي أهل الخير، وليعاقب أهل الشر، ففي هذا اليوم من عمـل مثقال حبة خردل خيرا يره، ومن عمل مثقال حبة خردل شرا يره:{ اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَـوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}[3].

كما أنها بيان لكمال علم الله وإحاطته بكل شيء، فهو يعلم غيب السماوات والأرض، فعلى كل عاقل أن يحاسب نفسه، قبل أن تحاسب، ويزن أعماله قبل أن توزن عليه، فالكيس من دان نفسه وعمل لمـا بعد الموت، كما يجب على مرتكب الصغائر أن لا يصر عليها، فالعاجز من أتبع نفسه هواهـا، يقـول الحكماء:" انظر إلى من عصيت ولا تنظر إلى المعصية"

المطلب الخامس: إقامة الدين.

---

1 - سبق تخريجه ص52.

2 -بيوض: في رحاب القرآن، ج11، ص277.

3 - الإسراء: 14.

بعد النهي عن الشرك ،يأمرنا الله عزوجل بإقامة دينه فيقول :{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }[1].

- ما مفهوم الدين لغة ؟وما مفهومه اصطلاحا ؟
- فيم يشترك الدين الإسلامي مع الأديان السماوية السابقة؟
- من يختص بوصية إقامة الدين ؟وما هي وسائل إقامة الدين ؟

أولا- مفهوم الدين لغة:

يأتي لفظ الدين في معاجم اللغة بالمعاني التالية:

الدّيّان: من أسماء الله عز وجل، معناه الحكم القاضي، وسئل بعض السلف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان ديان هذه الأمة بعد نبيها؛ أي قاضيها وحاكمها، والديان: القهار.

دنت الرجل وأدنته: أعطيته الدين إلى أجل.

وتداين القوم وأدينوا: أخذوا بالدين.

والدِّين: الجزاء والمكافأة، ودنته بفعله دينا جزيته، وقيل: الدَّين: المصدر، والدين: الاسم، ويوم الدين: يوم الجزاء، وقوله تعالى:{ أَئِنَّا لَمَدِينُونَ}[2] أي محاسبون، والدين: الحساب، ومنه قوله تعالى:{ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }[3] وقوله تعالى:{ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }[4]، والدين: الطاعة، والدين: الإسلام، والدين: العادة والشأن، تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديدني: أي عادتي"[5].

يأتي لفظ (الدين) في اللغة بمعان متعددة مختلفة، أهمها: الجزاء والمكافأة، ويوم الجزاء، والحساب، والطاعة، وهو أيضا: الإسلام، والعادة والشأن.

فجذره اللغوي هو:" دان"، أما الدين فهو مصدر.

---

1 -الشورى:13.

2 - الصافات: 53.

3 - الفاتحة:4.

4 - الروم: 30.

5 -ابن منظور: لسان العرب المحيط، ج1، ص1043، 1044.

ثانيا- مفهوم الدين اصطلاحا:

عرف الراغب الأصفهاني الدين فقال:" يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة"[1].

وقال الألوسي:" ما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به من إقامة دين الإسلام، وهو التوحيد، وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام.."[2].

أما البقاعي فقال:" الدين هو ما يعمل فيجازى عليه"[3].

وقد عرفه أبو بكر الجزائري فقال:" الدين هو دين واحد قائم على الإيمان و التوحيد والطاعة لله في أمره ونهيه.."[4].

من التعريفات الاصطلاحية يتبين أن الدين هو ما يقوم على الإيمان والتوحيد والطاعة لله عز وجل وحده، وهذه الأصول لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار، والدين واحد و هو الإسلام.

وقد أضاف الراغب الأصفهاني أن أصل اللفظ هو الطاعة والجزاء، ولهذا قال البقاعي:" هو ما يعمل فيجازى عليه".

ثالثا- إقامة الدين:

الدين واحد ثابت قائم على الإيمان والتوحيد والطاعة لله عز وجل في جميع أوامره ونواهيه، والله تعالى يخاطب المسلمين بأن ما شرعه لهم هو نفسه الدين الذي وصى به أول حامل للشريعة من الرسل، وهو نوح عليه السلام، وهذا الدين نفسه الذي أوصى به إبراهيم وموسى وعيسى من أولي العزم من الرسل.

فثبوت الدين دليل على وحدة المصدر، ونهى الله عز وجل جميع الرسل وحذرهم من التفرق في الدين، سواء بتضييعه كليا أو جزئيا، أو الاختلاف فيه:" وبذلك يقرر الحقيقة التي فصلناها في مطلع السورة، حقيقة الأصل الواحد، والنشأة الضاربة في أصول الزمان، ويضيف إليها لمحة لطيفة الوقع في حس المؤمن، وهو ينظر إلى سلفه في الطريق الممتد من بعيد، فإذا هم على التتابع هؤلاء الكرام:..نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويستشعر أنه امتداد لهؤلاء الكرام، وأنه على

---

1 -الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن، ص323.

2 - الألوسي :روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج13، ص22.

3 - البقاعي :نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج6، ص609.

4 -أبو بكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،مكتبة العلوم والحكم ،ط2: 1416هـ-1996م، ج6، ص609.

درهم يسير، إنه سيستروح السير في الطريق، مهما يجد فيه من شوك ونصب، وحرمان من أعراض كثيرة، وهو برفقة هذا الموكب الكريم على الله، الكريم على الكون كله منذ فجر التاريخ.

ثم إنه السلام العميق بين المؤمنين بدين الله الواحد، السائرين على شرعه الثابت، وانتفاء الخلاف والشقاق والشعور بالقربى الوثيقة التي تدعو إلى التعاون والتفاهم، ووصل الحاضر بالماضي والسير جملة في الطريق"[1].

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" الأنبياء أبناء علات"[2] وفي رواية:" إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد""يقول الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي :أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى .وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم :أولاد الأعيان .قال جمهورالعلماء أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة ،فإنهم متفقون في أصل التوحيد ،وأما فروع الشرائع فوقع فيها الأختلاف.(ودينهم واحد) المراد به أصول التوحيد وأصل طاعة الله تعالى وإن اختلفت صفتها وأصول التوحيد والطاعة جميعا "[3].

قال الجوهري:" بنو العلات: هم أولاد الرجل من نسوة شتى، سميت بذلك لأن الذي تزوجها على أولى كانت قبلها، ثم علّ من الثانية، العلل: الشرب الثاني، يقال له: علل بعد نهل، وعله يعله: إذا سقاه السقية الثانية"[4] .

وقد اهتدى ابن قيم الجوزية إلى تفسير هذا الحديث بتشبيه الدين الذي شرعه الله للأنبياء الذي في قوله تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ }[5] بالأب الواحد، أما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف من رسالة إلى أخرى، ومن رسول إلى رسول، فهي بمنزلة الأمهات، ولذلك كان الأنبياء إخوة من الأب وهو الدين الواحد، وأمهاتهم مختلفة، وهي تمثل الشرائع من مأمورات ونواه، فقال:"... هو أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه دين الأنبياء الذي اتفقوا عليه من التوحيد وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان به، وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه: بالأب الواحد لاشتراك جميعهم فيه، وهو الدين الذي شرعه الله لأنبيائه كلهم فقال تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ

1 -قطب : في ظلال القرآن، ج5، ص3147.

2 -أخرجه مسلم ،كتاب الفضائل ،باب فضائل عيسى عليه السلام ، ح (2365) وأخرجه البخاري ،كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى :"واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها "ح (3442-3443).

3 -أبوالحسين مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم ،ج4ص 1837.

4 -أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة ،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ،(د،ت،ط)، ج5ص،40،41.

5 - الشورى: 13.

نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}[1] "[2]
وهذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يماثل الأديان السابقة في أصوله بالتوحيد، والبعث واليوم الآخر، وبالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وبمكارم الأخلاق، قال تعالى:{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى {14} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى {15} بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {16} وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {17} إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى {18} صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى {19}[3].
وقد خالفها في فروعه إما بالتضييق أو التوسع في أحكامه، كما امتاز بتعليل أحكامه...
ولما كان السياق القرآني خاصا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا مقلدين آباءهم، معتقدين أنه ما كان من الدين أقدم كان أعظم وأحكم، فذكر لهم أن هذا الدين ليس بحديث، وإنما هو أقدم مما كانوا يظنون، فهو الدين الذي جاء به أول الرسل بعد آدم؛ نوح عليه السلام، يقول البقاعي في تفسير هذه الآية من سورة الشورى:" وصى به توصية عظيمة بعد إعلامه بأنه شرعه نوحا في الزمان الأقدم كما ختم به على لسان الخاتم، وأرسل به من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير لأنه لا يرضيه سواه، فإن كنتم إنما تأنفون من الدخول في هذا لحدوثه فإنه أقدم الأديان، وكل ما سواه حادث مع أنه ما بعث نبيا من أنبيائكم ولا من غيرهم إلا به، ومع أنه توفرت على الشهادة به الفطر الأولى دائما والفطر اللاحقة حتى من القلوب العاتية في أوقات الشدائد أبدا، فادخلوا فيه على بصيرة"[4].
أما اختياره لمن ذكره من الأنبياء " فإن نوحا أول رسول أرسله الله إلى الناس، فدينه هو أساس الديانات، قال تعالى:{ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ }[5].
ولأن دين إبراهيم هو أصل الحنفية، وانتشر بين العرب بدعوة إسماعيل إليه، فهو أشهر الأديان بين العرب، وكانوا على أثارة منه في الحج والختان والفتوة، ودين موسى هو أوسع الأديان السابقة في تشريع الأحكام، أما دين عيسى فلأنه الدين الذي سبق دين الإسلام، و لم يكن بينهما دين سابق، وليتضمن التهيئة إلى دعوة اليهود والنصارى إلى دين الإسلام، وتعقيب ذكر دين نوح بما أوحي إلى محمد عليهما السلام، للإشارة إلى أن دين الإسلام هو الخاتم للأديان الثلاثة، لأنها الأخر، لأنها متوسطة بين الدينين

1 - الشورى: 13.
2 - ابن قيم الجوزية :الضوء المنير على التفسير، ج5، ص299.
3 - الأعلى: 14-19.
4 -البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج6، ص609.
5 - النساء:163.

المذكورين قبلها"[1]

قال تعالى:{ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً} وقال:{ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ } أما في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قال:{ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } فقد استعمل القرآن الكريم اسمين موصولين:"ما" وقد كررها مرتين، أما الاسم الموصول:" الذي" فقد استعمل مرة واحدة، حين وجه الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعل السبب راجع إلى ما ذكره محمد الطاهر بن عاشور حين قال:"...أنه فرق دقيق في استعمال الكلام البليغ وهو أن (الذي) وأخواته هي الأصل في الموصولات فهي موضوعة من أصل الوضع للدلالة على من يعين في حالة معروفة هي مضمون الصلة، فـ(الذي) يدل على معروف عند المخاطب بصلته.

وأما (ما) الموصولة فأصلها اسم عام نكرة مبهمة محتاجة إلى صفة،...فيكون إيثار:" ما وصى به نوحا" " وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى" بحرف:" ما" لمناسبة أنها شرائع بَعُدَ العهد بها فلم تكن معهودة عند المخاطبين إلا إجمالا، فكانت نكرات لا تتميز إلا بصفاتها، وأما إيثار الموحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم باسم(الذي) فلأنه شرع متداول فيهم معروف عندهم"[2].

أما بشأن استعمال فعل:(وصى) إلى جانب الشرائع السابقة، وإلى جانب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فعل"أوحينا" " فلأن الشرائع التي سبقت شريعة الإسلام كانت شرائع مؤقتة، مقدّرا ورود شريعة بعدها فكان العمل بها كالعمل الذي يقوم به مؤتمن على شيء حتى يأتي صاحبه"[3].

وقد أبرز الله تعالى الموحى الموصى به في أسلوب الأمر فقال:" أن أقيموا الدين" بتوحيد الله عز وجل وطاعته والإيمان بكتبه ورسله، والقيام بتكاليفه، وعدم الانحراف عن الدين.

قال الله تعالى:{ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً {31}[4]، والصلاة والزكاة مطلقة، لعلها تختلف على ما نعرفه في شرعنا.

وبعد الأمر بإقامة الدين، أعقبه مباشرة بالنهي عن التفرق فيه فقال:{ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ }[5] والتفرق بين الذين آمنوا بأن يكونوا نحلا وأحزابا ومذاهب ثم يختلفون، وقد عظم

1 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج25، ص51.

2 -المصدرنفسه ،ص52.

3 - المصدرنفسه ، ص53.

4 - مريم: 31.

5 - الشورى: 13.

على المشركين ما يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، قال قتادة:" كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله عز وجل إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها على من ناوأها"[1].

والله يصطفي من يشاء للإيمان به وعبادته، ممن يحبون الحق ولا يعرضون عنه إذا عرفوه، ويوفق لطاعته وهدايته من أناب ورجع إليه في كل الأحوال، وعلى العبد أن يقيم الدين الحنيف إلى آخر لحظة في حياته،ة وعليه أن يموت على ملة الإسلام، قال تعالى:{ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {132}[2].

" لما كان من شأن أهل الحق والحكمة أن يكونوا حريصين على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم كان من مكملات ذلك أن يحرصوا على دوام الحق بين الناس بأن لا يحيدوا عن طريق الحق ولا يفرطوا فيما حصل لهم منه"[3].

فعلى كل مسلم أن يلتزم بهذه الوصية ويُلزم بها نفسه، لأن الدين المختار والمصطفى من الله عز وجل؛ دين الحنيفية: الإسلام، ويموت عليه.

رابعا- إقامة الدين واجب الأمة:

إن إقامة الدين واجب على كل فرد من أفراد الأمة، فهو مقصد أساسي من مقاصد الإسلام، فكل حاكم و مسؤول عليه أن يبين للناس طريق الدين، يقول ابن تيمية :" المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى خسروه خسروا خسرانا مبينا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم، وهو قسمان: قسم المال بين مستحقيه، وعقوبات المعتدين، فمن لم يعتد أصلح له دينه ودنياه، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي عنه يقول. إنما بعثت عمالي إليكم ليعلموكم كتاب الله وسنة نبيكم ويقسموا بينكم فيئكم ...فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان، كان من أفضل أهل زمانه"[4].

وإقامة الدين من وظائف الرسالة، قال تعالى:{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى

1 -ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص727.

2 - البقرة: 132.

3 -ابن عاشور:المصدر السابق ، ص727.

4 - أحمد بن تيمية ،مجموع الفتاوى،جمع وتحقيق المرحوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد ، ج 28، ص262.

الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}[1].

وكذلك أئمة المسلمين مخاطبون بإقامة الدين في الأرض، والانتصار له، أي دعوى بحب الله ورسوله دون إقامة الدين، يسأل الله عنها يوم القيامة، فالإيمان وإقامة الدين ميثاق أخذه الله على عبد مؤمن، قال تعالى:{ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}[2].

" وعندما يرى الله في نفس كل مؤمن هذه الإقامة للدين، فإنه سبحانه يعينهم على إقامته في حياة الناس، وفي القرآن الكريم حث على هذين الأمرين في آيات متعددة، فالأمر الأول: وهو نصر دين الله في النفس بإقامة الوجه لله، وإسلام القلب له، به تقوم دولة الإسلام في القلب، وتتمكن في الفؤاد، وقد أمر الله تعالى به في قوله:{ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[3].

والأمر الثاني: وهو إقامة الدين في الناس؛ وهو واجب الجماعة الإسلامية كلها، وهو مسؤوليتها التي لا ينبغي أن تختلف عليها أو تتفرق في شأنها، قال تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ }[4] "[5].

فلا بد من إقامة الدين في حياة الأمة كلها، أما أن يتكلوا على الله بحفظه ويُطمئنوا أنفسهم بأنه باق، فهذا لن يتحقق لأن الله عز وجل نزل دينه إلى الأرض لإقامته وليطبقه الناس في حياتهم لتستقيم ويعبد الله فيها حق عبادته، قال تعالى:{ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }[6].

بالعبودية والحاكمية يتحقق التوحيد ويقوم الدين في الأرض.

---

1 - الصف: 9.

2 - آل عمران: 81.

3 - يونس: 105.

4 - الشورى: 13.

5 -عبد العزيز مصطفى كامل ، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي،دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1-1415 هـ1995م،ج1، ص443.

6 - يوسف: 40.

خامسا– وسائل إقامة الدين في الأرض:

أ: نشر العلم وإطلاق الدعوة:

ميز الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها أمة داعية، وأمره أن يعلن طريقه ومنهجه وهو: الدعوة إلى الله، قال تعالى: قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[1] وقال: ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[2].

فنجاح الدعوة يتوقف على أمرين اثنين: الحكمة، والموعظة الحسنة، ولتحقيقهما لابد من علم صحيح، وعمل صالح، ولإقامة الدين لا بد من مواصلة الطريق، وعدم الاستجابة للمعارضين والصادين عن دين الله، قال عز وجل يخاطب رسوله الكريم:{ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ }[3].

ومهمة الدعاة: الدعوة إلى الله، ونشر العلم الصحيح، فالداعي دال على طريق الحق، ناه عن طريق الباطل، لأن من الناس من لا يعرف طريق الحق، فإذا دل عليه ودعي إليه استجاب وأقام دين الله، وإذا نهوا عن الشر وحُذِّروا منه اجتنبوه، قال تعالى:{ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرا}[4].

يقول ابن قيم :" بين الله تعالى في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وعاقبة هؤلاء، وأعمال هؤلاء، وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء، وأولياء هؤلاء،وخذلانه لهؤلاء، وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفق بها هؤلاء، والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلاَّ سبحانه الأمرين في كتابه، وكشفهما وأوضحهما وبينهما غاية البيان حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام، فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبان لهما السبيلان، كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده، والطريق الموصل إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وهم الأَدِلاَّءُ الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة"[5]

---

1 - يوسف: 108.

2 - النحل: 125.

3 - الحج: 67.

4 - النساء: 115.

5 –شمس الدين بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، الفوائد، مكتبة النهضة الجزائرية ،ص142 -143.

فابن قيم يفصل بين سبيلين: سبيل المؤمنين، وسبيل المجرمين، ويذكر أن السبيلين منفصلتان في القرآن الكريم، فالعالمون بالله عرفوا السبيلين، فاختاروا الطريق الموصل إلى الفلاح، واجتنبوا الطريق الموصل إلى الهلاك.

فسالكوا طريق الفلاح هم أفضل الدعاة إلى دين الله، وأنصحهم للأمة، وبهم يقوم دين الله تعالى.

ب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما ضمان استبقاء الخيرية في الأمة الإسلامية، قال تعالى:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}[1].

" إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنوان خيرية هذه الأمة، حتى أن الآية قدمته في الذكر قبل الإيمان، لأن الإيمان والدين لا يحفظان في حياة المسلمين دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان عند الأمم السابقة إيمان، ولكن إهمالهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أضاع الإيمان عندهم، كما أن فائدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعدية إلى نفع الناس وخيرهم"[2].

هذا ما حدث لبني إسرائيل، كانت بداية نهايتهم لما أضاعوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ من بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ {78} كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ {79}[3].

أما مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي مرتبتان:

" المرتبة الأولى: هي دعوة هذه الأمة سائر الأمم إلى الخير حتى يشاركوهم فيما هم عليه من النور والهدى.

المرتبة الثانية: هي دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتآمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر،

ولها طريقان:

أحدهما: الدعوة العامة الكلية ببيان طرق الخير وتطبيق ذلك على أحوال الناس، وضرب الأمثال المؤثرة في النفوس، وإنما يقوم على هذا الطريق خواص الأمة العارفون بأسرار الأحكام وحكمة الدين وفقهه، وهم

1 - آل عمران: 110.

2 -كامل: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي ،ج1، ص451.

3-المائدة:78، 79.

المشار إليهم بقوله تعالى:{ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[1].

ومن مزايا هؤلاء: تطبيق أحكام الله تعالى على مصالح العباد في كل زمان ومكان، فهم يأخذون من الأمر العام بالدعوة والأمر والنهي على مقدار علمهم.

والطريق الثاني: الدعوة الجزئية الخاصة، وهي ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض، ويستوي فيه العالم والجاهل، وهو ما يكون بين المتعارفين من الدلالة على الخير والحث عليه عند عروضه، والنهي عن الشر والتحذير منه وكل ذلك من التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وكل واحد يأخذ من الفريضة العامة بقدره"[2].

وبتحقيق هذه المراتب يتحقق إقامة الدين، لأنه إذا قامت هذه الأمة بدعوة سائر الأمم إلى الخير، واستجابت الأمم، ثم قام كل مسلم بدعوة أخيه إلى الخير، وقام العارفون بأحكام الدين وفقهه إلى إرشاد أفراد الأمة إلى الخير، وأمروهم بالمعروف ثم حذروهم من طريق الضلال والتيه ونهوهم عن المنكر، وأوصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر على تكاليفه وفرائضه، لأقام كل فرد من أفراد الأمة الدين، وبهذا يقوم الدين في هذه الأمة وسائر الأمم.

ج:إقامة الحدود:

قد تسول لبعض الناس أنفسهم أن يتعدوا حدود الله، فيزين للمستهترين أن يقتدوا بهم في ضلالهم، وحينئذ لا تجدي الدعوة ولا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر نفعا، لأن الدعوة قد أذيعت فلم يستجب لها، فهُدد الدين، وضُيعت بعض فرائضه، فيحتاج الأمر إلى تنفيذ حدود الله الزاجرة، لتمنع معاودة الإثم والجريمة، وتمنع من تجاوز حدود الله عز وجل.

وبتطبيق الحدود الشرعية يعم الأمن والاستقرار، ويقام الدين،" وللإسلام نظامه الخاص في إقامة المجتمع على الدين عن طريق إقامة الحدود، فهو يبذل كل المساعي، ويسلك كل طريق لمنع وقوع الجرائم والمخالفات، فإذا وقعت كان علاجه لها هو الناجح في محو آثارها، والناجع في إنجاء المجتمع من شرها"[3] فهي تمنع الكفر والقتل والزنا والسرقة والسكر...وغيرها من الآفات التي تنتشر في المجتمعات، وتهدم قيام

1 - التوبة: 122.

2 - كامل : الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، ج1، ص453،452.

3 - كامل : الحكم والتحاكم في خطاب الوحي ، ج1، ص457.

الدين، والحدود الشرعية تقضي على مثل هذه الآفات؛ بتشريع حد القتل للكافر المضل، وحد القصاص لقاتل النفس بغير حق، وحد الشرب للخمار الذي لا ينتهي عن شرب الخمر، وحد السرقة للمعتــدي على أموال غيره...

وتُخَلِّف الحدود آثارا نفسية وأخرى اجتماعية تردع الباقين عن التفكير في اقتراف مثل هذه الآفات التي تهدد قيام الدين.

" إن مشروعية الحدود في النظام الإسلامي تقوم على مبدإ نفسي وآخر اجتماعي، كلاهما يكمل الآخر، وكلاهما بعيد الأثر في تحقيق الحكمة والغاية من تشريع هذه الحدود، وتحليل هذين المبدأين وكشف مــا يكون من نتائجهما داخل الفرد وعلى مستوى الجماعة على نحو لا يتيحه أي نظام وضعي، أو قانون من قوانين العقوبات في بلاد العالم المعاصر، مع كل ما يدعى من تقدمها في دراسة الجريمة علما ومواجهتها تشريعا.

فالمبدأ الأول: وهو النفسي؛ معناه أن المرتكب لإحدى الجرائم المهددة للمجتمع سيجد نفسه في مواجهة، لا مع فرد واحد أو عدة أفراد، وإنما مع المجتمع بأسره، وفي ذلك من الرهبة والردع ما يجعله يفكر مرارا قبل الإقدام.

والمبدأ الثاني: وهو الاجتماعي، يتمثل في أن المجتمع لا يقف من هذه الجرائم موقف السلبية وعدم المبالاة متعللا بأنه ليس طرفا فيها، وإنما هو طرف أصيل مسته الجريمة بطريق مباشرة إذا كانت عدوانا على قيمة من قيمه وحرمة من حرماته"[1].

والجرائم أنواع منها ما هو اعتداء على حق الله، ومنها ما هو اعتداء على حقوق العباد، وبينهما درجات متفاوتة، وهي أنواع أربعة يستوجب الاعتداء عليها تطبيق الحدود:

1-" حقوق خالصة لله تعالى، كعبادته سبحانه وحده.

2- حقوق خاصة للعبد كامتلاكه وانتفاعه بما يملك.

3- حقوق كان حق الله تعالى غالبا فيها كحق حفظ العرض من القذف.

4- حقوق كان حق العبد فيها ظاهرا كحق القصاص"[2]

وبتطبيق الحدود الشرعية تحفظ حقوق الله عز وجل، ثم تحفظ حقوق العباد ويقام الدين ويكون ثابتا.

1- محمد حسين الذهبي :أثر الحدود في استقرار المجتمع،ص104، نقلا عن كامل:الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، ص457،458.

2 -كامل: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، ج1، ص458.

د- الجهاد في سبيل الله:

إن الأخطار التي تهدد إقامة الدين وثباته، قد تأتي من داخل المجتمعات الإسلامية، والقضاء عليها يكون بنشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إقامة الحدود.

أما إذا جاء الخطر من خارج المجتمعات الإسلامية فلا سبيل لرده والمحافظة على الدين إلا بقطع دابره، والاستعداد لما قد يكون في طريق إقامة الدين من معوقات وعقبات، ويكون ذلك بالجهاد في سبيل الله، ومن غايات إقامة حكم الله في الأرض، والذين عليهم تحقيق هذه الغاية، هم المسلمون ليحافظوا على دين الله ويقيموه.

وقد سلّ النبي صلى الله عليه وسلم السيوف على الكفار وعلى الخارجين على الدين، وجاهد في سبيل الله من أجل أن يقيم هذا الدين.

وسار المسلمون بعده على نهجه، فجاهدوا حتى فتحوا معظم البلدان الكافرة، وأوصلوا الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، فأناروها بنور الإسلام، لقد جاهد المسلمون ليقيموا دين الله في الأرض ويخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد،" لقد جاهد الإسلام ليقيم ذلك النظام الرفيع في الأرض ويقرره ويحميه،كان من حقه أن يجاهد ليحطم النظم الطاغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر، والتي يدعى فيها العبيد مقام الألوهية، ويزاولون فيها وظيفة الألوهية بغير حق، ولم يكن بدٌّ كذلك أن يسحقها الإسلام سحقا ليعلن نظامه الرفيع في الأرض، وما يزال هذا الجهاد لإقامة النظام الرفيع مفروضا على المسلمين {حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ}[1]، فلا تكون هناك ألوهية للعبيد، ولا دينونة لغير الله"[2]

فعلى المسلمين في أنحاء العالم أن يحافظوا على أعظم أمانة وكلت إليهم ليؤدوها إلى الأجيال بعدهم، أمانة الدين وإقامته.

المطلب السادس :التوصية باتباع الصراط المستقيم.

أوصى الله تعالى عباده باتباع صراطه المستقيم ونهى عن اتباع السبل التي تؤدي إلى التفرق فقال :{ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

1 - البقرة: 193.

2 -قطب : في ظلال القرآن، ج3، ص295.

}.[1]

- ما مفهوم الصراط ؟
- لماذا خص الله عز وجل الصراط بالوصية ؟وما هي صراطه ؟
- لماذا وصفها بالاستقامة ؟

أولا–مفهوم الصراط لغة:

الأصل اللغوي للفظ: (الصراط) هو: (السراط) ومعناه:

" الطريق المستسهل، أصله:سَرِطْت الطعام وزردته: ابتلعته، فقيل: سراط، تصوروا أنه يبتلعه ســالكه، أو يبتلع سالكه، ألا ترى أنه قيل: قتل أرضًا عالمها، وقتلت أرضٌ جاهلها، وعلى النظرين قال أبو تمام:

رَعَتْهُ الفيافي بعدما كان حِقْبَةً

رعاها وماءَ الــمُزْنِ ينهل ساكبُه.

وكذا سمي الطريق: اللقم والملتقم، اعتبارا بأن سالكه يلتقمه"[2].

"قرأبن كثير ونافع وأبوعمر وبن عامروعاصم والكسائي :{ اهدِنَـــــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}[3] بالصاد ،وقرأيعقوب بالسين ،قال :وأصل صاده سين قلبت مع الطاء صادا لقرب مخارجها .

قال"الشاعر"[4] :

أكرم على الحروريين مهري وأحملهم على وضح الصراط"[5]

من التعريف اللغوي تبين لي أن:

للصراط معنى واحد وهو الطريق المستسهل، وأصله من: سرطت الطعام: أي بلعتـــه، وشـــبه الـــصراط بابتلاع الطعام، لأن كلاهما ليس فيه مشقة وكلاهما سهل.

أما أصله اللغوي فهو بالسين بدلا من الصاد، فهو سراط.

ثانيا– مفهوم الصراط المستقيم اصطلاحا:

ورد في الصراط المستقيم عدة تعريفات، فقد عرفه ابن قيم بقوله:" فإن الناس قد تنوعت عباراتهم فيـــه،

---

1 -الأنعام 153.

2 -الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن، ص483.

3- الفاتحة 6.

4 -القعقاع بن عطية الباهلي.

5 -ابن منظور :لسان العرب المحيط،ج2،ص340.

وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد، وهو: طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله، وجعله مُوصِلاً لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا، وهو إفراده بالعبودية، وإفراد رسوله بالطاعة، فلا يشرك به أحد في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحدا في طاعته، فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول"[1].

وعرفه محمد الطاهر بن عاشور فقال:" والصراط: الطريق الجادة الواسعة...والمراد الإسلام كما دل عليه قوله في آخر السورة – سورة الأنعام –{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً}[2].

لأن المقصود منها تحصيل الصلاح في الدنيا والآخرة، فشبهت بالطريق الموصل السائر فيه إلى غرضه ومقصده"[3] .

أما رشيد رضا فقد تحدث عن الصراط المستقيم بقوله:" إن هذا القرآن الذي أدعوكم إليه وأدعوكم به إلى ما يحييكم؛ هو صراطي ومنهجي الذي أسلكه إلى مرضاة الله تعالى ونيل سعادة الدنيا والآخرة، أشير إليه مستقيما ظاهر الاستقامة، لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، فاتبعوه وحده ولا تتبعوا السبل الأخرى التي تخالفه وهي كثيرة فتفرق بكم عن سبيله بحيث يذهب كل منكم في سبيل ضلالة منها ينتهي بها إلى التهلكة، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، وليس أمام تارك النور إلا الظلمات، وقد أضيف الصراط بهذا المعنى إلى الله تعالى، إذ هو الذي شرعه وإلى الدعاة إليه والسالكين له من النبيين وغيرهم في سورة الفاتحة، والظاهر أن إضافته هنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه هو المخاطب للناس بهذه الوصية وفعلها مسند إليه تعالى بضمير الغيبة[4].

من خلال التعريفات الاصطلاحية ظهر لي أن:

العلماء اختلفوا في تحديد معنى الصراط، فقد عرفه ابن قيم الجوزية بأنه طريق الله الذي نصبه لعباده ليصلوا إليه من خلاله، وليحققوا هذا المراد لا بد لهم من إفراده بالعبودية مع طاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

أما محمد الطاهر بن عاشور ففسر الصراط بدين الإسلام، انطلاقا من الآية:{ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي

---

1 – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية،بدائع الفوائد، مكتبة المؤيد، الرياض،ط1: 1415هـ، 1994م،ج1،ص280.

2 – الأنعام: 161.

3 –ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص172.

4 –رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص194.

مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ}[1] وربطها بالآية:{ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً}[2] في آخر السورة.

وذهب محمد رشيد رضا إلى أن الصراط المستقيم هو القرآن الكريم، إلا أن هذا الاختلاف ليس اختلاف تضاد، وإنما هو اختلاف تكامل، لأن من اتبع الصراط بأي معنى، فإنه مُتَّبع لطريق الله عز وجل.

وأحسن تعريف للصراط هو إجمال المعاني كلها، فنقول: أن الصراط هو الإسلام الذي يتضمن كتاب الله عز وجل، ومن اتبع القرآن الكريم، فلا يضل ولا يشقى، ويوصله إلى الله عز وجل، قال تعالى:{ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى }[3].

ثالثا- اتباع الصراط المستقيم:

أوصى الله أن ينتهج صراطه المستقيم فقال:{ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[4].

قد استعمل القرآن الكريم في هذه الآية الاسم الموصول:(هذا) إشارة إلى الإسلام، لأنه حاضر في أذهان المخاطبين، ومن كثرة سماعه، كما أنه يمكن أن تكون الإشارة إلى جميع التشريعات التي تقدمت في الآية:{ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...}[5] وهذا كله مما أمر به الإسلام.

هذا ما ذهب إليه المفسرون، يقول محمد الطاهر بن عاشور:" والإشارة إلى الإسلام أي: وأن الإسلام صراطي، فالإشارة إلى حاضر في أذهان المخاطبين من أثر تكرر نزول القرآن وسماع أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام، بحيث عرفه الناس وتبينوه، فترل مترلة المشاهد، فاستعمل فيه اسم الإشارة الموضوع لتعيين ذات بطريق المشاهدة مع الإشارة، ويجوز أن تكون الإشارة إلى جميع التشريعات، والمواعظ التي تقدمت في هذه السورة، لأنها صارت كالشيء الحاضر المشاهد، كقوله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ

---

1 - الأنعام: 153.

2 - الأنعام: 161.

3 - طه: 123.

4 - الأنعام: 153.

5 - الأنعام: 151.

نُوحِيهَا إِلَيْكَ }[1] "[2].

وقد جمع في هذه الوصية بين الأمر والنهي، فالأمر باتباع صراط الله المستقيم: الإسلام، وقد شبهه بالطريق ثم حكم على أنه مستقيم، لا اعوجاج فيه، أما النهي فعن اتباع السبل الباطلة التي تضل صاحبها، فالصراط مفردة دليل على أنها صراط واحدة وطريق واحدة، أما السبل فهي جمع، ويدل هذا على أن طرق الضلال كثيرة.

" والسبل: الطرق، ووقوعها هنا في مقابلة الصراط المستقيم يدل على صفة محذوفة، أي السبل المتفرقة، وهي التي يسمونها: بنيات الطريق، وهي طرق تتشعب من السبيل الجادة ذاهبة، يسلكها بعض المارة، فرادى إلى بيوتهم أو مراعيهم، فلا تبلغ إلى بلد ولا إلى حي، ولا يستطيع السير فيها إلا من عقلها واعتادها، فلذلك سبب عن النهي قوله:{ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" أي: فإنها طرق متفرقة فهي تجعل سالكها متفرقا عن السبيل الجادة، وليس ذلك لأن السبيل اسم للطريق الضيقة غير الموصلة، فإن السبيل يرادف الصراط، ألا ترى إلى قوله:{ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي }[3] بل لأن المقابلة والإخبار عنها بالتفرق دل على أن المراد سبل خاصة موصوفة بغير الاستقامة"[4].

فعن عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال:" هذا سبيل الله"، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال:" هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها" ثم قرأ:{ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}[5].

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال:" هذه سبيل الله" ثم تلا هذه الآية:" وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون"[6].

أما الصراط المستقيم فهو طريق واحدة، وهو طريق الحق، والسبل كثيرة، وهي كل ما خالف الصراط المستقيم من الأديان المحرفة والمخترعة، والبدع والشبهات والمعاصي.

فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعا:" ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعن جنبي الصراط

---

1 - هود: 49.

2 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص172.

3 - يوسف: 108.

4 -ابن عاشور :المصدر السابق ، ص173.

5 - الأنعام153.

6 - أخرجه النسائي في تفسيره عند قوله تعالى :"وأن هذا صراطي مستقيما"ح(194-195).

سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال له: ويحك لا تفتحه تلجه(أي تدخله) فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم"[1].

" وقد نهى عن التفرق في صراط الحق وسبيله فإن التفرق في الدين الواحد هو جعله مذاهب يتشيع لكل منها شيعة وحزب ينصرونه ويتعصبون له، ويخطئون ما خالفه، و يرمون أتباعه بالجهل والضلال أو الكفر أوالابتداع، وذلك سبب لإضاعة الدين بترك طلب الحق المترل فيه، لأن كل شيعة تنظر فيما يؤيد مذهبها، ويظهرها على مخالفيها لا في الحق لذاته، والاستعانة على استبانته، وفهم نصوصه ببحث أي عالم من العلماء بغير تعصب ولا تشيع، والحق لا يمكن أن يكون وقفا محبوسا من عند الله تعالى على عالم معين وعلى أتباعه فكل باحث من العلماء يخطئ ويصيب وهذا أمر قطعي ثابت بالعقل والنقل والإجماع ولكن جميع المتعصبين للمذاهب الملتزمين لها مخالفون له، ومن كان كذلك لم يكن متبعا لصراط الله الذي هو الحق الواحد وهذا ظاهر فيهم، فإنهم إذا دعوا إلى كتاب الله، وإلى ما صح من سنة رسوله أعرضوا عنهما وآثروا عليهما قول أي مؤلف كتاب منتم إلى مذهبهم"[2] .

فالصراط المستقيم هو طريق الحق الموحد لأهله، الجامع لكلمتهم ، المانع لهم من الشقاق والخصام، أما التفرق فلا يجني منه أهله إلا الذل والضعف والضياع، هذا ما حدث لأتباع الأنبياء السابقين لما اختلفوا وتفرقوا خذلوا وضعفوا وتقاتلوا فهلكوا.

ثم قال:{ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[3]ذلكم إشارة إلى الصراط المستقيم، وصاكم الله تعالى باتباعه ونهاكم عن سبيل الضلال والباطل لعلكم تتقون، قال الألوسي:" لعلكم تتقون عقاب الله تعالى بالمثابرة على جعل ما أمر به والاستمرار على الكف عما نهى عنه، قال أبو حيان: ولما كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف وأمر سبحانه باتباعه ونهى عن اتباع غيره من الطرق، ختم ذلك بالتقوى التي هي اتقاء النار، إذ من اتبع صراطه نجا النجاة الأبدية، وحصل على السعادة السرمدية، وكرر سبحانه الوصية لمزيد

1 - أخرجه الإمام المبارك بن محمد بن الأثير في، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ،المكتبة التجارية مصطفى أحمد البازمكة المكرمة،ج1،ص274، ح(60).

2 -رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص195، 196.

3 - الأنعام:153.

التأكيد، ويا لها من وصية، ما أعظم شأنها وأوضح برهانها"[1]
فالعمل بوصيةاتباع صراط الله المستقيم:(الإسلام)والنهي عن التفرق فيه توصل إلى الجنة.

بعد دراسة و تفسير المبحث الأول الموسوم ب :"المضمون العقدي"من الفضل الثاني :مضامين وصايا القرآن الكريم تبين لي ما يلي :
أن الله تعالى بدأ وصاياه بالوصية الشاملة وهي "التواصي بالحق ثم التواصي بالصبر عليه"ثم شرع في تفصيل هذه الوصية فبدأ بأعظمها وأخطرها وهي وصية النهي عن الشرك وعبادة الله عز وجل وحده والإيمان بألوهيته وربوبيته ،فالله عزوجل حق والإيمان به حق ،والتواصي بعبادته تواص بالحق ،وليومن العبد إيمانا صادقا لا بد أن يعرف أعظم صفة لله تعالى وهي علمه بالغيب ولذلك كانت الوصية التالية بعد النهي عن الشرك ،التوصية بعلم غيب الله تعالى ،فإن جعل العبد مراقبة الله عز وجل نصب عينيه فإنه ينتهي عن اقتراف المعاصي ويخلص عمله وعبادته لله وحده ويحرص على دوام الحق ،فإن هو قام بذلك فقد أقام دين الله تعالى و اتبع صراطه المستقيم.
فوصايا القرآن الكريم وصايا متكاملة تخدم الوصية الأولى "التواصي بالحق".

1 - الألوسي :روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني94ج8 ،ص57.

المبحث الثاني: المضمون الأخلاقي

توطئة

من جملة مضامين الوصايا في القرآن الكريم المضمون الأخلاقي، فقد اهتمت الوصية بالجانب الأخلاقـــي للفرد اهتماما بالغا، ودعت إلى أشرف وأفضل الأخلاق.

- فما هي الأخلاق التي وصى بها القرآن الكريم؟ وما نوعها؟
- ماذا ينجم عن غياب العمل بمضمون الوصية الأخلاقية؟
- ما العلاقة بين المضمون الأخلاقي للوصية والمضمون العقدي؟

هذا ما سيجيب عليه هذا المبحث بمشيئة الله تعالى.

المطلب الأول :الوصية بالتقوى

أوصى الله عز وجل عباده بتقواه .فقال :{ وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً }1 .

- فما مفهوم التقوى لغة ؟
- وما مفهوها اصطلاحا ؟
- ما هي الطرق الموصلة للعمل بوصية التقوى ؟
- ما هي صفات العاملين بوصية التقوى ؟

أولا- مفهوم التقوى لغة:

"وقى" هوالأصل اللغوي للتقوى التي يدور معناها على الآتي :

-تأتي بمعنى :صان و حمى وحفظ.

"وقى ":وقاه الله وقاية صانه .

وفي الحديث :"فوقى أحدكم وجهه من النار "أي ليق أحدكم وجهه من النار بالطاعة والصدقة .

-وتأتي بمعنى جعل النفس في وقاية مما تخاف .كقوله تعالى :{ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً }2 ، وقوله:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ }3، معناه :اثبت على تقوى الله ودم عليه .

والاسم التقوى :التاء بدل من الواو ،و الواو بدل من الياء وفي التنزيل العزيز : }وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ }4،أي جزاء تقواهم ، وقيل معناه تقواهم .

وقوله تعالى :{ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ }5"6.

مما سبق نستنتج أن التقوى مادها "وقى"" وقاية " بمعنى صان .

1—النساء:131.

2-التحريم:06.

3-الأحزاب :01

4-محمد:17.

5- المدثر: 56.

6- ابن منظور :لسان العرب المحيط،ج 3،ص971، 972.

والتقوى اسم يأتي بمعنى :صان و حمى وحفظ ، وجعل النفس في وقاية مما تخاف وفعلها "اتقى".

ثانيا- مفهوم التقوى في الاصطلاح:

ورد في تعريف التقوى تعريفات عديدة ،فقد عرفها :

الراغب الأصفهاني فقال :"حفظ النفس عما يؤثم ،وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي :"الحلال بين و الحرام بين ،ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه"1"2

وعرفها الزمخشري فقال عن المتقي:"الذي يتقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ،واختلف في الصغائر وقيل الصحيح أنه لا يتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر ،وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال ،و المتقي لا يطلق إلاخبرة،كمالا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر" 3

- أما الطاهر بن عاشور فقد قال أن :"التقوى الشرعية امتثال الأوامر واجتناب المنهيات من الكبائر وعدم الاسترسال على الصغائر ظاهرا أو باطنا أي اتقاء ما جعل الله الاقتحام فيه موجبا غضبه و عقابه ،فالكبائر كلها متوعد فاعلها بالعقاب دون اللمم"[4].

- وعرفها محمد رشيد رضا فقال:"من الاتقاء والاسم التقوى وأصل المادة" وقى يقي " والوقاية معروفة المعنى :وهو البعد أو التباعد عن المضر أو مدافعته ولكن نجد هذا الحرف مستعملا بالنسبة إلى الله تعالى ،كقوله :{ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ }5 {وَاتَّقُواْ اللّهَ }6{فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }7.

فمعنى اتقاء الله اتقاء عذابه وعقابه، وإنما تضاف التقوى إلى الله تعالى تعظيما لأمر عذابه وعقابه، وإلا فلا يمكن لأحد أن يتقي ذات الله تعالى، ولا تأثير قدرته، ولا الخضوع الفطري لمشيئته .

ومدافعة عذاب الله تكون باجتناب ما نهى، واتباع ما أمر، وذلك يحصل بالخوف من العذاب ، ومن

1-أخرجه مسلم،كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ،حديث رقم (1599) وأخرجه البخاري،كتاب البيوع ،باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ،ح(2051)،وأخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب في اجتناب الشبهات ،ح(3329، 3330).

2-الراغب الأصفهاني :مفردات ألفاظ القرآن، ص881.

3-أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التأويل و عيون الأقاويل في وجوه اتأويل ،دار الفكر للطباعة و النشر،(د،ت،ط)، ج1،ص129.

[4] -الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير،ج1،ص226.

5-البقرة:41.

6-البقرة :189 .

7-المائدة-100.

المعذب فالخوف يكون ابتداء من العذاب ، وفي الحقيقة من مصدره،فالمتقي هو من يحمي نفسه من العقاب ولا بد في ذلك أن يكون عنده نظر ورشد يعرف بهما أسباب العقاب والآلام فيتقيها"1.

وعرفها الشيخ سعيد حوى بالآتي:"التقوى هي تنفيذ ما يطالب به كل إنسان من كتاب الله وسنة رسوله"[2] .

فالتقوى عند العلماء هي ترك المنهي عنه المؤدي إلى العقوبة.

فالأصفهاني فذهب إلى أن التقوى تكون بترك بعض المباحات أيضا . أما الزمخشري فذكر الاختلاف في الصغائر، هل مرتكبها يعتبر تقيا أم لا؟ورجح أن المتقي لا يقوم بالصغائر. واشترط ابن عاشور عدم الاسترسال فيها .

في حين تناول محمد رشيد رضا موضوع نسبة التقوى إلى الله عز وجل ، وسبب ذلك ، ثم كيفية مدافعة عذاب الله تعالى .فالتقوى هي ما أمر الله سبحانه به وترك ما نهى عنه.

ثالثا– الوصية بالتقوى

بعث الله رسله وكان من بين أهدافهم توصية أقوامهم بتقوى الله عز وجل .قال تعالى :{ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ {105} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {106} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {107} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ }3.وقال :{ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }4.وقال:{ وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}5.وقال أيضا:{ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {10} قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ}6.

وبها أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ،فعن العرباض بن سارية قال:صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ،ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ،كأن هذه الموعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال :"أوصيكم بتقوى الله

4-محمد رشيد رضا:تفسير القرآن الحكيم،ج1، ص108.

2 -سعيد حوى ،الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:5 ،1419هـ—1999م،ج1،ص402.

6-الشعراء:105،106،107،108.

7-العنكبوت: 16

1-الزخرف:63.

2-الشعراء، 10،11.

والسمع والطاعة"1.
وعمل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصية التقوى،فلما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق عهد إلى عمر وصاه بوصيته ،وأول ما قال له :"اتق الله يا عمر "2 .
وتقوى الله عز وجل تكون في السر والعلن ، ومحلها القلب بالخوف من الله عز وجل وإخلاص العبادة له وهجر الرياء والشرك ،فيظهر أثرها على جوارح العبد فيترك المعاصي ويلتزم بالأوامر.يقول محمد رشيد رضا :"اتقوا الله في إقامة سننه وإقامة دينه وشريعته ،فبإقامة السنن تعلوا معارفكم الإلهية ،وترتقي مرافقكم الدنيوية ،وبإقامة الأحكام والآداب الدينية تتزكى أنفسكم وتنتظم مصالحكم المدنية و الاجتماعية"3.
أما الاخلال بوصية التقوى بعدم اتباع أوامر الله عز وجل وعدم الانتهاء عن نواهيه فإن لله ما في السماوات وما في الأرض من المخلوقات يوحدونه ويعبدونه ولا يعصونه . يقول أبو حيان الأندلسي :"أي أنتم من جملة ما يملكه تعالى وهو المتصرف فيكم إذ هو خالقكم والمنعم عليكم بأصناف النعم وأنتم مملوكون له فلا يناسب أن تكفروا من هو مالككم وتخالفوه أمره بل حقه أن يطاع ولا يعصى ، وأن يتقى عقابه ، ويرجى ثوابه ، ولله ما في سمائه وأرضه من يوحده، ويعبده ولا يعصيه "4 .
وللعمل بوصية التقوى لابد من معرفة الطرق التي توصلنا إليها ومن أهمها:" الإيمان بالله تعالى ، بأن يعرف العبد ربه بصفاته وأفعاله فمن عرفه كان أكثر خشية منه .قال تعالى:{ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ5 ،وقراءة القرآن ،لأن تلاوته بتدبر توصل إلى تقوى الله عز وجل ، فال تعالى : {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }6، والإيمان باليوم الآخر وخشيته ،قال تعالى :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً}7 ،ومن الطرق الموصلة إلى

1-أخرجه أبو داود ،كتاب السنة، باب في لزرم السنة ،ح(4607)وابن ماجه ،المقدمة ،باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ح(42)،وأخرجه الدارمي ،المقدمة ،باب اتباع السنة.
2-نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،ط:1408هـ—1988م ،ج4 ص220،كتاب الوصايا ،باب وصية أبي بكر رضي الله عنه.
5-محمد رشيد رضا:تفسير القرآن الحكيم ،ج5،ص365.
6-محمد بن يوسف المشهور بأبي حبان الأندلسي،تفسير البحر المحيط،دار الكتب العلمية ،ط1،1419هــ،1993،ج3،ص382.
1-الممتحنة :11.
2-البقرة:187.
7- لقمان:33

تقوى الله سبحانه عبادته ، قال تعالى :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}1 .

وللعاملين بوصية التقوى صفات ،فهم يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، وينفقون مما رزقهم الله ،قال تعالى :{ الم {1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }2.

كما أنهم يستغفرون الله إذا وقعوا في معصية ولا يصرون عليها ، ويسرعون إلى التوبة ، قال تعالى :{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}3.

ومن صفاتهم ،الصبر والعفو وكظم الغيظ . قال تعالى :{ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {133} الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }4، ويتصفون بالصدق و الوفاء بالعهود ، قال تعالى : { وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }5"[6].

فهذه أهم صفات العاملين بوصية التقوي

من خلال وصية التقوى أخلص إلى الآتي :

-أن أسمى هدف للأنبياء و المرسلين دعوة أقوامهم إلى تقوى الله عز وجل وتوصيتهم بها .

-يكون العمل بوصية التقوى بترك المعاصي والتزام أوامرالله سبحانه وعبادته ."فمن اتقى الله خاف عقابه،ومن خاف عقاب الله أدى ما أوجبه الله عليه لعباده،فلا يظلم أحدا ولا يخونه"[7]

-الإخلال بوصية التقوى لا ينقص من ملك الله تعالى شيء .

2-البقرة :21.

3-البقرة 1-2 -3.

4-الأعراف:201.

5-آل عمران:134،133.

6-الزمر:33.

6 -محمود أحمد سعبد الأطرش ،حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها على ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة وأفعال سلف الأمة ،دار الإيمان للطبع والنشر و التوزيع ،ط:2002، ص من 35 إلى 50 بتصرف .

7 -علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ،الوصايا في الكتاب والسنة ،دار الإمام أحمد،ط:1 ،1426 هـ 2005م ، المجموعة الثانية ،ص 47.

-للعمل بوصية التقوى لابد من معرفة الطرق الموصلة إليها والمتمثلة في :
الايمان بالله تعالى واليوم الآخر ،وقراءة القرآن وعبادة الله عزوجل .
-للعاملين بوصية التقوى صفات إيمانية و تعبدية وأخلاقية .

المطلب الثاني:الوصية بالوفاء بالعهد

أوصى الله عز وجل عباده بالوفاء بعهده فقال:{ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[1] وقال:{ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }[2].

1 - الأنعام: 152.
2 - الإسراء: 34.

- فما مفهوم العهد في اللغة؟ وما مفهومه الاصطلاحي؟
- لمن وجه الخطاب في الآية؟ ولماذا أضيف العهد إلى الله عز وجل؟
- ما أنواع العهود؟ وما فضل الوفاء بها؟

أولا- العهد في اللغة :

جاء في لسان العرب المحيط في مفهوم العهد أنه:" كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من مواثيق، فهو عهد، وأمر اليتيم من العهد، وكذلك كل ما أمر به في هذه الآيات ونهى عنه، ويقال: عهد إلي كذا؛ أي: أوصاني، ومنه حديث علي كرم الله وجهه:" عهد إلي النبي الأمي"[1] أي: أوصاني.

والعهد التقدم إلى المرئ في الشيء، والعهد الذي يكتب للولاة، وهو مشتق منه، والعهد: الموثق واليمين يحلف بها الرجل، تقول: علي عهد الله وميثاقه، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه، ومنه قوله تعالى:{ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ}[2] ،والعهد الوفاء.وقال شمر: العهد: الأمان، وكذلك الذمة، وفي التتريل:{ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }[3]

والعهد الحفاظ ورعاية الحرمة"[4]

فالعهد في اللغة نوعان:

الأول: كل ما عوهد الله عليه.

الثاني: كل ما بين العباد من مواثيق.

ويأتي بمعاني أخرى منها: الوصية واليمين والوفاء والأمان والحفظ ورعاية الحرمة.

ثانيا – العهد في الاصطلاح:

أما من الناحية الاصطلاحية، فقد وردفي مفهوم العهد عدة تعريفات:

فعرفه ابن عاشور بقوله:" أي العهد الذي أمر الله بحفظه، وحذّر من ختره، وهو العهود التي تنعقد بين الناس بعضهم مع بعض، سواء كان بين القبائل أم كان بين الآحاد"[5].

وقال عنه محمد رشيد رضا:" أن توفوا بعهد الله دون ما خالفه وهو يشمل ما عهده الله تعالى إلى الناس

---

1 -أخرجه ابن ماجه في سننه ،المقدمة ،فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،ح(114).

2 - النحل: 91.

3 - البقرة: 124.

4 -ابن منظور : لسان العرب المحيط، ج2، ص914.

5 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص169.

على ألسنة رسله، وبما أتاهم من العقل والوجدان والفطرة السليمة، وما يعاهده الناس عليه، وما يعاهد عليه بعضهم بعضا في الحق موافقا للشرع، قال تعالى:{ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ }[1]، وقال:{ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ }[2]،{ إِذَا عَاهَدتُّمْ }[3]، وقال:{ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم}[4]، وقال في صفات المؤمنين:{ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ }[5]، فكل ما وصى الله به وشرعه للناس، فهو من عهده إليهم، ومن آمن برسول من رسله فقد عاهد الله بالإيمان به أن يتمثل أمره ونهيه، وما يلتزمه الإنسان من عمل البر بنذر أو يمين، فهو عهد عاهد ربه عليه، كما قال في بعض المنافقين:{ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ {75} فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ}[6]، وكذلك من عاهد الإمام، وبايعه على الطاعة في المعروف، أو عاهد غيره على القيام بعمل مشروع، والسلطان يعاهد الدول، فكل ذلك مما يجب الوفاء به، إذا لم يكن معصية، ولكن لا يعد من عهد الله شيءمن ذلك إلا إذا عقد باسم أو بالحلف به، وكذا تنفيذ شرعه"[7].

أما ابن باديس فعرفه بقوله:" أوفى بعهده إذا أتى بما التزم وافيا، والعهد؛ من: عهد إليه بالشيء إذا أعلمه به، قال تعالى:{ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ }[8]، أي أعلمناه، فالعهد هو الإعلام بالالتزام، أو الإعلام بما يلتزم، فمن الأول: عاهدت زيدا على كذا، أي: أعلمته بالتزامي له، وتعاهد القوم على الموت، أي: أعلم بعضهم بعضا بالتزامه، ومن الثاني؛ عهد الله إلى العباد؛ أي: إعلامهم بما عليهم أن يلتزموه، وقول عبد الله بن عمر- رضي الله عنه-:" الدينار بالدينار، والدرهم بالدرهم، لا فضل بينهما، هذا عهد نبينا إلينا وعهدنا إليكم"[9]؛ أي إعلامه لنا، وإعلامنا لكم بما يلتزم"[10].

---

1 - طه: 115.

2 - يس: 60.

3 - النحل: 91.

4 - البقرة: 100.

5 - البقرة: 177.

6 - التوبة: 75، 76.

7 -رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص192.

8 - طه: 115.

9 - أخرجه مالك بن أنس في الموطأ،كتاب البيوع ،باب بيع الذهب بالفضة تبرا وعينا ،ح(31) ، صحيح سنن النسائي، الألباني،كتاب البيوع ،باب بيع الدرهم بالدرهم

10 -عبد الحميدبن باديس، مجالس التذكيرمن كلام العليم الخبير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة ،الجزائر ،ط1 :1402هـ 1982م ص 125.

من خلال التعريفات الاصطلاحية نخلص إلى:

العهد عند محمد الطاهر بن عاشور هو الذي أمر الله بحفظه، وهو العهد الذي ينعقد بين البشر، سواء بين القبائل أو بين الآحاد،أما محمد رشيد رضا فقسم العهود إلى نوعين:

الأول: عهد الله: وهو ما عهد الله تعالى إلى الناس عن طريق رسله؛ كالإيمان به وبالملائكة والكتب والرسل، وكذلك ما يعاهده الناس عليه؛ كالنذر واليمين.

أما النوع الثاني: فهي العهود بين الناس؛ وهي ما عاهد عليه بعضهم بعضا شرط أن تكون موافقة للشرع؛ كمعاهدة الإمام على الطاعة في المعروف.

وذهب ابن باديس إلى أن العهد هو الإعلام بالالتزام أو الإعلام بما يلتزم، وهو الآخر قسم العهد إلى نوعين:

النوع الأول: هو العهد بين الناس، وعبر عنه بالإعلام بالالتزام.

والثاني: عهد الله؛ وعرفه بالإعلام بما يلتزم.

فالعهد إذن نوعان: عهد الله، وعهد بين الناس، وكلاهما واجب التنفيذ إذا وافق الشرع.

والوفاء بالعهود سمة للمؤمنين الصادقين، ووصية للخلق أجمعين، قال تعالى:{ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[1]، والخطاب في الآية للمشركين، وبما أنه خاطبهم بقوله:" وبعهد الله أوفوا" فالعهود معروفة بينهم، "وهي العقود التي يعقدونها بالموالاة والصلح، أونحو ذلك، فهو يدعوهم إلى الوفاء بما عقدوا عليه، وأضيف إلى الله، لأنهم كانوا يتحالفون عند التعاقد، ولذلك يسمون العهد حلفا"[2].

فالمشركون كانوا يتعاملون بالعهود، وكانوا يحلفون بالالتزام بها، ثم يخونون العهد ويخلفونه، ومن بين العهود المقررة بينهم، حلف الفضول، وحلف المطيبين، وقد عقدا من أجل دفع الظلم على أهل مكة لكن لم يلتزموا بها، بل اعتدوا على ضعفاء المؤمنين، وأخلفوا عهودهم" فهو يقول لهم فيما يتلو عليهم أن خفر عهد الله بأمان مكة، وخفر عهودكم بذلك، أولى بأن تحرموه من مزاعمكم الكاذبة فيما حرمتم وفصلتم"[3].

وقد قدم الله عز وجل معمول الفعل" أوفى" عليه، لأن العهد من حيث الإرضاء نوعان:

الأول: هو العهد الذي يرضي الله عز وجل؛ وهو كل ما يوافق الشرع.

---

1 - الأنعام: 152.

2 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص169.

3 - ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج8، ص169، 170.

أما الثاني: فهو العهد الذي لا يرضي الله عز وجل؛ كنذر الحرام والحلف على فعله.
فالعهد الذي أمر الله بالوفاء به هو الأول لأنه عهد الله.
هذا ما بينه محمد رشيد رضا في تفسيره قائلا:" فالعهد إذا عام لكل ما شرعه الله للناس وكل ما التزمه الناس مما يرضيه ويوافق شرعه، ويقابله ما لا يرضي الله من عهد كنذر الحرام، والحلف على فعله، ومعاهدة الحربيين وغيرهم على ما فيه ضرر للأمة وهضم لمصالحها، أو غير ذلك من المعاصي، فحصر الله الأمر بالوفاء في الأول الذي يرضيه ليخرج منه هذا الأخير الذي يسخطه"[1].
فمعنى العهد هو العهد المشروع الذي أمر الله تعالى به، فمن عهد الله أن لا نقرب مال اليتيم، ومن عهده أن نوفي المكيال والميزان ، وأن من عهده أيضا قول الحق والعدل، وهذه العهود تختص أكثر بالناس، لكنه أكد على الوفاء بها لتعم الثقة بين المسلمين، ويعيش أفراد المجتمع في طمأنينة، لأن كل واحد يأمن إلى أن عهوده يلتزم بها.
يقول سيد قطب:" والوفاء بالعهد، إنه سمة الإسلام التي يحرص عليها ويكررها القرآن كثيرا، ويعدها آية الإيمان، وآية الآدمية، وآية الإحسان، وهي ضرورية لإيجاد جو من الثقة والطمأنينة...وبغير هذه السمة يعيش كل فرد مفزعا قلقا لا يركن إلى وعد، ولا يطمئن إلى عهد، ولا يثق بإنسان، ولقد بلغ الإسلام من الوفاء بالعهد لأصدقائه وخصومه على السواء قمة لم تصعد إليها البشرية في تاريخها كله، ولم تصل إليها إلا على حداء الإسلام وهدي الإسلام"[2].
ولم تعرف البشرية وفاء للعهود منذ نشأتها، كما عرفته في عهد الإسلام، وتشدد فيها تشددا عظيما، لأنه بالثقة تقوم المجتمعات، وبانعدامها تنهدم.
وبعد الوصية بالوفاء بالعهود ختم الله تعالى الآية بقوله:{ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[3]، " وقد فسر محمد رشيد رضا هذه الجملة الكريمة بقوله:" والمعنى على هذه القراءة –يريد تذكرون- وصاهم به رجاء أن يتكلف ذكر هذه الوصايا وما فيها من المصالح والمنافع من ذكر كثير النسيان والغفلة، أو كثير الشواغل، أو رجاء أن يتذكرها المرة بعد المرة من أراد الانتفاع بها بتلاوة آياتها في الصلاة وغيرها وبغير ذلك، أو رجاء أن يتعظ بها من سمعها وقرأها أو ذكرها بها"[4].

1 -رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص193.
2 - قطب :في ظلال القرآن، ج1، ص161.
3 - الأنعام: 152.
4 - رشيد رضا :تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص194.

وختمت الآية بقوله تعالى:{ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" لأن هذه المطالب الأربعة عرف بين العرب أنها محامـد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها ولكنهم تناسوه بغلبة الهوى وغشاوة الشرك على قلوبهم"[1].

أما الرازي فقد علل ذلك بأن السبب هو أن:" التكاليف الأربعة المذكورة في الآية أمور خفية غامضة، لا بد فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف على موضع الاعتدال، فلهذا السبب قال:{ لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ}[2] "[3].

فالوفاء بعهد الله يكون بتوحيده وطاعته، والقيام بأعباء الدين، أما الوفاء بالعهد بـين النـاس فيكـون بتعاملهم على أساس من الثقة وعدم الخيانة.

والوفاء بالعهد يضمن نجاة العباد عند الله عز وجل في الآخرة ويضمن انتظام شؤونهم في الحياة الدنيا.

ويترتب على العمل بوصية الوفاء بالعهد الأجر العظيم، قال تعالى: }وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْـهُ اللَّـهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً }[4].

ويغمر الله العاملين بها بحبه، قال تعالى:{ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[5].

ومن خلال وصية الوفاء بالعهد نتوصل إلى النتائج التالية:

العهد نوعان:

أ- عهد مع الله: وهو ما عاهد عليه العبد ربه بما فرض عليه، أو فرضه هو على نفسه كالنذر، وأول عهد يجب على نفسه كالنذر.

وأول عهد يجب على الإنسان الوفاء به: عهده مع خالقه وموجده، معترفا بربوبيته وألوهيته، عابدا إياه وحده لا شريك له، قال تعالى:{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَلَـى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ...}[6].

ومن أشرك فقد نكث عهد الله.

ب- العهد مع الناس: والمراد به ما عاهد عليه المسلم أخاه المسلم في أمر من أمور الدنيا، ولا يجوز الغدر

---

1 -ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج8، ص170.

2 - الأنعام: 152.

3 - الرازي :التفسير الكبير ، ج4، ص193.

4 - الفتح: 10.

5 - آل عمران: 76.

6 - الأعراف: 172.

به.

- بالعمل بوصية الوفاء بالعهد يعيش المسلمون في أمن وطمأنينة، ينعمون بالثقة في معاملاتهم.

- في غياب العمل بوصية الوفاء بالعهد يعيش أفراد المجتمع في قلق، لا يطمئنون إلى عهد ولا يثق بعضهم ببعض.

المطلب الثالث:الوصية بالعدل في القول:

أوصى الله عز وجل عباده بالعدل في القول فقال:{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى }.[1]

فماذا يشمل العدل في القول؟ ولماذا قرنه الله عز وجل بالقرابة؟ وما أهميته في حياة البشرية؟

ورد الأمر بالعدل وإقامة القسط في عدة مواضع في القرآن الكريم، قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}[2].

وقال في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[3].

وقال في سورة آل عمران:{ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[4].

كما وردت عدة أحاديث تحث على العدل؛ منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا"[5].

وقد أجمع العلماء والمفسرون على أن العدل في القول يشمل الشهادات والأحكام، وجعله محمد الطاهر بن عاشور شاملا لكل المعاملات التي تكون بين الناس بواسطة الكلام شرط أن لا يكون فيه اعتداء على الحقوق، فقال:" هذا جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام وهي الشهادة، والقضاء والتعديل والتجريح، والمشاورة، والصلح بين الناس، والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات: من صفات المبيعات، والمؤاجرات، والعيوب، وفي الوعود، والوصايا، والأيمان، وكذلك المدائح والشتائم كالقذف، فكل ذلك داخل فيما يصدر عن القول، والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق؛ بإبطالها أو إخفائها"[6].

1 - الأنعام: 152.

2 - النساء: 135.

3 - المائدة: 8.

4 - آل عمران: 18.

5 - رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة،باب فضيلة الإمام العادل ،وعقوبة الجائر ،والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ح(1827) .

6 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص166-167.

أما محمد رشيد رضا فلم يحصر العدل في القول فقط، بل جعله في الأفعال أيضا، فقال:" ... أن تعدلوا في القول إذا قلتم قولا في شهادة أو حكم على أحد ولو كان المقول في حقه ذلك القول صاحب قرابة منكم، فالعدل واجب في الأقوال، كما أنه واجب في الأفعال كالوزن والكيل، لأنه هو الذي تصلح به شؤون الناس"[1].

والوصية بالعدل في القول جاءت مقترنة بشرط:" القول" و" إذا"، علل الطاهر بن عاشور هذا الشرط بجواز السكوت في مواقف ووجوبه في مواقف أخرى، فقال:" وفي التعليق بأداة الشرط في قوله:" وإذا قلتم" إشارة إلى أن المرء في سعة من السكوت إذا خشي قول العدل، وأما أن يقول الجور والظلم والباطل فليس له سبيل إلى ذلك، والكذب كله من القول بغير العدل، على أن من السكوت ما هو واجب"[2].

والوصية بالعدل في القول مأمور بها، وإن كان المشهود له أو عليه من القرابة لأن النفس تضعف أمام القريب، وتشفق عليه من الشهادة ضده، وتشعر بوجوب مد العون له، وذلك بالشهادة لصالحه:" فهنا مزلة من مزلات الضعف البشري، الضعف الذي يجعل شعور الفرد بالقرابة، هو شعور التناصر والتكامل والامتداد، بما أنه ضعيف ناقص محدود الأجل، وفي قوة القرابة سند لضعفه، وفي سعة رقعتها كمال لوجوده، وفي امتدادها جيلا بعد جيل ضمان لامتداده! ومن ثم يجعله ضعيفا تجاه قرابته حين يقف موقف الشهادة لهم أو عليهم، أو القضاء بينهم وبين الناس...وهنا في هذه المزلة يأخذ الإسلام بيد الضمير البشري يقول كلمة الحق والعدل..."[3]

وجاءت الوصية بصيغة الأمر دون صيغة النهي، فطلب الله عز وجل قول العدل في حالة الكلام و لم ينه عن الجور والزيغ والباطل والظلم، لأن طلب الأمر في هذا الموضع أوفى بمقصد الشارع من طلب النهي، هذا ما ذهب إليه محمد الطاهر بن عاشور حيث قال:" وقد جاء طلب الحق في القول بصيغة الأمر بالعدل، دون النهي عن الظلم أو الباطل، لأنه قيد بأداة الشرط المقتضي لصدور القول: فالقول إذا صدر لا يخلو عن أن يكون حقا أو باطلا، والأمر بأن يكون حقا أوفى بمقصد الشارع لوجهين:

أحدهما: أن الله يحب إظهار الحق بالقول ففي الأمر بأن يكون عدلا أمر بإظهاره، ونهي عن السكوت بدون موجب.

---

1 -رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص192.

2 - ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج8، ص167.

3 -قطب : في ظلال القرآن، ج3، ص1233.

الثاني: أن النهي عن قول الباطل أو الزور يصدق بالكلام الموجه الذي ظاهره ليس بحق وذلك مذموم إلا عند الخوف أو الملاينة، أو فيما لا يرجع إلى إظهار حق.."[1]

والوصية بالقول العدل توجب على المسلم التثبت في كل أمر قبل الحكم عليه، ليكون منصفا عادلا، لا جائرا ظالما، وهذا ما بينه القرآن الكريم ودعا إليه في قوله تعالى:{ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }[2]، فمتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج الرباني، فلا تردد في إصدار الحكم، لأنه لا مجال للظن والشبهة في عدله وإنصافه.

أما أهمية الوصية بالعدل في القول فتتجلى في أنها تؤلف بين قلوب الناس، وتحسم كل الاختلافات والافتراقات بينهم، فأهم أسباب الفرقة والاختلاف بين الناس: الظلم، فبتحقيقها تستقيم حياة العباد ويتحقق العدل بينهم، ويأخذ كل ذي حق حقه، فيتساوى القريب والبعيد، والغني والفقير، العبد والسيد.

أقسام العدل:

ينقسم العدل إلى ثلاثة أقسام:

أ- أعظم العدل: هو توحيد الله عز وجل لا شريك له، وهو الحق الذي قامت به السماوات والأرض، ومن أجله خلق الله تعالى الخلق، قال عز وجل:{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ {38} مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[3].

ويقابله أعظم الظلم وهو الإشراك بالله، قال تعالى:{ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[4].

ومن مات على كفره فلن يغفر الله له.

ب- العدل مع النفس: ويكون بقيام العبد بما كلفه الله من الإتيان بأوامره، واجتناب نواهيه، وهذا بين العبد وربه، ويقابله ظلم العبد نفسه بارتكاب ما حرم الله دون الشرك، وترك ما أمر به، وهو أخف أنواع الظلم، حيث أن صاحبه قد يتوب الله عليه بعد توبته، ولو مات و لم يتب فهو تحت المشيئة"[5].

---

1 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص168.

2 - الإسراء: 36.

3 - الدخان: 38، 39.

4 - البقرة: 254.

5 -عبد العزيز بن ناصر الجليل، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ، دار طيبة، السعودية، ط2: 1419هـ، 1998م، ج1، ص27، 28.

ج- العدل مع العباد: وهو فيما بين العبد والعبد، قال تعالى:{ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ }[1]، ويقابل هذا النوع الظلم والجور في حق العباد، وهو أشد من ظلم النفس، حيث يشترط في توبة الظالم غيره رد الحـــق إلى المظلوم، ثم طلب مغفرة الله عز وجل.

من خلال ما سبق توصلت إلى النتائج التالية:

- إذا طبق الإنسان وصية العدل في القول تستقيم حياته.
- منهج تطبيق هذه الوصية على نفس الإنسان أولا ثم أقرب الناس إليه وهما الوالدان ثم الأقارب ثم على المسلمين وحتى على غير المسلمين.
- للعمل بها لا بد من تجنب ما هو صاد عن العدل وهو اتباع الهوى.
- من أهم أسباب الفرقة ولاختلاف بين الناس: الظلم.

---
1 - الأنعام: 152.

المطلب الرابع:الوصية بالنهي عن التكبر

أوصانا الله عز وجل بالانتهاء عن التكبر فقال :{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}[1].

لماذاجاءت الوصية باجتناب التكبر؟

التكبر داء مهلك، ذمه الله عز وجل فقال:{ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ }[2]، وقد صرف الله عز وجل المتكبرين عن آياته فقال:{ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }[3]، كما بين مصير المتكبرين عن عبادته أنهم في جهنم خالدين فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان"[5]، وقال أبو هريرة رضي الله عنه،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي"[6].

وللعمل بهذه الوصية لا بد أن نعرف أولا معنى الكبر، فما حقيقة هذه الآفة؟

بين أبو حامد الغزالي حقيقة الكبر بأنه خلق في النفس يجعلها تراها فوق غيرها، فتتكبر عليه ويظهر ذلك التكبر في أعمال تصدر عن الجوارح، وباعتبار ظهور التكبر وخفائه قسمه إلى قسمين: باطن وظاهر، فقال:" اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر، فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح، واسم الكبر بالخلق الباطن أحق، وأما الأعمال، فإنها ثمرات لذلك الخلق، وخلق الكبر موجب للأعمال، ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال: تكبر، وإذا لم يظهر يقال: في نفسه كبر، فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، فإن الكبر يستدعي

---

1 - لقمان: 18.

2 - النحل: 23.

3 - الأعراف: 146.

4 - غافر: 60.

5 - أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان،باب تحريم الكبر وبيانه ح(91)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس ،باب ما جاء في الكبر ،ح(4091)،وأخرجه ابن ماجه قي سننه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع ،ح(4173) .

6 - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس ،باب ما جاء في الكبر ،ح(4090) وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد ،باب البراءة من الكبر والتواضع ،ح(4174 -4173).

متكبرا ومتكبرا به"[1].

والمتكبر يرى لنفسه مرتبة، ويرى غيره في مرتبة أخرى أقل من مرتبته، وبهذا الاعتقاد يحصل في قلبه عزة وركون ونفخة هي خلق الكبر، يقول أبو حامد:" ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا، فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه، أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه، ولا يكفي أن يستحقر غيره، فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر، ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر، بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة، ثم يرى مرتبة لنفسه فوق مرتبة غيره، فعند هذه الاعتقادات الثلاث يحصل فيه خلق الكبر، لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر، بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه، فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك، فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر"[2].

وقد أوصى الله عز وجل باجتناب التكبر، لأن خلق التكبر يجعل صاحبه لا يستطيع أن يتواضع، ولا أن يترك الحسد والبغض والحقد على الآخرين، ولا أن يكظم غيظه وغضبه، ولا أن يوصي بالحق، و لا أن ينصح أو يقبل النصيحة، وبالتالي يتخلق بأخلاق ذميمة، ويتخلى عن الأخلاق الحميدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الكبر تسفيه الحق، وغمط الخلق"[3].

وقد قسم الغزالي المتكبَّر عليه إلى ثلاثة أقسام:

أولها: هو التكبر على الله، ثم يليها التكبر على الرسل باعتبارهم بشر، فلا ينقاد لهم المتكبر، إما جهلا أو عن علم.

وآخرها: التكبر على العباد، فقال:" الأول: التكبر على الله، وذلك هو أفحش أنواع الكبر، ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان، مثل ما كان عليه نمروذ.

القسم الثاني: التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر الناس، وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره، فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه، وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل.

القسم الثالث: التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فتأتى نفسه عن الانقياد لهم

---

1 - إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1421هـ، 2001م، ج3، ص303.

2 -المصدر نقسه.

3 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح: 91

وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواقم"[1].

أما ما يتكبر به فجعلها سبعة أقسام، قسمان دينيان؛ وهما: العلم والعمل، وخمس منها دنيوية؛ وهي: النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار.

ومن مظاهر الكبر: المشي بفرح وتبختر واحتيال، قال تعالى:{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }[2]، وموقع قوله:" في الأرض" بعد:" لا تمش" مع أن المشي لا يكون إلا في الأرض هو الإيماء إلى أن المشي في مكان يمشي فيه الناس كلهم قويهم وضعيفهم، ففي ذلك موعظة للماشي مرحا أنه مساو لسائر الناس"[3].

في هذه الوصية بين الله عز وجل آداب معاملة الناس على لسان لقمان الحكيم يعظ فيها ابنه، فنهاه عن أقبح منكرات الأخلاق، وهي: الكبر والترفع على الناس واحتقارهم.

فكيف السبيل إلا علاج من أصيب بهذا الخلق الذميم؟

بين الغزالي في معالجة الكبر مقامين:

" الأول باستئصال أصله، وهو علاج علمي عملي.

وكونه علميا بمعرفة الإنسان نفسه وربه، فإذا عرف نفسه حق المعرفة، وجد أنه لم يكن شيئا مذكورا، ثم خلق من أرذل الأشياء؛ من تراب، ثم من نطفة، قال تعالى:{ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ {17} مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ {18} مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ {19} ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ {20} ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ{21} ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ {22}}[4].

والعلاج العملي يكون بالتواضع لله تعالى، لكافة الخلق، والتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاق الصالحين.

المقام الثاني: دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره.

السبب الأول: النسب فيمن يعتريه الكبر من جهة النسب، فليداو قلبه بمعرفة أمرين:

أ- أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكمال غيره.

ب- أن يعرف نسبه الحقيقي، فيعرف أباه وجده، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وجده البعيد تراب ذليل.

---

1 - إحياء علوم الدين، ج3، ص304، 305.

2 - لقمان: 18.

3 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،1984،ج20، ص167.

4 - عبس: 17، 22.

السبب الثاني: التكبر بالجمال، ودواؤه أن ينظر إلى الظاهر نظر العقلاء، ولا ينظر إلى باطنه نظر البهائم، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فإنه وكل به الأقذار في جميع أجزائه.

السبب الثالث: التكبر بالقوة، وعلاجه أن يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض.

السبب الرابع والخامس: الغنى وكثرة المال، وهما من الأمور التي ليست للإنسان بل هي لواهبه إن شاء أبقاها فهي له، وإن استرجعها زالت عنه، وما هو إلا عبد مملوك، لا يقدر على شيء، ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره.

السبب السادس: الكبر بالعلم، ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين:

أحدهما: أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد، وأن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش.

الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده، وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا.

السبب السابع: التكبر بالورع والعبادة، وسبيله أن يلزم قلب العابد التواضع لسائر العباد"[1].

من خلال وصية النهي عن التكبر نخلص إلى أن:

- الكبرياء صفة من صفات كمال الله عز وجل، لا يجوز لأحد أن ينازعه فيها.
- الكبر خلق في النفس والتكبر مظهر على الجوارح.
- الكبر يستدعي متكبرا، ومتكبرا عليه، ومتكبرا به.
- المتكبرون مبغوضون من قبل الله تعالى، وقد صرفهم عن آياته، وأعد لهم نار جهنم خالدين فيها.
- يتصف المتكبر بجميع الأخلاق الذميمة ويتخلى عن جميع الأخلاق الحميدة.
- من مظاهر التكبر المشي بمرح في الأرض.
- العمل بهذه الوصية يجعل صاحبها بعيدا كل البعد عن هذا الخلق الذميم، متواضعا لله، ومن تواضع لله رفعه،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد،

1 - إحياء علوم الدين، ج3، ص315، 322.

ولا يفخر أحد على أحد"[1].

- وردت الوصية بالنهي عن التكبر في موضعين من القرآن الكريم،في قوله تعالى:{ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً }[2]، وفي قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم:{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }[3].

- اهتمت هذه الوصية بالعلاقات الاجتماعية بين الناس فبينت آداب معاملة الناس.

1 - أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ،ح(2865) وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب ،باب في التواضع ،ح(4895)،وأخرجه ابن ماجه في سننه ،كتاب الزهد،باب البراءة من الكبر والتواضع ،ح(4179).

2 - الإسراء: 37.

3 - لقمان: 18.

المطلب الخامس:الوصية بالاعتدال في المشي وفي الكلام

وصى الله عز وجل عباده بجملة من الآداب الخاصة بالإنسان وجعلها على لسان لقمان يبينها لابنه، قال تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}[1].

فكيف يكون القصد في المشي والغض من الصوت؟

قال محمد الطاهر بن عاشور:" القصد: الوسط العدل بين طرفين، فالقصد في المشي: هو أن يكون بين طرف التبختر وطرف الدبيب"[2].

والمراد بهذه الوصية أن يعتدل الإنسان في مشيته فلا إفراط ولا تفريط، لا يسرع المرء إسراعا يخل بكرامته وشرفه، ولا يمش متماوتا، فالأمة الإسلامية أمة وسطية، قال تعالى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}[3].

واللائق بالمسلم أن يعتدل في مشيته، فيمشي بسكينة ووقار حيث لا يظهر القوة ولا الضعف.

ووصى لقمان ابنه بالغض من صوته، والاعتدال في الكلام،" والغض: نقص قوة استعمال الشيء، فغض الصوت: جعله دون الجهر"[4] فالله تعالى يحب أن يكون عبده مقتصدا معتدلا في كلامه، حيث لا يكون صوته جهورا قويا عاليا يؤذي السامع، ولا خافتا ضعيفا، وخير الأمور أوسطها.

وقد شبه الله عز وجل الصوت العالي المرتفع بصوت الحمير، وهو أقبح وأفحش الأصوات في نظر الناس، فأوله زفير، وآخره شهيق، كصوت أهل النار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانا"[5].

وجاء لفظ الصوت مفردا مع أن لفظ الحمير جمع:" لأن المعرف بلام الجنس يستوي مفرده وجمعه"[6].

من خلال هذه الوصية نستنتج أنه:

---

1 - لقمان: 19.

2 - ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج20، ص168.

3 - البقرة: 143.

4 -ابن عاشور:المصدر السابق ، ص168.

5 -أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق ،باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ،ح(3303)،وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك ،ح(2729).

6 -ابن عاشور : المصدر السابق ، ص168.

- على المسلم الالتزام بالوسطية والاعتدال؛ فلا إفرط ولا تفريط حتى في المشي وفي الكلام.

- الإفراط في المشي والتفريط فيه يؤذي صاحبه، أما في الكلام فيؤذي السامع قال الرازي:" رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن، وأما السرعة في المشي فلا تؤذي، وإن كانت تؤذي فلا تؤذي غير من في طريقه، والصوت يبلغ من على اليمين واليسار، ولأن المشي يؤذي آلة المشي، والصوت يؤذي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب، فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب..."[1]

- اهتمت هذه الوصية ببناء النفس البشرية وجعلها مترفعة عن كل ما يدينها وينقص من شرفها وكرامتها كالسرعة ورفع الصوت، كما اهتمت بتكوينها الخلقي، بالتوسط والاعتدال في المشي وفي الكلام.

- جاءت الوصية بالاعتدال في المشي وفي الكلام في موضع واحد في القرآن الكريم.

1 -الرازي : التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ط3، ج25، ص151.

المطلب السادس:الوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أوصى الله عز وجل عباده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال:{ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ}[1]. وقال:{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[2] وقال أيضا: }كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّه}[3]

وقال:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[4].

لماذا أوصى الله عز وجل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقدم الأمر بالمعروف عن النهي عن المنكر؟

أوصى الله الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعله سبب خيرية هذه الأمة بعد الإيمان بالله، ووصفهم بالفلاح، ووعدهم رحمته تعالى.

ولعن بني إسرائيل بسبب عدم تواصيهم بالنهي عن المنكر فقال تعالى:{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}[5].

فسبب لعن اليهود -كما بينته الآية- هو عدم تناهيهم عن المنكر، فلم يكتفوا بفعل المنكر بل رضوا به و لم ينكر بعضهم على بعض، وغاب التواصي بالحق من مجتمعهم على خلاف الأمة الإسلامية؛ الآمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، المتواصية بالحق، المتواصية بالصبر عليه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جميع أفراد الجماعة الإسلامية، فقد روي عن أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- أنه قال في خطبة خطبها:" أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }[6] .

وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر

---

1 - لقمان: 17.

2- آل عمران: 104.

3- آل عمران: 110.

4- التوبة: 71.

5- المائدة: 78.

6- المائدة: 105.

عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده"[1]

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الله فضل عظيم، فلو أهمل لشاعت الفاحشة وانتشر الفساد، واسترسل العباد في اتباع الشهوات ولهلكوا جميعا" فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد".[2]

- والوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل قوة المسلمين وعزتهم، ويوم وقع التقصير في التواصي بالحق والتهاون في القيام بوصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضعفوا حتى تكالب عليهم أعداؤهم، كما أنها تدفع البلاد عن أهلها .

- وقد قدم القرآن وصية الأمر بالمعروف على وصية النهي عن المنكر، لأن المأمور في الوصية بالأمر بالمعروف يقتضي أنه قد كمل نفسه بعبادة الله عز وجل وبالإتيان بالأعمال الصالحة، فطلب منه أن يكمل غيره بأمره ونصحه إلى فعل كل أعمال البر، فالأمر بالمعروف نهي عن المنكر، يقول البقاعي:" ولما أمر بتكميله في نفسه بتكميل نفسه توفية لحق الحق، عطف على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره توفية لحق الخلق، وذلك أنه لما كان الخلق في هذه الدار سفرا، وكان المسافر إن أهمل رفيقه حتى أخذ أوشك أن يؤخذ هو، أمره بما يكمل نجاته بتكميل رفيقه، وقدمه لأنه يستلزم ترك المنكر، وأما ترك المنكر فلا يستلزم فعل الخير، فإنك إذا قلت: لا تأت منكرا، لم يتناول ذلك في العرف إلا الكف عن فعل المعصية، لا فعل الطاعة"[3].

من خلال وصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخلص إلى ما يلي:

- أن القائم بها لا بد أن يكون فاعلا للخير قبل أن يدعو إليه، منتهيا عن المنكر قبل أن ينهى عنه، ليكون قدوة لمن يأمرهم وينهاهم.

- الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد له أن يتسلح بالصبر لأنه لا شك سيتعرض للأذى.

1- أجرجه ابن ماجه في سننه ،كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،ح(4009)،وأخرجه أبو داود-كتاب الملاحم -باب الأمر والنهي ،ح(4339).

2- الغزالي : إحياء علوم الدين،دار المعرفة بيروت ،لبنان، (د،ت،ط)،ج2، ص306.

3- البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ،ج6، ص19.

- لا يكفي أن يكون الإنسان مهتما بنفسه عابدا لله عز وجل تاركا غـــيره يتخـــبط في المنـــاكر، بل لا بد له ليكمل إيمانه وتتحقق نجاته أن ينصح غيره ويوصيه بالحق وينهاه عن المنكر.

- إهمال هذه الوصية يثمر شيوع الضلالة وانتشار الفاحشة والفساد وهلاك العباد.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جميع أفراد المجتمع كل حسب استطاعته.

- ما زالت الوصية تهتم بالأفراد خصوصا وبالمجتمع عموما فدعت إلى كل ما يصلحه ونهت عن كل ما يفسده.

- اهتمت الوصية بتوجيه النفوس إلى معالي الأمور ونهتها عن سفاسفها.

- من أسباب ضعف الأمة الإسلامية تخلي أفرادها عن وصية الأمر بالمعروف والنهي عـــن المنكـــر والعمل بها.

المطلب السابع:الوصية بالوفاء في الكيل والميزان

وصى الله عز وجل عباده أن يعدلوا وينصفوا في المبادلات التجارية فقال:{ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ }[1].

- لماذا جاءت هذه الوصية بصيغة الأمر في سياق جملة من النواهي؟
- هل هناك علاقة بين وصية الوفاء بالكيل والميزان وبين العقيدة؟
- لماذا ورد تكرار لفظ "القسط " مع أن لفظ "الوفاء" دال عليه؟

إن التجار في الجاهلية كانوا يطففون الكيل والميزان حرصا منهم على الربح، فجاءت هذه الوصية تأمرهم بالوفاء والعدل فيهما، وقد جاءت بصيغة الأمر في سياق جملة من الوصايا جاءت بصيغة النهي للفت النظر إلى جانب الوفاء، لا إلى جانب التنقيص، كما أنها إشارة إلى التذكير لهم بالكرم الذي كانوا يتفاخرون به، يقول الطاهر بن عاشور: :" وعدل عن أن يأتي فيه بالنهي عن التطفيف كما في قول شعيب:{ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ}[2] إشارة إلى أنهم مأمورون بالحد الذي يتحقق فيه العدل وافيا وعدم النقص يساوي الوفاء، ولكن من اختيار الأمر بالإيفاء اهتماما به لتكون النفوس ملتفتة إلى جانب الوفاء، لا إلى جانب ترك التنقيص، وفيه تذكير لهم بالسخاء الذي يتمادحون به، كأنه قيل لهم: أين سخاؤكم الذي تتنافسون فيه فهلا تظهرونه إذا كلتم أو وزنتم فتزيدوا على العدل بأن توفوا للمكتال كرما بدلا أن تسرقوه حقه، وهذا تنبيه لهم على اختلال أخلاقهم وعدم توازنها"[3]

كما أنهم كانوا في الجاهلية يفصلون بين العقيدة والمعاملات، وكأن المعاملات خاصة بالبشر ولا دخل للعقيدة فيها، فجاءت الوصية من رب العباد يأمرهم فيها بتحسين أخلاقهم، وربطت بين قواعد التعامل بين الناس وبين العقيدة، يقول سيد قطب:" والسياق يربطها بالعقيدة، لأن المعاملات في هذا الدين وثيقة الارتباط بالعقيدة، والذي يوصي بها ويأمر هو الله، ومن هنا ترتبط بقضية الألوهية والعبودية، وتذكر في هذا المعرض الذي يبرز فيه شأن العقيدة، وعلاقتها بكل جوانب الحياة..."[4].

- وقد ورد في هذه الوصية الأمر بالوفاء بالكيل والميزان، مع أن الوفاء لا يتحقق إلا بالقسط، و قد علل

1- الأنعام: 152.
2- هود: 84.
3- رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص191.
4- قطب :في ظلال القرآن، ج3، ص1233.

الرازي هذا التكرار بقوله:" أمر الله المعطي بإيفاء ذي الحق حقه من غير نقصان، وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب الزيادة"[1].

وعقب الله عز وجل على الآية فقال:{ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا }.[2]

فالله تعالى لا يكلف عباده بتمام القسط والعدل في الأجزاء التي من شأنها ألا يضبط وزنها كالحبة والذرة، يقول محمد رشيد رضا:" هذه جملة مستأنفة لبيان حكم ما يعرض لأهل الدين والورع من الأمر بالقسط في الإيفاء، فإن إقامة القسط أمر دقيق جدا، لا يتحقق في كل مكيل وموزون إلا إذا كان بموازين كميزان الذهب الذي يضبط الوزن بالحبة وما دونها، وفي التزام ذلك في بيع الحبوب والخضر والفاكهة حرج عظيم يخطر في بال الورع السؤال عن حكمه، فكان جوابه أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا ما يسعها فعله بأن تأتيه بغير عسر ولا حرج، فهو لا يكلف من يشتري أو يبيع ما ذكر من الأقوات ونحوها أن يزنه ويكيله بحيث لا يزيد حبة، بل يكلفه أن يضبط الوزن والكيل له أو عليه على حد سواء بحسب العرف بحيث يكون معتقدا أنه لم يظلم بزيادة ولا نقص يعتد به عرفا"[3].

ولولا هذا الترخيص فيما خرج عن وسع الإنسان، لترك الناس جميعا التعامل بينهم بالبيع والشراء مخافة ألا يقسطوا فتتعطل مصالحهم، يقول محمد الطاهر بن عاشور :" والمقصود من هذا الاحتراس ألا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة فيفضي ذلك إلى تعطيل منافع جمة"[4] .

وقد جاءت الوصية بإيفاء الكيل والميزان لتحفظ مال المشتري من الضياع، لأن المكيال والميزان بيد البائع، هو من يقوم بهذه العملية، فقد يطفف فأمر الله عز وجل البائع بإيفاء الكيل ونهاه عن التطفيف، والتطفيف شيء حقير وهذا يدل عن اختلاس ما هو أكثر يقول محمد الطاهر بن عاشور:" فالوصاية بإيفاء الكيل والميزان راجعة إلى حفظ مال المشتري في مظنة الإضاعة، لأن حالة الكيل والوزن حالة غفلة المشتري، إذ البائع هو الذي بيده المكيال أو الميزان، ولأن المشتري لرغبته في تحصيل المكيل أو الموزون قد يتحمل التطفيف، فأوصى البائع بإيفاء الكيل والميزان، وهذا الأمر يدل بفحوى الخطاب على وجوب حفظ المال فيما هو أشد من التطفيف، فإن التطفيف إن هو إلا مخالسة قدر يسير من المبيع، وهو الذي لا

1الرازي : التفسير الكبير، ج4، ص192.

2- الأنعام: 152.

3 -رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص191.

4 -اين عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص165.

يظهر حين التقدير، فأكل ما هو أكثر من ذلك من المال أولى بالحفظ وتجنب الاعتداء عليه"[1].

من خلال ما سبق من الدراسة والتفسير أصل إلى أن:

- الوصية بإيفاء الكيل والميزان تربط المعاملات بالعقيدة.
- الوصية بإيفاء الكيل والميزان لا تعني اتباع الأجزاء الدقيقة كالذرة والحبة، لكنها تحث على زيادة في الكرم، وهي دليل على النهي عن الاختلاس في الكيل والميزان.
- الإخلال بهذه الوصية يؤدي إلى الهلاك، فقد أهلك الله قوم شعيب لما طففوا الكيل والميزان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان:" إنكم قد وليتم أمرا أهلكت فيه الأمم السالفة"[2].
- العمل بهذه الوصية تحسن العلاقات بين الناس وتجعل المعاملات مبنية على الثقة.

---

1 - اين عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص166.

2 -أخرجه الترمذي، كتاب البيوع ،باب ما جاء في المكيال والميزان،ح(1217) روي بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفا .

من خلال المبحث الثاني من الفصل الثاني الموسوم بـ: المضمون الأخلاقي للوصية، أصل إلى النتائج التالية:

- الوصية الأخلاقية تنظم العلاقة بين العبد وربه، وذلك عن طريق الوصية بالتقوى ،والوصية بالوفاء بعهده،و بتوحيده وطاعته والقيام بأعباء الدين(مضمون عقدي).

- كما تنظم الوصية الأخلاقية أيضا العلاقة بين الإنسان والإنسان.

- لم تعرف الإنسانية وصايا أخلاقية أكمل ولا أفضل من هذه الوصايا، منذ وجودها ونشأتها.

- لا قيام للوصية الأخلاقية إلا إذا كانت الوصية العقدية قائمة، ولا وجود للأخلاق في غياب مؤطرها.

- الأخلاق الواردة في الوصية الأخلاقية نوعان:

أخلاق فردية.

أخلاق اجتماعية.

- الأخلاق التي دعت إليها الوصية أخلاق وسطية.

المبحث الثالث:المضمون الاجتماعي لوصايا القرآن الكريم

توطئة:

يعيش الناس في مجتمعات بشرية تربط بينهم علاقات اجتماعية مختلفة، لكن طبيعتهم ليست واحدة، فمنهم القوي ومنهم الضعيف، ولما كان الإنسان ميالا إلى الظلم والتعدي على من هو أضعف منه، جاءت وصية الله عز وجل لتضبط العلاقة بين البشر، وتجعلها قائمة على أساس من العدل والمساواة، فأوصى بالتواصي بالمرحمة،وبالإحسان إلى الوالدين، وبالنهي عن قتل النفس، و عن قتل الولد، وعن قرب الفواحش، وعن قرب مال اليتيم.وأوصى بالعدل في الميراث .

هذا ما يتضمنه المبحث الثالث الموسوم بـ:" المضمون الاجتماعي لوصايا القرآن الكريم" بالدراسة والتفسير.

المطلب الأول: التواصي بالتراحم

– أوصى الله عز وجل عباده بالتراحم بينهم، فقال: وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}[1].

– ما مفهوم المرحمة لغة؟ وما مفهومها اصطلاحا ؟

– فكيف يكون التواصي بالمرحمة؟ وماذا يقتضي؟

– وما هي مجالات التواصي بالمرحمة؟

– ما هي قيمة التواصي بالمرحمة؟

أولا – مفهوم الرحمة لغة:

"الرحمة: الرقة، والتعطف، والمرحمة مثلها، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم : رحم بعضهم بعضا، والرحمة: المغفرة، وقوله تعالى في وصف القرآن:{ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[2] أي: فصلناه هاديا وذا رحمة، وقوله تعالى:{ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ }[3] أي: هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم.

قال الله عز وجل:{ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}[4] أي: وصى بعضهم بعضا برحمة الضعيف والتعطف عليه.

وترحمت عليه: أي قلت: رحمة الله عليه.

والله الرحمن الرحيم: بنيت الصفة الأولى على:" فعلان" لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين، فأما الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمن، لأن الرحمن مقصور على الله عز وجل، والرحيم قد يكون لغيره.

والرحمة في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه وإحسانه ورزقه.

والرُّحم: الرحمة، وما أقرب رحم فلان، إذا كان ذا مرحمة وبر؛ أي: ما أرحمه وأبره، وفي التتريل:{ وَأَقْرَبَ رُحْماً }[5]وأم رحم، والمرحومة: من أسماء مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسمى الله الغيث رحمة، لأنه برحمته يترل من السماء.

1- البلد: 17.

2 – يوسف: 111.

3 – التوبة: 61.

4 – البلد: 17.

5 – الكهف: 81.

والرحم: رحم الأنثى، وهي مؤنثة.
قال ابن الأثير:" ذوو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب"[1].
فلفظ الرحمة في اللغة معناه الرقة والعطف، ويأتي بمعنى المغفرة، كما يطلق على الغيث.

ثانيا- مفهوم الرحمة اصطلاحا:

عرفها العلماء بمجموعة تعريفات اصطلاحية أذكر منها:

1- تعريف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: عرفها بقوله:" رقة تقتضي الإحسان للمرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة"[2].

2-تعريف البقاعي: قال متحدثا عن الرحمة:" بأن يوطنوا أنفسهم على كل ما يحمل على الرحمة العظيمة التي توجب لهم الحب في الله والبغض فيه"[3].

3- تعريف أبو حيان الأندلسي: عرفها فقال:" التعاطف والتراحم، أو بما يؤدي إلى رحمة الله"[4].

نلاحظ أن تعريف الرحمة الاصطلاحي لا يختلف عن معناها اللغوي، فقد عرفها الفيروز آبادي بأنها الرقة التي تقتضي الإحسان للمرحوم، ثم بين استعمالين لها: أحدهما: الرقة المجردة، وآخرهما: الإحسان المجرد عن الرقة، وبين البقاعي كيفيتها، فجعلها بتوطين النفس على كل ما يحمل الرحمة العظيمة، بشرط أن تكون لوجه الله تعالى، فتوجب لهم الحب لله والبغض فيه، وقد بين أبو حيان نتيجة الرحمة، فهي تؤدي إلى رحمة الله عز وجل.

ثالثا- التواصي بالمرحمة:

إن التواصي بالمرحمة من صفات المؤمنين الصادقين، وهي أن يحمل المرء صفة الرحمة في قلبه، ثم يحث أفراد الأمة بعضهم بعضا على التراحم والتعاطف، وفي ذلك قوام الناس والشفقة على خلق الله.

يقول نظام الدين النيسابوري في تفسير سورة البلد:" أنه سبحانه ذكر في باب الكمال أمرين: فك الرقبة، والإطعام ثم الإيمان، وذكر في باب التكميل شيئين: التواصي بالصبر على الوظائف الدينية

---

1 -ابن منظور : لسان العرب ، ج1، ص1143.

2 - الفيروزآبادي :بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج3، ص53.

3 -البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص435.

4 -أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط، ج8، ص471.

والتواصي بالتراحم، وكل من النوعين مشتمل على التعظيم لأمر الله والشفقة على أمر الله"[1].

والتواصي بالمرحمة درجة أعلى من درجة الرحمة، لأنها درجة تبادل التراحم وانتشاره بين الجماعة المؤمنة، فإنه لا يوصي بالمرحمة إلا من عرف قدرها وفضلها، يقول سيد قطب:" وكذلك التواصي بالمرحمة، هو أمر زائد على المرحمة، إنه إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي بـه، والتحاض عليه، واتخاذه واجبا فرديا في الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع"[2].

– والتواصي بالمرحمة أساس تحقيق التراحم بين أفراد المجتمع، حيث أن كل فرد يتنازل عن بعض حقوقه، ويترفق بمن هو أضعف منه، فهي تقتضي العطف على الرقيق والمسكين واليتيم:" فالرحمة الأصلية هي التي تنبعث عن قدرة ذاتية تستطيع أن تكون حازمة صارمة، ولكنها تقدر الظروف، وتشعر بالمشاركة الوجدانية، فتتنازل عن بعض حقها عن طيب خاطر، وتترفق بمن يستحق الترفق واللين، فهي في الواقع قوتان، لا قوة واحدة، قوة الاقتدار ثم قوة التحكم في النفس لحملها على أن ترحم، وقد كانت قادرة على أن تقسو وتعنف"[3].

– فالوصية بالتواصي بالمرحمة لا تعني تضعيف الشخصية، وحرمان النفس ثم دعوة الآخرين إلى هذا الضعف وإلى هذا الحرمان، وإنما هي حث على تقوية نفسية الفرد، حيث يستطيع التحكم فيها متى شاء، فصاحبها لا يحب الخير لنفسه وحسب، بل يحبه لغيره مما يجعله يفكر ويساعد المحتاج، ثم يوصي غيره بهذا الخلق الرفيع،" فالمرحمة فضيلة إسلامية قرآنية تدل على قوة صاحبها ونبله، لأنه لا يحتكر الخير لنفسه، ولا يهمل التفكير في سواه، بل يحس بآلام الآخرين ويقدر مشاعرهم، ويسهم في معاونتهم، ويخفف عنهم حينما يستحقون التخفيف"[4].

– والتواصي بالمرحمة لا يتعارض مع الحدود والعقوبات اللازمة، فمتى وجبت العقوبة أو الحد، فلا مجال للتواصي بالمرحمة وقتئذ، فالله عز وجل رحمان رحيم كما أنه شديد العقاب.

– والرحمة التي أوصانا الله عز وجل بالتواصي بها متعددة المواطن منها: الرحمة بالوالدين، قال تعالى:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ

1 – نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1416هـ، 1996م، ، ج30، ص505.

2 –قطب : في ظلال القرآن، ج6، ص3913.

3 – الشرباصي :موسوعة أخلاق القرآن، ج2، ص123.

4-المرجع نفسه، ص122.

تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً {23} وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}[1].

والرحمة بالأولاد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من لا يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا"[2].

والرحمة بين الزوجين، قال تعالى:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[3].

– والرحمة باليتامى والمساكين والضعفاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنما يرحم الله من عباده الرحماء"[4]

–و الرحمة بالخدم، والرحمة بالحيوان، يقول أحمد الشرباصي:" وللرحمة مواطن كثيرة، فهناك موطن الرحمة بالأبوين، والرحمة بالأولاد، والزوجات، والرحمة بالأقارب وذوي الأرحام، والرحمة باليتامى، والمساكين والضعفاء؛ كالمرضى والمصابين وذوي العاهات، ثم الرحمة بالحيوان، وهكذا تتسع آفاق الرحمة حتى تشمل جوانب فسيحة من الحياة وعددا ضخما من الأحياء"[5].

– وللتواصي بالمرحمة قيمة جليلة، فهي تجعل الفرد يملك قوة نفسية صارمة، تقدر الظروف وتستجيب لمن يحتاجها، ثم تدعو الآخرين إلى التحلي بها، كما أنها تجعل الطرف الآخر المترحم عليه واثقا في نفسه مطمئنا، قويا بعد ضعف، محبا لغيره بعد بغض لهم، ثم إن الروابط الاجتماعية تتقوى بينه وبين غيره، ومن ثم الارتقاء بالمجتمع الإنساني إلى مستوى رفيع من التعاون والتآزر والتعاضد والتراحم.

رابعا–أنواع الرحمة في القرآن:

وردلفظ الرحمة في القرآن الكريم على عشرين وجها[6]:

1- الإسراء: 23، 24.

2-أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان ، ح(1920) وأخرجه أبو داود ،كتاب الأدب ،باب في الرحمة ،ح(4943).

3- الروم: 21.

4-أخرجه البخاري ،كتاب الجنائز ،باب قول النبي صبى الله عليه وسلم "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته"ح(1248)، وأخرجه مسلم ،كتاب الجنائز ،باب البكاء على الميت ،ح(923).

5-الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج2، ص123.

6-الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،ج3، ص55، 56، 57، 58.

- الأول: بمعنى منشور القرآن، قال تعالى:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }[1].
- الثاني: بمعنى سيد الرسل، قال تعالى:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[2].
- الثالث: بمعنى توفيق الطاعة والإحسان، قال تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ }[3].
- الرابع بمعنى نبوة المرسلين، قال تعالى:{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} "[4].
- الخامس: بمعنى الإسلام والإيمان، قال تعالى:{ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ}[5].
- السادس: بمعنى نعمة العرفان، قال تعالى:{ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ }[6].
- المعنى السابع: العصمة من العصيان، قال تعالى:{ إِلاَّ مَن رَّحِمَ}[7].
- المعنى الثامن: أرزاق الإنسان والحيوان، قال تعالى:{ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي}[8].
- المعنى التاسع: قطرات ماء الغيثان، قال تعالى:{ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ }[9].
- المعنى العاشر: العافية من الابتلاء والامتحان، قال تعالى:{ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ }[10].
- المعنى الحادي عشر: النجاة من عذاب النيران، قال تعالى:{ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ }[11].
- المعنى الثاني عشر: النصرة على أهل العدوان، قال تعالى:{ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً}[12].
- الثالث عشر: بمعنى الألفة والموافقة بين أهل الإيمان، قال تعالى:{ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً }[13].
- الرابع عشر: بمعنى الكتاب المترل على موسى بن عمران، قال تعالى:{ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى

1- الإسراء: 82.
2- الأنبياء: 107.
3- آل عمران: 159.
4- الزخرف: 32.
5- البقرة: 105.
6- هود: 28.
7- هود: 43.
8- الإسراء: 100.
9- الشورى: 28.
10- الزمر: 38.
11- النور: 14.
12- الأحزاب: 17.
13- الحديد: 27.

إِمَاماً وَرَحْمَةً }[1].

- الخامس عشر: بمعنى الثناء على إبراهيم والولدان، قال تعالى: رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ}[2].
- السادس عشر: بمعنى إجابة دعوة زكريا، قال تعالى:{ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا }[3].
- السابع عشر: بمعنى العفو عن ذوي العصيان، قال تعالى:{ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ }[4].
- الثامن عشر: بمعنى فتح أبواب الروح والريحان، قال تعالى:{ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}[5].
- التاسع عشر: بمعنى الجنة دار السلام والأمان، قال تعالى:{ إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ }[6].
- المعنى العشرون: صفة الرحيم الرحمن، قال تعالى:{ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }[7]
- وقد يعبر عن الرحمة بكلمة:" لين الجانب" كما في سورة آل عمران:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ }[8]، وقد يعبر عنها بخفض الجناح كما في سورة الحجر:{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }[9]، وفي سورة الإسراء:{ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ }[10] "[11].

1- هود: 17.

2- هود: 73.

3- مريم: 02.

4- الزمر: 53.

5- فاطر:02.

6- الأعراف: 56.

7- الأنعام: 54.

8- آل عمران: 159.

9- الحجر:88.

10- الإسراء: 24.

11-الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج2، ص122.

– من خلال وصية:" التواصي بالمرحمة" أصل إلى النتائج التالية:

– اهتمت الوصية بأساس قيام المجتمعات فدعت إلى الركيزة الأساسية لبناء مجتمع متماسك وراق وهـــي التواصي بالمرحمة.

– كما اهتمت بتقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع .

– إذا تبادل أفراد المجتمع هذه الوصية وتراحموا فيما بينهم استحقوا رحمة من الله تعالى.

– في غياب العمل بوصية التواصي بالمرحمة تعم الفوضى وتفسد المجتمعات وبالتالي يهلك العباد.

المطلب الثاني:الوصية بالإحسان إلى الوالدين

وصى الله عز وجل الإنسان بالبر والإحسان إلى والديه فهما سبب وجوده، وأكد على هذه الوصية في أربعة مواضع من القرآن الكريم، فقال في سورة الأنعام:{... أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً }[1]. وقال في سورة العنكبوت:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً }[2]، وقال في سورة لقمان:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }[3]. وقال في سورة الأحقاف:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً }[4].

- لماذا جاءت الوصية بالإحسان إلى الوالدين بصيغة الأمر، ولم ترد بصيغة النهي، وذلك بتحريم الإساءة إليهما؟
- ولماذا قرن القرآن الكريم وصية الإحسان إلى الوالدين بوصية النهي عن الشرك؟
- لماذا خصت وصية الإحسان إلى الوالدين الأم بالذكر؟
- لماذا تكررت وصية الإحسان إلى الوالدين في عدة مواضع؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما للصحابة:" ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال:" الإشراك بالله وعقوق الوالدين"[5].

وقد جاءت هذه الوصية بصيغة الأمر بدلا من النهي عن الإساءة إليهما، وذلك لزيادة البر والإحسان بهما، إذ أن الأمر بالإحسان يقتضي النهي عن الإساءة، في حين أن النهي عن الإساءة لا يدل على الإحسان والبر، يقول محمد الطاهر بن عاشور" وهو أمر بالإحسان إليهما فيفيد النهي عن ضده، وهو الإساءة إلى الوالدين، وبذلك الاعتبار وقع هنا في عداد ما حرم الله، لأن المحرم هو الإساءة للوالدين، وإنما

1 - الأنعام: 151.
2 - العنكبوت: 08.
3 - لقمان: 14.
4 - الأحقاف: 15.
5 - أخرجه البخاري،كتاب الشهادات ،باب ما قيل في شهادة الزور، ح(2653)،و أخرجه في كتاب الأدب ،باب عقوق الوالدين من الكبائر ،ح(5976) ،وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان ،باب بيان الكبائر وأكبرها،ح(87 -88) ،وأخرجه الترمذي ،كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في عقوق الوالدين ،ح(1901).

عدل عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناء بالوالدين، لأن الله أراد برهما، والبر إحسان، والأمر به يتضمن النهي عن الإساءة إليهما بطريق فحوى الخطاب"[1]

وورود وصية الإحسان إلى الوالدين بعد وصية النهي عن الشرك دليل على أهمية الإحسان والبر بالوالدين، فكمال إيمان العبد يكون بأداء حق الله عز وجل بتوحيده وعبادته، ثم أداء حقوق الوالدين بالإحسان إليهما وبرهما.

وقد خص القرآن الكريم في وصيته بالإحسان إلى الوالدين الأم بالذكر في موضعين فقال:{ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ }[2]، وقال:{ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً}[3]

بينت الآيتان الآلام التي تتعرض لها الأم في فترة الحمل وأثناء الوضع وبعده، يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير آية سورة الأحقاف:" والمعنى أنها حملته في بطنها متعبة من حمله تعبا يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل والوضع، فائدة له هي فائدة وجوده الذي هو كمال حال الممكن، وما ترتب على وجوده من الإيمان والعمل الصالح الذي به حصول النعم الخالدة"[4].

وقد وقع خلاف بين العلماء في شأن تخصيص الأم بزيادة في البر، فذهب الرازي إلى أن الآية دالة على أن حق الأم أعظم فقال:" دلت الآية على أن حق الأم أعظم لأنه تعالى قال أولا:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً}[5] فذكرهما معا، ثم خص الأم بالذكر فقال:{ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً }[6]، وذلك يدل على أن حقها أعظم، وأن وصول المشاق إليها بسبب الولد أكثر"[7]

وقد ذهب ابن قيم الجوزية نفس المذهب فقال:" ومن الاعتراض الذي هو في أعلى درجات الحسن قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }[8]، فاعترض بذكر شأن حمله ووضعه بين الوصية والموصى به، توكيدا لأمر الوصية بالوالدة

---

1 ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج26، ص29.

2 - لقمان: 14.

3 - الأحقاف: 15.

4 -ابن عاشور :المصدر السابق.

5 - الأحقاف: 15.

6 - الأحقاف: 15.

7 -الرازي :التفسير الكبير ، ج28، ص14.

8 - لقمان: 14.

التي هذا شأنها وتذكيرا لولدها بحقها، وما قاسته من حمله ووضعه مما لم يتكفله الأب"[1]

– أما محمد الطاهر بن عاشور فله وجهة نظر أخرى، إذ أنه يرى أن بر الوالدين متساوٍ بينهما، لا فضل لأحدهما على الآخر، فقال:" وإنما وقع تعليل الوصاية بالوالدين بذكر أحوال خاصة بأحدهما؛ وهي الأم اكتفاء بأن تلك الحالة تقتضي الوصاية بالأب أيضا للقياس، فإن الأب يلاقي مشاق وتعبا في القيام على الأم لتتمكن من الشغل بالطفل في مدة حضانته، ثم هو يتولى تربيته والذب عنه حتى يبلغ أشده، ويستغني عن الإسعاف، كما قال تعالى:{ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }[2] فجمعهما في التربية في حال الصغر مما يرجع إلى حفظه وإكمال نشأته، فلما ذكرت هنا الحالة التي تقتضي البر بالأم من الحمل والإرضاع، كانت منبهة إلى ما للأب من حالة تقتضي البر به على حساب ما تقتضيه تلك العلة في كليهما قوة وضعفا، ولا يقدح في القياس التفاوت بين المقيس والمقيس عليه في قوة الوصف الموجب للإلحاق، وقد نبه على هذا القياس تشريكهما في التحكم عقب ذلك بقوله:{ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }[3] وقوله :{ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً}[4]"[5].

أما تفسيره لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما سأل أحد الصحابة: من أبر يا رسول الله؟ قال له: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك"[6].

فقال:" ولا يخفى أن مساق الحديث لتأكيد البر بالأم إذ قد يقع التفريط في الوفاء بالواجب للأم من الابن اعتمادا على ما يلاقيه من اللين منها، بخلاف جانب الأب، فإنه قوي ولأبنائه توقٍّ من شدته عليهم"[7]

وقد استدل أيضا بفتوى الإمام مالك، قال:" وقد قال مالك لرجل سأله: أن أباه في بلد السودان، كتب إليه أن يقدم عليه، وأن أمه منعته، فقال له مالك: أطع أباك ولا تعص أمك"، وهذا يقتضي إعراضه عن ترجيح جانب أحد الوالدين، وأنه متوقف في هذا التعارض ليحمل الابن على ترضية كليهما"[8].

---

1 –ابن قيم الجوزية: الضوء المنير على التفسير، ج4، ص555.

2 – الإسراء: 24.

3 – لقمان: 14.

4 – لقمان: 15.

5 –ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج20، ص158.

6 – أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب البر والصلة والآداب ،باب بر الوالدين وأنهما أحق ،ح(2548)،وأخرجه البخاري،كتاب الأدب،باب من أحق الناس بحسن صحبتي؟ح(5971).

7 – ابن عاشور :المصدر السابق.

8 – مصدرنفسه، ص159.

- أرى أن القول الأول أقرب إلى الصواب، لأن صاحبه لم يذهب إلى أي تأويل، وهذا ظاهر من الآية، وكذلك من الحديث، لأن المناسبة التي قيل فيها، ليست عقوق الأم وإنما هي سؤال عام، يقصد به صاحبه أي الطرفين أحق ببره؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث.

أما فتوى الإمام مالك، فقد سئل عن أي الطرفين يعصى، فقال للسائل: لا تعص أيا منهما، وكذلك الآية والحديث لا يدلان على تقديم معصية الأب، وإنما يختصان بزيادة البر للأم.

وهذا ما يوافقه العقل، إذ كيف يتساوى من هو أعظم بمن هو أقل مشقة في البر؟

كذلك فإن الفتوى تختلف حسب الظروف؛ففي الحالة العامة تخصيص جانب الأم بزيادة بر، وقد توجد حالات استثنائية يرجح فيها جانب الأب.

وقد استنبط العلماء من قوله تعالى:{ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً }[1] أن أقل مدة الحمل هي ستة أشهر، وأطول مدة للرضاع حولين كاملين، قال الرازي:" دلت الآية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، لأنه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا، قال:{ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ }[2]، فإذا أسقطت الحولين الكاملين، وهي أربعة وعشرون شهرا من الثلاثين، بقي أقل مدة الحمل ستة أشهر، روي عن عمر أن امرأة رفعت إليه، وكانت قد ولدت لستة أشهر، فأمر برجمها، فقال علي: لا رجم عليها"[3].

وقال:"... وأما إنها تدل على أكثر مدة الرضاع فلقوله تعالى:{ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ }[4]، والفقهاء ربطوا بهذين الضابطين أحكاما كثيرة في الفقه، وأيضا فإذا ثبت أن أقل مدة الحمل هو الأشهر الستة، فبتقدير أن تأتي المرأة بالولد في هذه الأشهر يبقى جانبها مصونا عن تهمة الزنا والفاحشة وبتقدير أن يكون أكثر مدة الرضاع ما ذكرناه، فإذا حصل الرضاع بعد هذه المدة لا يترتب عليها أحكام الرضاع، فتبقى المرأة مستورة عن الأجانب، وعند هذا يظهر أن المقصود من تقدير أقل الحمل ستة أشهر، وتقدير أكثر الرضاع حولين كاملين في دفع المضار والفواحش وأنواع التهم عن المرأة"[5].

---

1 - الأحقاف: 15.

2 - البقرة: 233.

3 -الرازي :التفسير الكبير ، ج28، ص15.

4 - البقرة: 233.

5 -الرازي :المصدر السابق ، ص16.

وقد أوصى الله عز وجل الإنسان بشكره لأنه سبب وجوده والمنعم عليه ورازقه، كما أوصاه بشكر والديه، قال تعالى:{ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ }[1] فلله عز وجل حق، ولوالديه عليه حق، لكن حق الله تعالى أعظم وأولى، فأفضال الوالدين ونعمهما مختصة تعمه في الدنيا، أما نعم الله عز وجل مختصة به في الدنيا والآخرة، فعلى الإنسان أن يتذكر نعم الله عز وجل عليه، فيشكره شكرا دائما، ولا يكفره، كما يجب عليه أن لاينسى فضل والديه عليه، وتعبهما من أجله، ويقابلهما بالإحسان والبر والعطف، ويرد ولو جزءا يسيرا من فضلهما، والله عز وجل سيجازيه على أعماله؛ إن أحسن إلى والديه أحسن الله إليه وأدخله جنات النعيم، وإن أساء إليهما أدخله الجحيم، فالبار والعاق مصيرهما إلى الله سبحانه، يقول الشيخ بيوض في تفسير قوله تعالى:{ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }[2]:" في هذا إنذار شديد، يعني: لا تظن نفسك أيها الإنسان طليقا ليس هناك من يحاسبك على وصية الإحسان إلى والديك، فمصيرك إلى الله، وهو يعلم السر وأخفى، يجازيك على معاملة أبويك، فإذا رضوا عنك كان راضيا عنك، وإن سخطوا عليك فهو ساخط عليك "[3].

وفضل الوالدين لا ينحصر في فترة الإنجاب والتربية والاعتناء في الصغر بل يمتد إلى أن يبلغ الطفل أشده، قال تعالى:{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }[4].

يقول الرازي في تفسير هذه الآية:" يدل على أن الإنسان كالمحتاج إلى مراعاة الوالدين له إلى قريب من هذه المدة، ذلك لأن العقل كالناقص، فلا بد له من رعاية الأبوين على رعاية المصالح ودفع الآفات، وفيه تنبيه على أن نعم الوالدين على الولد بعد دخوله في الوجود تمتد إلى هذه المدة الطويلة، وذلك يدل على أن نعم الوالدين كأنه يخرج عن وسع الإنسان مكافأتهما إلا بالدعاء والذكر الجميل"[5]، فإذا بلغ حالة اشتداد قوته، أوصاه الله عز وجل هو الآخر أن يحسن إلى والديه، وخص هذه الفترة بالذات، لأن فيها تكثر تكاليف الإنسان، فقد تنسيه عن الإحسان إلى والديه، يقول محمد الطاهر بن عاشور:" إنما خص زمان بلوغه الأشد لأنه زمن يكثر فيه الكلف بالسعي للرزق، إذ يكون له فيه زوجة وأبناء، وتكثر

1 - لقمان: 14.

2 - لقمان: 14.

3 -بيوض: في رحاب القرآن، ج11، 260.

4 - الأحقاف: 15.

5- الرازي :التقسير الكبير ، ج28، ص19.

تكاليف المرأة فيكون لها فيه زوج وبيت وأبناء، فيكونان مظنة أن تشغلهما التكاليف عن تعهد والديهما والإحسان إليهما فنبها بأن لا يفترُا على الإحسان إلى الوالدين"[1].

كما أنه مأمور بالدعاء لهما بمناجاة ربه في حضورهما وفي غيابهما فهو يحسن إليهما في كل الأحوال، وقد وعد الله عز وجل بإجابة دعائه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له بخير"[2].

كما أنه مأمور بفعل القرب والطاعات، وأداء الواجبات إذا لم يتمكنا من آدائها، وباغتهما الموت،ومن الواجبات التي يؤديها الولد نيابة عن والديه، شكر الله عز وجل على النعم التي أنعمها عليه وعلى والديه.

وعلى الإنسان أيضا أن يعتني بذريته، قال تعالى:{ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي }[3] ليحسنوا إليه كما أحسن هو إلى والديه، يقول محمد الطاهر بن عاشور:" وفي إدماج تلقين الدعاء بإصلاح ذريته مع سياق الكلام في الإحسان إلى الوالدين إيماء إلى أن المرء يلقى من إحسان أبنائه إليه مثل ما لقي أبواه من إحسانه إليهما، ولأن دعوة الأب لابنه مرجوة الإجابة، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:" ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم"[4] "[5].

- والدعاء في قوله تعالى:{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي}[6] يشمل ثلاثة أمور:

1- توفيق الله تعالى لشكره على نعمه.

2- التوفيق للعمل الصالح الذي يرضاه الله عز وجل.

3- إصلاح الذرية.

يقول الرازي:" وفي ترتيب هذه الأشياء الثلاثة على الوجه المذكور وجهان:

(الأول) أنا بينا أن مراتب السعادات ثلاث أكملها النفسانية، وأوسطها البدنية، وأدونها الخارجية، والسعادات النفسانية هي اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه، والسعادات البدنية هي اشتغال البدن بالطاعة والخدمة، والسعادات الخارجية هي سعادة الأهل والولد. فلما كانت المراتب محصورة في هذه

---

1 -ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج26، ص32.

2 -أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الوصية ،باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ،ح(1631).

3 - الأحقاف: 15.

4 - أخرجه ابن ماجه في سننه ،كتاب الدعاء،باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم ،ح(3862).

5 -ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج26، ص33.

6 - الأحقاف: 15.

الثلاثة لا جرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه، والسبب الثاني، لرعاية هذا الترتيب أنه تعالى قدم الشكر على العمل، لأن الشكر من أعمال القلوب، والعمل من أعمال الجوارح، وعمل القلب أشرف من عمل الجارحة"[1]

وقد أثنى الله عز وجل على الذين بَرُّوا والديهم وأحسنوا إليهم ودعوا لهم، وأصلحوا ذريتهم، وقد تقبل الله تعالى أحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، وموعدهم الجنة.

قال الله عز وجل:{ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ}[2].

قال ابن كثير:" أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله، المنيبون إليه، المستدركون ما فاتهم من التوبة والاستغفار، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا، ونتجاوز عن سيئاتهم، فيغفر لهم الكثير من الزلل، ونتقبل منهم اليسير من العمل"[3]

- وطاعة الوالدين مقيدة بأن لا تكون في الشرك بالله، فقد أمر الله عز وجل بعدم طاعتهما إن جاهدا ولدهما على معصية الله تعالى والشرك به، فقالوَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[4]، وقال:{ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[5].

يقول الرازي في تفسير آية العنكبوت:" في قوله:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً }[6] دليل على أن متابعتهم في الكفر لا يجوز، وذلك لأن الإحسان بالوالدين وجب بأمر من الله تعالى، فلو ترك العبد عبادة الله بقول الوالدين لترك طاعة الله تعالى، فلا ينقاد لما وصاه به فلا يحسن إلى الوالدين، فاتباع العبد أبويه لأجل الإحسان إليهما يفضي إلى ترك الإحسان إليهما، وما يفضي وجوده إلى عدمه باطل، فالاتباع باطل، وأما إذا امتنعا من الشرك بقي على الطاعة والإحسان إليهما من الطاعة فيأتي به، فترك هذا

1 -الرازي التفسير الكبير ، ج28، ص26.

2 - الأحقاف: 16.

3 - ابن كثير :تفسير ابن كثير، ج6، ص282.

4- لقمان: 15.

5- العنكبوت: 08.

6- العنكبوت: 08.

الإحسان صورة يفضي إلى الإحسان حقيقة"[1].

أما نهيه عن طاعة الوالدين إن أمراه بالشرك بدون علم فهذا تقليد في الكفر، فإذا عصاهما في هذه الحالة، لن يطيعهما إذا حصل له علم، لأن العلم كله يثبت وجود الله وحده، يقول الرازي:" فقوله:{ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ }[2] يعني التقليد في الإيمان ليس بجيد فضلا عن التقليد في الكفر، فإذا امتنع الإنسان من التقليد فيه ولا يطيع بغير علم لا يطيعهما أصلا، لأن العلم بصحة قولهما محال الحصول، فإذا لم يشرك تقليدا، ويستحيل الشرك مع العلم، فالشرك لا يحصل منه قط"[3].

أما قوله تعالى في سورة لقمان:{ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي }[4] أوفي سورة العنكبوت:{ لِتُشْرِكَ بِي }[5] فيقول محمد الطاهر بن عاشور في تعليل ذلك:" أما حرف(على) فهو أدل على تمكن المجاهدة، أي: مجاهدة قوية للإشراك، والمجاهدة: شدة السعي والإلحاح، والمعنى: إن ألحا وبالغا في دعوتك إلى الإشراك بي فلا تطعهما، وهذا تأكيد للنهي عن الإصغاء إليهما إذا دعوا إلى الإشراك، وأما آية العنكبوت فجيء فيها بلام العلة لظهور أن سعدا كان غنيا عن تأكيد النهي عن طاعة أمه لقوة إيمانه"[6]

ومع كفر الوالدين ومجاهدة ولدهما على الكفر، إلا أن الله عز وجل أمره ببرهما والإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف، وأمره باتباع المنيبين الموحدين لله تعالى، ثم إلى الله المرجع ؛ فيجازي الوالدين على كفرهما، والولد على بره بوالديه، قال تعالى:{ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[7].

والإحسان إلى الوالدين من أفضل الأخلاق وأشرفها، إلا أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يبرون والدين، وكانت صور العقوق منتشرة في مجتمعهم، فجاء القرآن الكريم وذم هذه الرذيلة، وأكد على وجوب طاعتهما، وعدد الوصية بالإحسان إليهما، يقول محمد الطاهر بن عاشور:" وقد كان كثير من العرب في جاهليتهم أهل خلاف، فكان الأولاد لا يوقرون آباءهم إذا أضعفهم الكبر، فلذلك كثرت وصاية القرآن

1-الرازي :التفسير الكبير ، ج25، ص32.

2- العنكبوت:8 لقمان: 15.

3- الرازي :المصدر السابق ، ص33.

4- لقمان: 15.

5- العنكبوت: 8.

6- ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج21، ص160.

7- لقمان: 15.

بالإحسان إلى الوالدين"[1].

- وعقوق الوالدين يثمر في الإنسان أخلاقا قبيحة تلازمه طول حياته؛ الجبروت والشقاوة، قال تعالى على لسان عيسى بن مريم:{ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً }[2].

جاء في تفسير ابن كثير عند هذه الآية:" أي لم يجعلني جبارا متكبرا عن عبادته وطاعته وبرا بوالدتي فأشقى بذلك، قال سفيان الثوري: الجبار الشقي الذي يقتل على الغضب، وقال بعض السلف: لا تجد أحدا عاقا لوالديه إلا وجدته جبارا شقيا، ثم قرأ:" وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً }[3] "[4].

أنواع الشكر:

ينقسم الشكر إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شكر الجنان.

وهو معرفة القلب وإقراره بأن ما بالعبد من أحداث وتقلبات آثار فمن الله تعالى خلقا واختراعا، وهو فرض على الأعيان، قال الله تعالى:{ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ}[5]

وكل ما استنبط وصنف في معنى الشكر واقع تحت هذه الكلمة، والقلب هو محل العرفان، وفيه يقول الله تعالى:{ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[6].

القسم الثاني: شكر اللسان.

وحقيقته الاعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة، قال الله تعالى:{ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ }[7]، وقال:{ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ }[8].

القسم الثالث: شكر الجوارح.

1- ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج8، ص158.

2- مريم: 31.

3- مريم: 31.

4-ابن كثير : تفسير ابن كثير، ج4، ص454.

5- النحل: 53.

6-آل عمران: 123.

7- البقرة: 152.

8- الضحى: 11.

يكون هذا الشكر بملازمة الطاعات، ومجانبة الزلات، قال الله تعالى:{ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً }[1].

" وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تتورم قدماه، فقيل: يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال:" أفلا أكون عبدا شكورا؟"[2].

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شكر الله تعالى بالعمل وطاعات الجوارح"[3].

فهذه أقسام الشكر لله عز وجل، فالقسم الأول: محله القلب، فيقر العبد بأن النعم التي أنعمت عليه، هي من الله تعالى.

أما القسم الثاني: فهو شكر اللسان، بأن يشكر العبد ربه بلسانه، ويقر بذلك اعترافا منه بلسانه.

والقسم الأخير: إنما هو شكر الله عز وجل بأداء طاعات الجوارح من صلاة وصيام وزكاة وغيرها من أعمال الجوارح، والانتهاء عن جميع المنهيات.

أما الشكر الخاص بالناس، فيدور حول القسم الثاني والثالث، أي شكر باللسان وبالجوارح، ويكون بالثناء على من له الفضل باللسان، والمكافأة بالجوارح؛ كقضاء الحاجات، وبذل المال مجازاة على الإحسان.

" ولا يتحقق بينهم شكر الجنان – أعني المعرفة- لأن حقيقة الشكر وروحه مجازاة من نفعك بجلب نفع، أو دفع ضر، أو سرور تدخله على قلب، فأما معرفتك بأنه أحسن إليك فلا فائدة له فيه"[4]، وكذلك بالنسبة للوالدين، فهما يختصان بالشكرين الأخيرين؛ بشكر اللسان، وشكر الجوارح، دون القسم الأول الذي يختص به الله عز وجل وحده.

من خلال وصية الإحسان إلى الوالدين استنتج ما يلي:

- عظم هذه الوصية وأهميتها، حتى أن إيمان العبد لا يكتمل حتى يعمل بها فهي ترتبط بالمضمون العقدي ارتباطا وثيقا، وتأتي بعد وصية النهي عن الشرك.
- ورود الوصية بصيغة الأمر لا يدل على النهي عن الإساءة فحسب، بل وجوب البر والإحسان إلى

1- سبأ: 13.

2-أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب صفات المنافقين و أحكامهم ،باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ،ح(2819-2820) وأخرجه البخاري ،كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل ،ح(1130).

3- أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف القرشي الطرطوشي،بر الوالدين، مؤسسة الكتب الثقافية، ط3: 1411هـ، 1991م، ص95-96-97.

4- المرجع نفسه، ص98.

الوالدين.

- وصية الإحسان إلى الوالدين توصي بهما معا وتخص الأم بزيادة البر.

- الإخلال بوصية الإحسان إلى الوالدين يثمر في الإنسان أخلاقا قبيحة منها الجبروت والشقاوة.

- الإخلال بوصية الإحسان إلى الوالدين يؤدي إلى تخريب وتدمير العلاقات الأسرية والعائلية.

- في حالة إذا أذعن الوالدان إلى الشرك، تسقط طاعتهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وهذا لا يعني سقوط البر والإحسان بهما.

- في غياب العمل بهذه الوصية ظهرت دور العجزة والمسنين وهي غريبة عن المجتمع الإسلامي الأصيل.

- صور العقوق كثيرة أدناها: التأفف، وأقصاها القتل.

المطلب الثالث :الوصية بالنهي عن قتل الولد

أوصى الله عز وجل بالنهي عن قتل الولد فقال:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }[1]، وقال:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم}[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك" قيل: ثم أي؟ قال:" أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك"[3].

- فما هي الأسباب التي تجعل الآباء يقتلون أولادهم؟
- ولماذا قدم القرآن الكريم في سورة الأنعام رزق الآباء على رزق الأولاد، وقدم في سورة الإسراء رزق الأولاد على رزق آبائهم؟

كان العرب في جاهليتهم يئدون البنات، وذلك بسبب فقر آبائهن، وباعتبار أن الأنثى لا يرجو منها والدها إعانة إن هي كبرت، فجاءت وصية الله عز وجل بالنهي وتحريم قتل الأولاد خوفا من الفقر سواء كان حاصلا أو متوقع الحصول في المستقبل فقال في سورة الأنعام:" من إملاق" وقال في سورة الإسراء:" خشية إملاق"، وقد بين محمد الطاهر بن عاشور الفرق بين الآيتين في النظم من وجهين، فقال:" الأول: أنه قيل هنا:" خشية إملاق"، وقيل في آية الأنعام:" من إملاق" ويقتضي ذلك أن الذين كانوا يئدون بناتهم يئدونهن لغرضين:

إما لأنهم فقراء لا يستطيعون إنفاق البنت ولا يرجون منها إن كبرت إعانة على الكسب، فهم يئدونها لذلك، فذلك مورد قوله في الأنعام:" من إملاق" فإن:"من" التعليلية تقتضي أن الإملاق سبب قتلهن، فيقتضي أن الإملاق موجود حين القتل.

وإما أن يكون الحامل على ذلك ليس فقر الأب، ولكن خشية عروض الفقر له أو عروض الفقر للبنت بموت أبيها، إذ كانوا في جاهليتهم لا يورثون البنات فيكون الدافع للوأد هو توقع الإملاق...

الوجه الثاني: فمن أجل هذا الاعتبار في الفرق للوجه الأول قيل هناك" نحن نرزقكم وإياهم" بتقديم ضمير الآباء على ضمير الأولاد، لأن الإملاق الدافع للوأد المحكي به في آية الأنعام هو إملاق الآباء، فقدم

1- الأنعام: 151.

2- الإسراء: 31.

3-أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان ،باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ،ح(135)،وأخرجه البخاري،كتاب تفسيرالقرآن ،باب قوله تعالى :{ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون}،ح(4477).

الإخبار بأن الله هو رازقهم وكمل بأنه رازق بناهم.
وأما الإملاق المحكي في هذه الآية، هو الإملاق المخشي وقوعه، والأكثر أنه توقع إملاق البنات...فلذلك قدم الإعلام بأن الله رازق الأبناء وكمل بأنه رازق آبائهم"[1].
وقد بين الله عز وجل في هذه الوصية أن رزق الأولاد مقدر لهم حين خلقهم، فالفقر ليس داعيا لقتلهم، وبذلك أبطل حجتهم في قتل الأولاد، فقال:{ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }[2]
" وذكر الله رزقهم مع رزق آبائهم، وقدم رزق الآباء للإشارة إلى أنه بما رزق الآباء فلم يموتوا جوعا، كذلك يرزق الأبناء مع أن الفقر إنما اعترى الآباء فلم يقتل لأجله الأبناء"[3]. أما في سورة الإسراء فقدم رزق الأبناء على رزق آبائهم فقال:{ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم }[4] وقد علل محمد رشيد رضا هذا التقديم والتأخير بقوله:" فقدم الأولاد هنالك على رزق الوالدين عكس ما هنا لأنه متعلق بالفقر المتوقع في المستقبل الذي يكون الأولاد فيه كبارا كاسبين، وقد يصير الوالدان في حاجة إليهم لعجزهم عن الكسب بالكبر، ففرق في كل منهما ضمان رزق الكاسب للإشارة إلى أنه تعالى جعل كسب العباد سببا للرزق خلافا لمن يزهدونهم في العمل بشبهة كفالته تعالى لرزقهم"[5].
فقد أكدت وصية النهي عن قتل الولد أن الله عز وجل هو الرزاق المتكفل برزق الآباء والأولاد.

من خلال وصية النهي عن قتل الأولاد تبين أن:
- الله عز وجل وحده المتكفل برزق الأولاد وآبائهم.
- من أهم أسباب قتل الولد الإملاق سواء كان حاصلا أم متوقعا في المستقبل.
- اهتمت الوصية بحفظ النفوس فحرمت قتل الولد.
- اهتمت الوصية باستمرار حياة البشرية وقيام المجتمعات بتحريم قتل البنت.

1-ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج15، ص87، 88.
2- الأنعام: 151.
3-ابن عاشور :المصدر السابق ، ج8، ص159.
4- الإسراء: 31.
5-رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص186.

المطلب الرابع :الوصية بالنهي عن قربان الفواحش

بعد وصية النهي عن قتل الأولاد من الفقر أو خشيته، باعتباره فاحشة، أتبعه القرآن الكريم بوصية النهي عن قربان الفواحش، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }.[1]

يقول البقاعي:" ولما كان قتلهم أفحش الفواحش بعد الشرك، أتبعه النهي عن مطلق الفواحش، وهي ما غلظت قباحته، وعظم أمرها بالنهي عن القربان فضلا عن الغشيان"[2].

- فلماذا أوصى القرآن الكريم بالنهي عن قربان الفواحش و لم يوص بالنهي عن إتيانها؟
- وهل يختص النهي في الوصية بفاحشة معينة؟

أوصى الله عز وجل بالنهي عن قربان الفواحش، فبقربانها يستحيل أن تنشأ أسرة أو يستقيم مجتمع، والنهي عن القرب منها أدل على تحريم إتيانها، فإذا كان قربانها منهي عنه، فاقترافها أولى بالتحريم، يقول محمد الطاهر بن عاشور:" وقد نهى عن القرب منها، وهو أبلغ في التحذير من النهي عن ملابستها، لأن القرب من الشيء مظنة الوقوع فيه، ولما لم يكن للإثم قرب وبعد كان القرب مرادا به الكناية عن ملابسة الإثم أقل ملابسة، لأنه من المتعارف أن يقال ذلك في الأمور المستقرة في الأمكنة، إذ قيل لا تقرب منها فُهِم النهي عن القرب منها ليكون النهي عن ملابستها بالأحرى، فلما تعذر المعنى المطابقي هنا تعينت إرادة المعنى الالتزامي بأبلغ وجه"[3].

وقد ذهب معظم المفسرين إلى أن المراد بالفواحش في الوصية، جميع الفواحش، لا تختص بفاحشة الزنى، يقول الرازي:" والأولى أن لا يخصص هذا النهي بنوع معين، بل يجري على عمومه في جميع الفواحش ظاهرها وباطنها لأن اللفظ عام، والمعنى الموجب لهذا النهي وهو كونه فاحشة عام أيضا ومع عموم اللفظ والمعنى يكون التخصيص على خلاف دليل"[4].

أما محمد الطاهر بن عاشور ففسر الفواحش بالآثام الكبيرة وقال:" ومن فسر الفواحش بالزنا، وجعل ما ظهر منها ما يفعله سفهاؤهم في الحوانيت وديار البغايا، وبما بطن اتخاذ الأخدان سرا، وروي هذا عن السدي، وروي عن الضحاك وابن عباس: كان أهل الجاهلية يرون الزنا سرا حلالا، ويستقبحونه في

1- الأنعام: 151.

2- البقاعي :نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2، ص741.

3-ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص159، 160.

4-الرازي: التفسير الكبير ، ج4، ص191.

العلانية، فحرم الله الزنا في السر والعلانية، وعندي أن صيغة الجمع في الفواحش ترجح التفسير الأول، كقوله تعالى:{ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ }[1]، ولعل الذي حمل هؤلاء على تفسير الفواحش بالزنى، قوله في سورة الإسراء في آيات عددت منهيات كثيرة، تشابه آيات هذه السورة، وهي قوله:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }[2]، وليس يلزم أن يكون المراد بالآيات المتماثلة واحدا"[3].

وقال محمد رشيد رضا:" وليس هذا تخصيصا للفواحش ببعض أفرادها كما يظن بعض المفسرين، بل مراده أن الآية دلت على ذلك بعمومها"[4].

غير أن سيد قطب رأى خلاف ذلك، فرجح أن يكون معنى الفواحش من سياق الآية هو الزنا فقال:" فتخصيص "الفواحش" هنا بفواحش الزنا أولى بطبيعة السياق، وصيغة الجمع، لأن هذه الجريمة ذات مقدمات وملابسات كلها فاحشة مثلها، فالتبرج، والتهتك، والاختلاط المثير، والكلمات والإشارات والحركات، والضحكات الفاجرة، والإغراء، والتزيين والاستثارة، كلها فواحش تحيط بالفاحشة الأخيرة، وكلها فواحش منها الظاهر ومنها الباطن، منها المستتر في الضمير، ومنها البادي في الجوارح، منها المخبوء المستور، ومنها المعلن المكشوف **!**"[5].

أرى أن المعنى الأول أصوب، فالله تعالى قال في الآية:" الفواحش" والفواحش أنواع كثيرة، فلو أراد فاحشة الزنا بذاتها، فماذا يمنعه من قول ذلك، وقد قال في سورة الإسراء:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }[6].

فالزنا فاحشة واحدة من الفواحش، وليس المراد من الفواحش فاحشة الزنا بالذات، فكل زنا فاحشة، وليس كل فاحشة زنا.

و" الفواحش" في الآية جاءت بصيغة الجمع، وهذا يدل على مجموع من الفواحش.

فأمر الله عز وجل الإنسان أن يتجنب هذه الفواحش في سره واختلائه، وفي علنه وأمام الناس، لأنه من انتهى منها علنا، وأتاها سرا، فهو يخشى الناس ولا يخشى خالقه، يقول الرازي:" وفي قوله (ما ظهر منها

1- النجم: 32.

2- الإسراء: 32.

3-اين عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص160.

4-رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص187.

5- قطب :في ظلال القرآن، ج3، ص1231.

6- الإسراء: 32.

وما بطن) دقيقة، وهي: أن الإنسان إذا احترز عن المعصية في الظاهر، ولم يحترز عنها في الباطن دل ذلك على أن احترازه عنها ليس لأجل عبودية الله وطاعته، ولكن لأجل الخوف من مذمة الناس وذلك باطل، لأن من كان مذمة الناس عنده أعظم وقعا من عقاب الله ونحوه فإنه يخشى عليه من الكفر، ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا، فدل ذلك على أنه إنما تركها تعظيما لأمر الله تعالى وخوفا من عذابه ورغبة في عبوديته"[1].

من خلال وصية النهي عن قربان الفواحش تبين:

- أن الوصية اهتمت بحفظ النوع البشري فنهت عن قربان كل فاحشة.
- بالعمل بهذه بالوصية تنشأ أسر ومجتمعات سوية.
- في حالة عدم تطبيق وصية النهي عن قربان الفواحش تهتك الأعراض وتختلط الأنساب.
- في غياب العمل بهذه الوصية يتجه أفراد المجتمع إلى الفواحش ويتخلون عن الزواج مما يؤدي إلى انقطاع النسل وبالتالي انقطاع النوع البشري.

1-الرازي: التفسير الكبير ، ج4، ص191.

المطلب الخامس:الوصية بالنهي عن قتل النفس

بعد وصية النهي عن قربان الفواحش، أوصى القرآن بالنهي عن قتل النفس بغير حق، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }[1].

- لماذا خصت الوصية النهي عن قتل النفس من جملة الفواحش؟
- ما المراد بالحق الذي تبيح فيه الوصية قتل النفس؟

خلق الله تعالى الإنسان، وفضله على جميع مخلوقاته، وسخر له ما في الكون لخدمته، ثم أوصى بتحريم الاعتداء على النفس بغير حق، واعتبره فاحشة، ثم خصه بالذكر من جملة الفواحش، يقول البقاعي:" ثم صرح منها:" أي الفواحش" بمطلق القتل تعظيما له بالتخصيص بعد التعميم"[2].

وقد ذكر الرازي فائدتين في تخصيص قتل النفس من جملة الفواحش، فقال:" إحداهما: أن الإفراد بالذكر يدل على التعظيم والتفخيم، كقوله:{ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ }[3]، والثانية: أنه تعالى أراد أن يستثني منه، ولا يتأتى هذا الاستثناء في جملة الفواحش"[4].

وقد وصف الله عز وجل قتل النفس بـــ" التي حرم" وهذا يدل على أن التحريم ليس حكما خاصا بأمة محمد، فتحريم قتل النفس حكم عام بكل الشرائع والأديان السابقة من عهد أول الأنبياء عليه السلام.

ثم استثنت الوصية حالة واحدة، يكون فيها القتل محللا، وهي إذا كان بسبب الحق، وقد بين محمد الطاهر بن عاشور المراد بالحق في الوصية فقال:" والحق ضد الباطل، وهو الأمرالذي حق، أي ثبت أنه غير الباطل في حكم الشريعة، وعند أهل العقول السليمة البريئة من هوى أو شهوة خاصة، فيكون الأمر الذي اتفقت العقول على قبوله، وهو ما اتفقت عليه الشرائع، أو اصطلح أهل نزعة خاصة على أنه يحق وقوعه، وهو ما اصطلحت عليه شريعة خاصة بأمة أو زمن"[5].

وقد فصل الله عز وجل في القرآن والسنة حق قتل النفس، قال تعالى:{ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ

1- الأنعام: 151.

2-البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2،ص741.

3- البقرة: 98.

4-الرازي:التفسير الكبير، ج4، ص191.

5-ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص161.

مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير نفس"[2].

فقتل المحارب، والقصاص، والزاني المحصن، وقتل المرتد عن الإسلام بعد استتابته... وكل قتل ثبت بالقرآن والسنة فهو قتل بالحق.

– فالأصل في النفس حرمة القتل حتى يثبت ما يدل على أنها اقترف صاحبها ذنبا عظيما يحلل قتلها، وإلا فهو حرام، قال تعالى:{... أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً }[3]، يقول سيد قطب:" وعلى هذه القاعدة كفل الله حرمة النفس ابتداء، وهناك طمأنينة الجماعة المسلمة في دار الإسلام وأمنها، وانطلاق كل فرد فيها ليعمل وينتج آمنا على حياته، لا يؤذى فيها إلا بالحق، والحق الذي تؤخذ به النفس بينه الله في شريعته ، و لم يتركه للتقدير والتأويل"[4].

وقد ختم الله عز وجل الآية بقوله:{ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[5]، فسرها محمد الطاهر بن عاشور بقوله:" رجاء أن يعقلوا أي تصيروا ذوي عقول، لأن ملابسة بعض هذه المحرمات، ينبئ عن خساسة عقل بحيث يترّل ملابسها مترلة من لا يعقل، فلذلك رُجِيَ أن يعقلوا"[6].

فأصحاب العقول المتفطنة تدرك حرمة النفس فلا تتجرأ على ارتكاب أقبح فاحشة إلا بسبب الحق.

1- المائدة: 33.

2- أخرجه البخاري ، كتاب الديات، باب قول الله تعالى :{إن النفس بالنفس والعين بالعين ،والأنف بالأنف ،والأذن بالأذن ،والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ،ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون}،وأخرجه مسلم ،كتاب القسامة ،باب ما يباح به دم المسلم ،ح(1676)،وأخرجه الترمذي،كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ،ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث،ح(2158)،وأخرجه أبو داود ،كتاب الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم،ح(4502)،والدارمي، كتاب الحدود ،باب ما يحل به دم المسلم.

3- المائدة: 32.

4-قطب :في ظلال القرآن، ج3، ص1232.

5- الأنعام: 151.

6-ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص162.

تكريم الله عز وجل للإنسان:

إن الله تعالى كرم الإنسان فخلقه في أحسن صورة، لا ينافسه فيها كائن من الخلق، وأنعم عليه بطاقات عقلية ونفسية، فجعله المفضل بين الخلق جميعا، فقال:{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }[1]، يقول الرازي:" فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي، وبدنه أشرف الأجسام في العالم السفلي"[2]، كما زوده الله تعالى بقدرات وصفات لازمة من علم وعقل وفهم وإرادة، وجعله خليفته في الأرض، قال تعالى:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }[3]

يقول سيد قطب:" وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتطلق يده فيها، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين...وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات...وإذن فهي مترلة عظيمة، مترلة هذا الإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم"[4].

وقد سخر الله له ما في الأرض جميعا لينتفع به في حياته، قال تعالى{اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ {32} وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}[5].

وقال:{ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[6].

1- الإسراء: 70.

2-الرازي:التفسير الكبير ، ج21، ص12.

3- البقرة: 30.

4- قطب :في ظلال القرآن، ج1، ص56.

5- إبراهيم: 32،33.

6- لقمان: 20.

تحريم قتل الإنسان نفسه:

لم يكتف الإسلام بتحريم قتل الإنسان غيره، بل حرم أيضا أن يقتل الإنسان نفسه، واعتبر ذلك جريمة منكرة، لأنه اعتداء على أمانة استودعها الله إياه هي الروح ، من أقدم على قتل نفسه لم يرض بقدر الله بهذا الفعل الشنيع، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء عاقبته فقال:" من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا"[1].

وقتل الإنسان نفسه دليل وعلامة على شقاوته، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام:" هذا من أهل النار" فلما حضرنا القتال، قاتل الرجل قتالا شديدا، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الرجل الذي قلت له آنفا إنه من أهل النار، فإنه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إلى النار".فكادبعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحا شديدا، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال:" الله أكبر ! أشهد أني عبد الله ورسوله" ثم أمر بلالا فنادى في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"[2].

" ومما يكشف عن قباحة هذه الجريمة وعن عظم جرم من يرتكبها، ويدل على شقاوته، ويفزع منه قلب كل مؤمن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رفض أن يصلي على من قتل نفسه"[3].

فقتل النفس بغير حق مطلقا محرم بالكتاب والسنة، وعقابه شديد، فهو أخطر جريمة تهز كيان البشرية، وأول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أول ما يقضى فيه بين الناس في الدماء"[4].

1-أخرجه البخاري، كتاب الطب،باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، ح(5778)،وأخرجه مسلم،كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ،ح(109).

2-أخرجه البخاري ،كتاب الجهاد والسير ،باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ،ح(182)،وأجرجه مسلم، كتاب الإيمان،باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ح(111).

3- عثمان دوكوري : التدابير الواقعية من القتل في الإسلام،دار الوطن للنشر ،ط1 :1420 هـ 1999م،ص106.

4-أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور،ح(6533)،وأخرجه في كتاب الديات ،باب قول الله تعالى :{ومن يقتل مؤمنا متعمدا، فجزاؤه جهنم} ،ح(6864)، وأخرجه مسلم ،كتاب القسامة

بعد دراسة وتفسير وصية النهي عن قتل النفس اتضح أنه:

- بالعمل بهذه الوصية يعيش أفراد المجتمع آمنين مطمئنين.
- يردع كل من تسول له نفسه اقتراف الذنوب العظيمة التي تبيح دمه.
- قتل النفس بغير حق ينبئ عن خساسة عقل الفاعل.
- بالإخلال بوصية النهي عن قتل النفس يختل النظام في المجتمع وتسوده فوضى اجتماعية.
- اهتمت وصية النهي عن قتل النفس بحفظ النفوس، فنهت عن قتل النفس بغير حق وذلك من أجل استمرار الحياة والحفاظ على النوع البشري.

=والمحاربين و القصاص والديات ،باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة ،ح(1678).

المطلب السادس :وصية النهي عن قربان مال اليتيم

بعد اهتمام الوصية بالحفاظ على النفوس، انتقلت لتحافظ على الأموال التي بها تقوم حياة الناس، ولما كان اليتامى ضعفاء لا يستطيعون حماية هذا المال، أوصى القرآن الكريم بالنهي عن قربان مالهم فقال:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ }[1].

يقول البقاعي:" ولما كان المال عديل الروح من حيث إنه لا قوام لها إلا به، ابتدأ الآية التي تليها بالأموال، ولما كان أعظمها خطرا وحرمة مال اليتيم لضعفه وقلة ناصره، ابتدأ به فنهى عن قربه فضلا عن أكله أو شربه"[2].

- فلماذا أوصى القرآن الكريم بالنهي عن قرب مال اليتيم و لم ينه عن أكله؟
- متى أحلت الوصية قرب مال اليتيم؟
- ما هي السن التي حددتها الوصية لدفع مال اليتيم إليه؟
- لماذا عنت الوصية بحفظ مال اليتيم دون غيره من الضعفاء؟

كان العرب في جاهليتهم يأكلون أموال اليتامى بغير حق بسبب ضعفهم وعدم وجود الحريص على أموالهم، فوصى القرآن الكريم بالنهي عن القرب منها " وهو كناية عن ملابسة مال اليتيم بالتصرف فيه"[3].

فالنهي عن القربان يقتضي تحريم التصرف فيه والتعرض له بأي وجه من الوجوه" والنهي عن قرب الشيء أبلغ من النهي عنه لأنه يتضمن النهي عن الأسباب والوسائل التي تؤدي إليه وتوقع فيه وعن الشبهات التي تحتمل التأويل فيه فيحذرها التقي، إذ يعدها هضما لحق اليتيم، ويقتحمها الطامع إذ يراها بالتأويل مما يحل له لعدم ضررها باليتيم أو لرجحان نفعها له على ضررها كأن يأكل من ماله شيئا بوسيلة له فيها ربح من جهة أخرى في عمل لولاه لم يربح و لم يخسر"[4].

ثم استثنت الوصية حالة واحدة من القربان يجوز فيها التصرف في مال اليتيم في قوله تعالى:{ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } أي بالصورة التي هي أحسن وأنفع له، لا ضرر فيها له ولا لماله.

---

1 - الأنعام: 152.

2 -البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2، ص742.

3 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص163.

4 -رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص189.

يقول الألوسي:" أي بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره، وقيل: المراد لا تقربوا ماله إلا وأنتم متصفون بالخصلة التي هي أحسن الخصال في مصلحته فمن لم يجد نفسه على أحسن الخصال ينبغي ألا يقربه"[1].

وعلى الوصي أن يدفع إليه ماله كاملا إذا بلغ أشده، قال تعالى:{ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ}[2]، والأشد: اسم يدل على قوة الإنسان، وهو مشتق من الشد وهو التوثق، والمراد به في هذه الآية ونظائرها، مما الكلام فيه على اليتيم، بلوغه القوة التي يخرج بها من ضعف الصبا"[3].

وقد اختلف العلماء في تحديد زمن دفع مال اليتيم إليه، قال ابن عطية:" قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وليس هذا بالأشد المقرون، بل هذا يكون مع صغر السن في ناس كثير ، وتلك الأشد هي التجارب والعقل المحنك ولكن قد خلطها المفسرون، وقال ربيعة، والشعبي ، ومالك فيما روي عنه، وأبو حنيفة: بلوغ الأشد: البلوغ مع ألا يثبت سفه، وقال السدي: الأشد: ثلاثون سنة، وقالت فرقة: ثلاثة وثلاثون سنة.وحكى الزجاج عن فرقة: ثماني عشر سنة وضعفه، ورجح البلوغ مع الرشد، وحكى النقاش أن الأشد هنا من خمس عشرة إلى ثلاثين.

والفقه ما رجح الزجاج وهو قول مالك رحمه الله: الرشد وزوال السفه مع البلوغ"[4]

وحدد محمد الطاهر بن عاشور سن الأشد بالبلوغ مع صحة العقل وهو ما ذهب إليه مالك، فقال:" وتلك هي البلوغ مع صحة العقل، لأن المقصود بلوغه أهلية التصرف في ماله، وما منع الصبي من التصرف في المال إلا لضعف في عقله بخلاف المراد منه في أوصاف الرجال فإنه يعنى به بلوغ الرجل منتهى حد القوة في الرجال، وهو الأربعون سنة إلى الخمسين"[5]

أما محمد رشيد رضا فرجح المعنى اللغوي للأشد، ولم يحدد فيه زمنا معينا، فرأى أن الأشد في العصر الجاهلي هو سن قوة البدن مع الرشد العقلي، أما في العصر الحديث، فرأى أنه سن القوة العقلية مع التجارب كما بين أن النهي عن قرب مال اليتيم لا يخص الأولياء والأوصياء وحسب بل يعم كل الناس فقال:" وأقول أن المراد بالنهي عن قرب مال اليتيم النهي عن كل تعد عليه وهضم له من الأوصياء

1 -الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، ج 8 ص55 .

2 - الأنعام: 152.

3 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج8، ص 163، 164.

4 - ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،ج 5 ، ص397.

5 -ابن عاشور : المصدر السابق، ص164.

وغيرهم من الناس خلافا لمن جعل الخطاب فيه للأولياء والأوصياء خاصة وحينئذ يظهر جعل "حتى" غاية للنهي، وجعل الأشد بمعناه اللغوي، وهو سن القوة البدنية والعقلية بالتجارب، والحديث العهد بالاحتلام يكون ضعيف الرأي قليل التجارب فيخدع كثيرا، وقد كان الناس في الجاهلية كأهل هذا العصر من أصحاب الأفكار المادية، لا يحترمون إلا القوة، ولا يعرفون الحق إلا للأقوياء فلذلك بالغ الشرع في الوصية بالضعيفين المرأة واليتيم، وإنما كانت القوة التي يحفظ بها المرء ماله في ذلك الزمن قوة البدن مع الرشد العقلي وهو قلما يحصل بمجرد البلوغ، وأما هذا الزمان فلا يقدر على حفظ ماله فيه إلا من كان رشيدا في أخلاقه وعقله وتجاربه لكثرة الغش والحيل"[1].

فزمن بلوغ الأشد محصور بين طرفين، بدايته الاحتلام الذي يكون فيه بداية للقوة والرشد، أما نهايته فسن الأربعين، لم يحدد زمن معين لبلوغ الأشد، لاختلاف عقول الناس في الرشد العقلي، فمنهم من يبلغ الأشد بمجرد الاحتلام، ومنهم من يتأخر في بلوغ الرشد العقلي، وآخر زمن له هو سن الأربعين، ويعرف الوصي والولي مدى رشد اليتامى باختبارهم في المعاملات المالية، فإن أحسنوا التصرف وأنس منهم رشدا دفع إليهم أموالهم.

أما الحكمة في تخصيص حق اليتيم في ماله بالحفظ دون غيره من الضعفاء فقد بينها محمد الطاهر بن عاشور في قوله:" أن ذلك مظنة الاعتداء عليه من الولي، وهو مظنة انعدام المدافع عنه لأنه ما من ضعيف إلا وله من الأقارب والموالي من يدفع عنه إذا استجاره أو استنجده، فأما اليتيم فإن الاعتداء عليه إنما يكون من أقرب الناس إليه، وهو وليه، لأنه لم يكن يلي اليتيم عندهم إلا أقرب الناس إليه، وكان الأولياء يتوسعون في أموال أيتامهم، ويعتدون عليها، ويضيعون الأيتام لكيلا ينشأوا نشأة يعرفون بها حقوقهم، ولذلك قال تعالى:{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى }[2] "[3].

فلم يوص الله عز وجل بمال ضعيف من الضعفاء ما عدا مال اليتيم، لعدم وجود من يدافع عن ماله، مع وجود الاعتداء عليه وعلى ماله من أقرب الناس إليه وهو وصيه.

فعلى كل وصي وولي أن يحفظ أموال اليتامى ولا يقربها إلا بالقربان الحسن، قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً }[4]، وعليهم أن يدفعوا إليهم

---

1 -رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم المشهور ، ج8، ص190.

2- الضحى: 6.

3- ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج8، ص164.

4- النساء: 10.

أموالهم كاملة إذا بلغوا أشدهم.

بعد دراسة وتفسير وصية النهي عن قربان مال اليتيم توصلت إلى ما يلي:

- اهتمت الوصية بالحفاظ على المال.
- اهتمت الوصية بالمجتمع عموما وبالضعيف خصوصا، فنهت عن كل قرب لمال اليتيم.
- خصت الوصية حالة واحدة يجوز فيها التصرف في مال اليتيم وهي التصرف فيه بالتي هي أحسن.
- حددت الوصية السن الذي يدفع فيه لليتيم ماله وهو زمن بلوغه الأشد.

المطلب السابع:وصية الميراث:

وصى الله عز وجل الوالدين بتوريث أولادهم الذكر والأنثى، ثم بين كيفية تقسيم التركة بين الورثة فقال:{ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً {11} وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ {12}[1]

- فلماذا جعل الله تعالى نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى؟
- ولماذا قدم الوصية على الدين في الذكر؟
- ولماذا ختم الآية الأولى بالعلم والحكمة، في حين ختمت الثانية بالعلم والحلم؟

أوصى الله عز وجل بالتسوية بين الذكر والأنثى في أصل الميراث، بعدما كانت المرأة في الجاهلية لا ترث، وقد كانوا يورثون لثلاثة أسباب:" (أحدها) النسب: وهو خاص بالرجال الذين يركبون الخيل ويقاتلون الأعداء ويأخذون الغنائم ليس للضعيفين الطفل و المرأة منه شيء،(ثانيها) التبني، فقد كان الرجل يتبنى ولد غيره، فيرثه، ويكون له غير ذلك من أحكام الدين الصحيح، وقد أبطل الله التبني بآيات من سورة الأحزاب، ونفذ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بذلك العمل الشاق، وهو التزوج بمطلقة زيد بن حارثة الذي كان قد تبناه قبل الإسلام.(ثالثها) الحلف والعهد؛ كان الرجل يقول للرجل: دمي دمك، وهدمي هدمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، فإن تعاهدوا على ذلك فمات أحدهما قبل الآخر، كان للحي ما اشترط من مال الميت"[2].

فلم يكن للمرأة سبب من هذه الأسباب يجعلها ترث مثل الرجل، فلم تكن تخرج للقتال بسبب ضعفها،

---

1 - النساء: 11، 12.

2 -رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم، ج4، ص402.

كما أنها تُتبنى مثل الولد، أما السبب الأخير فهو الحلف والعهد ويكون بين الرجال دون النساء.

ثم جاء الإسلام فجعل في بدايته التوارث بالهجرة والمؤاخاة، فكان المهاجر لا يرث إلا المهاجر، وإن كان بعيدا، ولا يرثه غيره وإن كان قريبا.

" وحكمة ما كان في أول الإسلام ظاهرة، فإن ذوي القربى والرحم للمسلمين كان أكثرهم مشركين، وكان المسلمون لقلتهم وفقرهم محتاجين إلى التناصر والتكافل بينهم ، ولا سيما المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وترك ذوي المال منهم ماله فيها"[1] .

ولم يجعل الإسلام ميراثا للمرأة إلا بعد نزول هذه الآية؛ فعن جابر رضي الله عنه قال:" جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت:" يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيدا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ، ولا ينكحان إلا ولهما مال؟ فقال:" يقضي الله في ذلك" فترلت آية الميراث، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال:" أعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن وما بقي فهو لك"[2] .

وقد أوصى الله بتضعيف نصيب الذكر لأنه كثير النفقة، فهو ينفق على نفسه وعلى زوجته وأولاده، خلاف المرأة فهي تنفق على نفسها قبل الزواج، وينفق عليها زوجها بعد زواجها،" وليس الأمر في هذا أمر محاباة لجنس على حساب جنس، إنما ألأمر أمر توازن وعدل بين أعباء الذكر وأعباء الأنثى في التكوين العائلي، وفي النظام الاجتماعي الإسلامي؛ فالرجل يتزوج امرأة، ويكلف إعالتها وإعالة أبنائها منه في كل حالة وهي معه، وهي مطلقة منه...أما هي فإما أن تقوم بنفسها فقط، وإما أن يقوم بها رجل قبل الزواج وبعده سواء، وليست مكلفة نفقة للزوج ولا للأبناء في أي حال...فالرجل مكلف –على الأقل- ضعف أعباء المرأة في التكوين العائلي، وفي النظام الاجتماعي الإسلامي، ومن ثم يبدو العدل كما يبدو التناسق بين الغُنم والغُرم في هذا التوزيع الحكيم، ويبدو كل كلام في هذا التوزيع جهالة من ناحية وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى، وزعزعة للنظام الاجتماعي والأسري لا تستقيم معها حياة"[3].

كما بين الله عز وجل نصيب الأبوين حالة وجود الأبناء؛ فجعل نصيب كل واحد منها السدس، فقال

---

1 -رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج4، ص403.

2 -أخرجه أبو داود ،كتاب الفرائض،باب ما جاء في ميراث الصلب ،ح(2891) والترمذي، كتاب الفرائض ،باب ما جاء في ميراث البنات، ح(2092) قال أبو غيسى :هذا حديث صحيح .وأخرجه ابن ماجه –كتاب الفرائض –باب فرائض الصلب – ح(2720) .

3 - قطب :في ظلال القرآن، ط: 1، ،1972،الطبعة الشرعية26، 1418، 1997، ج1، ص591.

عز من قائل:{ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ}[1]. أما إن لم يخلف الميت ذرية فتصبح حصة الأم في هذه الحالة(الثلث) والباقي نصيب الأب، ثم بينت الآية حالة أخرى لميراث الأبوين، وهي حالة وجود الإخوة معهما، فنصيب الأم السدس قال تعالى:{ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ}[2].

والتوارث لا يكون إلا بعد تنفيذ وصية الميت وتسديد ديونه، وقد أجمع العلماء على تقديم الدين على الوصية، لأنه مال الغير، لابد أن يرد إلى أصحابه، ما دام الميت قد ترك تركة، يقول سيد قطب:" وتقديم الدين مفهوم واضح، لأنه يتعلق بحق الآخرين، فلا بد من استيفائه من مال الموروث الذي استدان، ما دام قد ترك مالا، توفية بحق الدائن، وتبرئة لذمة المدين، وقد شدد الإسلام في إبراء الذمة من الدين، كي قد تقوم الحياة على أساس من تحرج الضمير، ومن الثقة في المعاملة، ومن الطمأنينة في جو الجماعة، فجعل الدين في عنق المدين، لا تبرأ منه ذمته حتى بعد الموت"[3].

فعن قتادة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله؛ أرأيت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" نعم، إن قتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر" ثم قال:" كيف قلت؟" فأعاد عليه، فقال: نعم إلا الدين، فإن جبريل أخبرني بذلك"[4].

أما تقديم الوصية على الدين في الآية:" فلإنها شبيهة بالميراث، شاقة على الورثة وإن كان الدين مقدما عليها في الوفاء، فهو أول ما يجب في التركة ويليه الوصية فهي مما فضل عن الدين، وما بقي بعد أدائها هو الذي يقسم على الوارثين"[5].

قد بين ابن العربي خمسة أوجه في الحكمة من تقديم الوصية على الدين في الذكر فقال:

" الأول: أن (أو) لا توجب ترتيبا، إنما توجبا تفصيلا، فكأنه قال: من بعد أحدهما، أو من بعدهما، ولو ذكرها بحرف الواو لأوهم الجمع والتشريك، فكان ذكرهما بحرف (أو) المقتضي التفصيل أولى.

الثاني: أنه قدم الوصية، لأن تسببها من قبل نفسه، والدين ثابت مؤدى ذَكَره أم لم يذكره.

---

1 – النساء: 11.

2 – النساء: 11.

3 – قطب :في ظلال القرآن، ج1، ص592.

4 – أخرجه مسلم،كتاب الإمارة ،باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين ،ح(1885) والترمذي،كتاب الجهاد،باب ما جاء في من يستشهد وعليه دين، ح(1712)قال أبو عيسى :حديث صحيح ،وأخرجه الألباني في صحيح سنن النسائي ،كتاب الجهاد ،باب من قاتل في سبيل الله تعالى وعليه دين .

5 –رشيد رضا : تفسيرالقرآن الحكيم ، ج4، ص419.

الثالث: أن وجود الوصية أكثر من وجود الدين، فقُدم في الذكر ما يقع غالبا في الوجود.

الرابع: أنه ذكر الوصية، لأنه أمر مشكل، هل يقصد ذلك ويلزم امتثاله أم لا؟ لأن الدين كان ابتداء تاما مشهورا أنه لابد منه، فقدم المشكل، لأنه أهم في البيان.

الخامس: أن الوصية كانت مشروعة ثم نسخت في بعض الصور، فلما ضعفها النسخ، قويت بتقديم الذكر، وذكرهما معا كان يقتضي أن تتعلق الوصية بجميع المال تعلق الدين، لكن الوصية خصصت ببعض المال، لأنها لو جازت في جميع المال لاستغرقته، ولم يوجد ميراث، فخصصها الشرع ببعض المال، بخلاف الدين، فإنه أمر ينشئه بمقاصد صحيحة في الصحة والمرض، بينة المناحي في كل حال، يعم تعلقها بالمال كله"[1].

وهناك عدة أسباب لتشريع الوصية، فبعض الورثة يحجب بعضا، وقد يكون المحجوبون فقراء محتاجون، أو صغارا ضعفاء لا يستطيعون الكسب، فشرعت الوصية في مثل هذه الحالات، بشروط منها: ألا تكون لوارث، ولا تتعدى الثلث.

يقول سيد قطب:" وأما الوصية فلإن إرادة الميت تعلقت بها، وقد جُعلت الوصية لتلافي بعض الحالات التي يَحجب فيها بعض الورثة بعضا، وقد يكون المحجوبون معوزين، أو تكون هناك مصلحة عائلية في توثيق العلاقات بينهم وبين الورثة، وإزالة أسباب الحسد والحقد والنزاع قبل أن تنبت، ولا وصية لوارث، ولا وصية في غير الثلث"[2].

- وبعدما بين الله فرائض الأولاد والآباء عقب على ذلك بقوله:{ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً }.[3]

- فالله تعالى عليم بمصالح عباده ومنافعهم من أنفسهم حكيم في قسمته لهم.

- ثم انتقلت الآية لتبين نصيب الأزواج من التركة ونصيب من يورث كلالة.

قال تعالى:{ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ

---

1 -أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي،أحكام القرآن،تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة، بيروت، لبنان،(د،ت،ط)، ج1، ص344،343.

2 - قطب :في ظلال القرآن، ج1،ص592.

3 - النساء: 11.

أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ }[1]

فنصيب الزوج: إما النصف في حالة عدم وجود الأبناء، وإما الربع إن وجد لها ولد.

أما نصيب الزوجة فالربع إن لم يكن للزوج ولد، فإن كان له ولد فلها الثمن.

كماأن للمتوفى عنها زوجها حق النفقة من ماله والبقاء في بيته مدة حول كامل، إن أوصىلها بذلك ،قال تعالى:{ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[2] .فهي بعد العدة الواجبة مخيرة بين البقاء وعدمه، يقول سيد قطب :"الآية تقرر حق المتوفى عنها زوجهافي وصية منه تسمح لها بالبقاء في بيته والعيش من ماله، مدة حول كامل، لاتخرج ولا تتزوج إن رأت من مشاعرها أو من الملابسات المحيطة بها ما يدعوهاإلى البقاء..وذلك مع حريتها في أن تخرج بعد أربعة أشهر وعشر ليال ،فالعدة فريضة عليها و البقاء حولا حق لها "[3]

أما الكلالة فقد سئل عنها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال:" أقول فيها برأيي؛ فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، الكلالة من لا ولد له ولا والد"[4]

فحظ الأخ أو الأخت لأم السدس، فإن كان لإخوة لأم أكثر من ذلك عددا تقاسموا الثلث بالتساوي.

وقد بين الله عز وجل أن الوصية جائزة مشروعة، ما لم يكن فيها نية الإضرار ببعض الورثة،

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية قوله تعالى:{ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ}[5] " أي لتكن وصيته على العدل لا على الإضرار والجور والحيف بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه، أو يزيده على ما فرض الله له من الفريضة، فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمه وشرعه"[6].

لكن لماذا ختم الله عز وجل هذه الآية بوصف نفسه بالعلم والحلم مع أنه ختم الآية السابقة بوصف نفسه بالعلم والحكمة، مع أن الآية تحدثت عن تشريع للأحكام وتناسبها الحكمة و لم تتحدث عن التوبة

---

1 - النساء: 12.

2 - البقرة :240.

-3 قطب: في ظلال القرآن ،ج1 ،ص259.

4 -أخرجه الدارمي،كتاب الفرائض ،باب الكلالة، و انفرد به.

5 - النساء: 12.

6 -ابن كثير : تفسير ابن كثير، دار الأندلس ،ط :6، 1406 ،1984 ، ج2، ص218.

التي يناسب الحلم؟

علل محمد عبده إيثار الوصف بالحلم على الوصف بالحكمة في هذا المقام بقوله:" أن التذكير بعلم الله تعالى لما كان متضمنا لإنذار من يتعدى حدوده تعالى فيما تقدم من الوصية والدين والفرائض ووعيده، وكان تحقق الإنذار والوعيد بعقاب متعدي الحدود وهاضم الحقوق قد يتأخر عن الذنب، وكان ذلك مدعاة غرور الغافل، ذكرنا تعالى هنا بحلمه، لنعلم أن تأخر نزول العقاب لا ينافي ذلك الوعيد والإنذار، ولا يصح أن يكون سببا للجرأة والاغترار، فإن الحليم هو الذي لا تستفزه المعصية إلى التعجيل بالعقوبة، وليس في الحلم شيء من معنى العفو والرحمة، فكأنه يقول: لا يَغُرن الطامع في الاعتداء وأكل الحقوق تمتع بعض المعتدين بما أكلوا بالباطل، فينسى علم الله تعالى بحقيقة حالهم، ووعيده لأمثالهم فيظن أنهم بمفازة من العذاب، فيتجرأ علىمثل ما تجرؤا عليه من الاعتداء، ولا يغرن المعتدي نفسه، تأخر نزول الوعيد به، فيتمادى في المعصية بدلا من المبادرة إلى التوبة، لا يغرن هذا ولا ذاك تأخير العقوبة، فإنه إمهال يقتضيه الحلم، لا إهمال من العجز أو عدم العلم، وفائدة المذنب من حلم الحليم القادر أنه يترك له وقتا للتوبة والإنابة بالتأمل في بشاعة الذنب وسوء عاقبته، فإذا أصر المذنب على ذنبه، ولم يبق للحلم فائدة في إصلاح شأنه، يوشك أن يكون عقاب الحليم له أشد من عقاب السفيه على البادرة عند حدوثها"[1].

فلابد العاقل أن يعمل بوصية الله تعالى، فهو عليم بمصلحة عباده، ويأخذ بأحكامه فهو خير مشرع لهم، ويلزم نفسه بالعمل بتلك الأحكام فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإن لم يعجل العقاب، فهو حليم يترك الفرصة لعبده ليراجع نفسه ويتوب بتنفيذ الوصايا وتسديد ديون الموروث، وإعطاء كل ذي حق حقه من التركة.

من خلال وصية الميراث أخلص إلى ما يلي:

- إن الوصية اهتمت بالحفاظ على مال المرأة فجعلها شريكة للذكر في أصل الميراث بعدما كانت لا ترث في الجاهلية.

- اهتمت الوصية بالحفاظ وتحسين العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة فأبعدت كل مجال للخصومات في شأن تقسيم التركة.

---

1 -رشيد رضا :تفسير القرآن الحكيم ، ج4، ص426، 427.

- راعت الوصية مسؤولية الأفراد وطريقة إنفاقهم، فضعفت حظ الذكر لكثرة إنفاقه.

- تقديم الأولاد في التركة على الوالدين حسب الحاجة إلى التركة.- تكرر قوله تعالى:" {مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ}[1] دليل على أهمية تنفيذ الوصية وتسديد ديونه قبل تقسيم التركة.

1 - النساء: 11، 12.

من خلال المضمون الاجتماعي للوصية تبين لي أن الوصية اهتمت اهتماما بالغا بالفرد والمجتمع من جميع الجوانب، فحرصت على دفع كل أنواع الظلم التي يمكن أن تقع بين أفراد المجتمع كالتعدي على حرمة النفس، فنهت عن قتل النفس بغير حق، وحافظت على النوع البشري من الضياع، فنهت عن قتل الولد ، وحددت العلاقة التي يجب أن تربط أفراد المجتمع فيما بينهم ، فأوجبت الرقة والعطف والرحمة خاصة تجاه أضعف الفئات كاليتيم الذي حرصت على الحفاظ على ماله، ونهت عن اقتراف الآثام والفواحش التي من شأنها تحطيم المجتمعات وإفسادها.

المبحث الرابع:مضمون العبادات:

المطلب الأول : الوصية بالصلاة.

أوصى الله عز وجل عباده بالصلاة، فقال على لسان لقمان عليه السلام:{ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }1، وقال على لسان عيسى بن مريم عليه السلام:{ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }[2].

- ما مفهوم الصلاة لغة؟ وما مفهوم إقامتهااصطلاحا؟
- لماذا خص الله الصلاة بالوصية؟
- ما هي صفات المخلين بوصية الصلاة؟
- ما هي مواصفات العاملين بوصية الصلاة؟ وما فضل العمل بهذه الوصية؟

أولا- مفهوم الصلاة لغة:

تأتي الصلاة في معاجم اللغة بالمعاني التالية:

الصلاة: قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء والتبرك والتمجيد، صليت عليه: أي دعوت له، وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق: تزكيته إياهم، قال:{ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ }[3]، ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار، كما هي من الناس، قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ }[4]والصلاة: هي العبادة المخصوصة، أصلها الدعاء، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه، والصلاة من العبادات التي لم تنفك شريعة منها، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع، لذلك قال:{ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً }[5].

وقال بعضهم: أصل الصلاة من الصلى، قال:ومعنى صلى الرجل: أي أنه ذاد وأزال عن نفسه بهذه العبادة الصلى الذي هو نار الله الموقدة، وبناء صلى كبناء مرّض لإزالة المرض، وسمي موضع العبادة الصلاة، ولذلك سميت الكنائس صلوات، كقوله تعالى:{ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ }[6].

1- لقمان: 17.

2- مريم: 31.

3- البقرة: 157.

4- الأحزاب: 56.

5- النساء: 103.

6- الحج: 40.

والصلاة: الركوع والسجود،والصلاة: الدعاء والاستغفار، وصلاة الله على رسوله رحمته له، وحسن ثنائه عليه، فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سميت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار"[1].

تأتي الصلاة في اللغة بمعنى: الدعاء والاستغفار، وسميت العبادة بالصلاة باعتبار بعض ما تتضمنه: "الدعاء".

وهناك من قال بأن أصل الصلاة من الصلى، أي: اتقاء نار جهنم.

والمعنى الأول أرجح عند العلماء وأهل اللغة.

ثانيا- مفهوم إقامة الصلاة:

معنى إقامة الصلاة عند الزمخشري: تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها، من: أقام العود: إذا قومه أي: الدوام عليها، والمحافظة عليها، كما قال عز وعلا:{ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ }[2]،{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}[3] "[4].

وقال الراغب الأصفهاني:" كل موضع مدح الله تعالى بفعل الصلاة، أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة نحو:{ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ }[5]، ولم يقل المصلين إلا في المنافقين، نحو قوله:{ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ {4} الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ }[6]، وإنما خص لفظ الإقامة تنبيها إلى أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها لا الإتيان بهيأتها فقط "[7].

أما مفهوم الصلاة في اصطلاح الفقهاء فهي: عبادة ذات أقوال وأفعال، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة، لقوله صلى الله عليه وسلم:" مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها السلام"[8].

1-ابن منظور : لسان العرب المحيط، ج2، ص469.

2- المعارج: 23.

3- المعارج: 34.

4-الزمخشري: الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1،ص129.

5- النساء: 162.

6- الماعون: 4، 5.

7- الراغب الأصفهاني :مفردات ألفاظ القرآن ، ص491.

8-أخرجه ابن ماجه ،كتاب الطهارة وسننها ،باب مفتاح الصلاة الطهور ،ح(275 ،276)والدارمي ،كتاب الصلاة والطهارة

- من التعريفات نستنتج أن إقامة الصلاة هي: الإتيان بأركانها وفرائضها وسننها وآدابها، مع الدوام والمحافظة عليها، فإذا استوفت حقوقها وشرائطها سمي فاعلها مقيما، ومن أخذ ببعضها سمي مصليا.

ثالثا- التوصية بالصلاة:

وصى الله أنبياءه ورسله بإقام الصلاة فقال:{ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ }[1]، وقال في سياق الكلام عن سيدنا إسماعيل:{ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً }[2].

فالصلاة قرينة الإيمان، وعماد الدين، من أقامها أقام الدين، ومن ضيعها لم يقبل له عمل صالح، وهو في الآخرة في الجحيم، وهي أعظم شعيرة دينية، كل الفرائض فرضها الله تعالى في الأرض ماعدا الصلاة، فقد فرضها في السماء، وقد خصها بالوصية في كتابه العزيز، يقول بيوض:" فهنالك في ذلك المكان الأسمى الذي يعلمه الله تعالى، والذي لم يصله جبريل عليه السلام، فرض الله تعالى على نبيه الصلوات المكتوبة، وهذا وحده يدل على مقام الصلاة عند الله وشأنها العظيم، فخيرها كثير لمن حافظ عليها، وشرها كبير على من ضيعها، فإما ربح لا يقدر، وإما خسارة لا توصف..."[3].

فصفات المخلين بوصية الصلاة أنهم مضيعون للأمانات جازعون إذا ما أصيبوا بمصيبة، مانعون غيرهم من النعم التي أنعم الله عز وجل عليهم، قال تعالى:{ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً {21} إِلَّا الْمُصَلِّينَ {22} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}[4].

أما عن صفات العاملين بوصية الصلاة، فإنهم للأمانات حافظون، وإن أصابتهم مصيبة صبروا عليها، وإن أصابتهم نعمة من الله تعالى، شكروا الله عليها، ولم يمنعوا غيرهم منها،" فالذي يعدل سلوك الإنسان ويثبته على الصراط المستقيم في حال السراء والضراء، أو العز والذل هو الصلاة، فالمصلون هم الثابتون دائما، ليس المصلون فقط، وإنما المصلون الذين هم على صلاتهم دائمون، لأن ذلك الدوام على الصلاة هو الذي يجعل المرء يتفكر دائما في الله، وأن كل شيء إنما هو بقضاء وقدر، وأن المصيبة التي أصابته

،باب مفتاح الصلاة طهور .

1- الأنبياء: 73.

2- مريم: 55.

3- في رحاب القرآن، ج11، ص278.

4- المعارج: 19، 23.

لاتدوم، والخير الذي ناله لايدوم كذلك، وهكذا يستمر ساعيا في الخير دائما"[1].

- أما عن فضل العمل بوصية الصلاة، فقد اعتبرها الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال:" الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين"، قلت: ثم أي؟قال:" الجهاد في سبيل الله"[2].

ويدل دوامها واستمرارها على فضلها، فلا توجد عبادة تؤدى كالصلاة خمس مرات في اليوم، وهي أول ركن في الإسلام بعد الشهادة.

ونستنتج فضلها من تفسير النيسابوري لسورة الفاتحة، حيث يقول:" بقولك" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" تدفع العجب عن نفسك، وفي هذا المقام يفتح لك أحد أبواب الجنة وهو باب المعرفة، وبقولك:" بسم الله الرحمن الرحيم" ، يفتح لك باب الذكر، وبقولك:" الحمد لله رب العالمين" يفتح لك باب الشكر، وبقولك:" الرحمن الرحيم" يفتح لك باب الرجاء، وبقولك:" مالك يوم الدين" يفتح لك باب الخوف من الله وخشيته، وبقولك:" إياك نعبد وإياك نستعين" يفتح لك باب الإخلاص، وبقولك:" اهدنا الصراط المستقيم" يفتح لك باب الدعاء، وبقولك:" صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" يفتح لك باب الاقتداء بالأرواح الطيبة والاهتداء بأنوارهم، فجنات المعارف الربانية انفتحت لك أبوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية"[3]

من خلال وصية الصلاة أخلص إلى ما يلي:

- أن الله عز وجل أوصى بها في كتابه العزيز مرتين، وذلك لعظم شأنها.
- أوصى الله عز وجل بها في كل دين وملة.
- من عمل بوصية الصلاة فقد أقام الدين، ومن ضيعها لم يقبل له عمل.
- من صفات العاملين بوصية الصلاة أنهم حافظون للأمانات صابرون على المصائب، شاكون على

1-بيوض: في رحاب القرآن، ج11، ص287.

2-أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ،ح(85) وأخرجه البخاري ،كتاب الأدب ،باب البر والصلة وقول الله تعالى :{ ووصينا الإنسان بوالديه حسنا}،ح(5970).وأخرجه أحمد،مسند المكثرين ، باب مسند عبد الله بن مسعود،ح(4186).

3- النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج1،ص219-220..

النعم، غير مانعين غيرهم منها.

- صفات المخلين بوصية الصلاة: خيانة الأمانات، الجزع، ومنع غيرهم من نعم الله تعالى التي أنعمها عليهم.
- فضل العمل بها عظيم، فهي أفضل الأعمال وبها يفرق بين الإيمان والكفر.

المطلب الثاني:وصية الزكاة

أوصانا الله عز وجل بإيتاء الزكاة فقال على لسان عيسى بن مريم عليه السلام:{ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }[1]، فما الفرق بين الزكاة في الإسلام والزكاة في الشرائع السماوية الأخرى؟

لم تخل دعوة نبي من الأنبياء من الزكاة، قال تعالى:{ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}[2]، وقال:{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً {54} وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً }[3]، وقال في شأن أهل الكتاب عموما:
{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[4].
كما جعلها الله تعالى إحدى أسس الإسلام فقال:{ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ}[5]،و أثنى الله تعالى على فاعليها فقال:{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـــاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ}[6].
كما شدد الله تعالى الوعيد على مانعيها فقال:{ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {6} الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ }[7].
وتؤخذ من مانعيها قهرا كما يغرم بغرامة مالية، كما أوجب الإسلام قتال مانعي الزكاة.
والزكاة في الإسلام تختلف عما دعت إليه الشرائع السابقة من الإحسان إلى الفقراء ورعاية الضعيف، فهي ركن أساسي من الأركان التي لا يقوم الدين إلا بها، وهي حق ثابت معلوم للفقراء في أموال الأغنياء، وقد بين الدكتور: يوسف القرضاوي عشر فروق بين الزكاة في الإسلام وغيره من الشرائع السماوية الأخرى فقال:" أولا: إن الزكاة الإسلامية لم تكن مجرد عمل طيب من أعمال البر وخلة من خلال الخير، بل هي ركن أساسي من أركان الإسلام وشعيرة من شعائره الكبرى، وعبادة من عباداته الأربع، يوصم بالفسق من منعها، ويحكم بالكفر على من أنكر وجوبها، فليست إحسانا اختياريا، ولا

1- مريم: 31.
2- الأنبياء:73.
3- مريم: 54، 55.
4- البينة: 5.
5- البقرة: 43.
6- الأعراف: 156، 157.
7- فصلت: 6، 7.

صدقة تطوعية، وإنما هي فريضة تتمتع بأعلى درجات الإلزام الخلقي والشرعي.

ثانيا: إنها في نظر الإسلام حق للفقراء في أموال الأغنياء، وهو حق قرره مالك المال الحقيقي وهو الله تعالى، وفرضه على من استخلفهم من عباده فيه، فليس فيها معنى من معاني التفضل والامتنان من الغني على الفقير.

ثالثا: إنها "حق معلوم" قدر الشرع الإسلامي نُصبه ومقاديره وحدوده وشروطه، ووقت أدائه وطريقة أدائه.

رابعا: هذا الحق لم يوكل لضمائر الأفراد وحدها، وإنما حُملت الدولة المسلمة مسؤولية جبايتها بالعدل وتوزيعها بالحق، فهي ضريبة" تؤخذ" وليست تبرعا يمنح.

خامسا: إن من حق الدولة أن تؤدب كل من يمتنع من أداء هذه الفريضة.

سادسا: إن أي فئة ذات شوكة تتمرد على أداء هذه الفريضة، فإن من حق إمام المسلمين أن يقاتلهم ويعلن عليهم الحرب حتى يؤدوا حق الله وحق الفقراء في أموالهم.

سابعا: إن الفرد المسلم مطالب بأداء هذه الفريضة العظيمة وإقامة هذا الركن الأساسي في الإسلام، وإن فرطت الدولة في المطالبة بها، أو تقاعس المجتمع عن رعايتها.

ثامنا: أن حصيلة الزكاة حدد الإسلام مصارفها ومستحقيها.

تاسعا: إن هذه الزكاة لم تكن مجرد معونة وقتية، لسد حاجة عاجلة للفقير، وتخفيف شيء من بؤسه، بل كان هدفها القضاء على الفقر وإغناء الفقراء إغناء دائما.

عاشرا: إن الزكاة قد عملت لتحقيق عدة أهداف روحية وأخلاقية واجتماعية وسياسية"[1].

بهذا تميزت الزكاة في الإسلام عما جاءت به الشرائع الأخرى من جعلها خلة حسنة، غير واجبة ولا مقدرة، بل هي مستحبة لمن أراد أن يتبرع ويحسن، كما أنها ضريبة خالفت الضرائب والمكوس التي كان يفرضها الملوك والحكام على الفقراء لترد على الأغنياء.

والزكاة في الإسلام يؤديها العبد شكرا لله على نعمته، فلو شاء لضيق عليه الرزق وأحوجه إلى غيره.

من خلال وصية الزكاة أخلص إلى :

1- أن الزكاة في العهد المكي كانت مطلقة غير محددة المقادير ولا مخصصة المصارف، فهي عبارة عن وصايا توجيهية موكولة إلى ضمائر الأفراد وإلى إيمانهم، وقد شابهت في ذلك الزكاة في الشرائع السماوية

1- فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، ط: 20، 1408هـ، 1988م، ج1،ص99، 100، 101.

السابقة.

- أن الوصايا عنت بالمجتمع عموما، وبالفئات الضعيفة خصوصا، فعالجت مشكلة الفقر والحاجة.
- أنها عملت لتحقيق أهداف روحية وأخلاقية واجتماعية وسياسية وإنسانية فعددت ونوعت مصارفها.

2- الزكاة في العهد المدني حددت مقاديرها وشروط وجوبها ومصارفها، وشدد في أدائها.

من خلال مضمون العبادات أستنتج ما يلي:

أن العبادات التي أوصى الله عزو جل بها في كتابه الكريم هما :عبادة الصلاة وعبادة الزكاة.

ولعظم شأن الصلاة أوصى الله تعالى بها مرتين،مرة على لسان لقمان عليه السلام في قوله تعالى:{ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }[1] ،والمرة الثانية على لسان عيسى عليه السلام في قوله تعالى:{ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }[2].

وقد أوصى الله عز وجل بها في كل ملة وجعلها عماد الدين فمن أقامها أقام الدين ومن ضيعها كان لسواها أضيع، فكيف لمن ضيع أمانة الله أن يحفظ أمانة الناس؟

فصفات المخلين بوصية الصلاة أنهم مضيعون للأمانات، جازعون إذا أصابتهم مصيبة، مانعون غيرهم من النعم التي أنعم الله عليهم .

أما العاملون بوصية الصلاة فهم حافظون للأمانات صابرون لما أصابهم، شاكرون لنعم الله تعالى، غير مانعين غيرهم منها .

فضل العمل بوصية الصلاة عظيم فقد اعتبرها الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل وأحب الأعمال إلى الله تعالى ،ويظهر ذلك في دوامها واستمرارها.

أما وصية الزكاة فقد وردت الوصية بها مرة واحدة في القرآن الكريم، على لسان عيسى بن مريم ،في قوله تعالى:{ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }[3].

والزكاة في الإسلام تختلف عما جاءت به الشرائع الأخرى ؛ فهي ركن أساسي من أركانه، أما في الشرائع الأخرى فهي عبارة عن إحسان إلى الفقراء.

---

1 -لقمان :17.

2 -مريم :31.

3 -مريم :31.

الفصل الثالث: أهداف وصايا القرآن الكريم.

المبحث الأول: أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد.

المبحث الثاني : أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمع.

المبحث الأول: أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد.

توطئة:

شرع الله عز وجل وصايا القرآن الكريم، وقد جاءت متضمنة لجملة من الأهداف، من بينها ما يرمي إلى إصلاح أحوال الفرد في العاجل والأجل.

فقد اهتمت بإصلاح حاله من جميع جوانب حياته، فبدأت بإصلاح مبدأ تفكيره وكان ذلك عن طريق إصلاح عقيدته، ثم عنت بإصلاح محرك الإنسان وهو نفسه، فإذا صلحت اهتمت بإصلاح أخلاقه، لتجعل منه فردا صالحا في مجتمعه، ومن ثم عملت على حفظ جميع حقوقه المالية.

فوصايا القرآن الكريم تهدف إلى إصلاح أحوال الفرد إصلاحا كليا، فإذا هو عمل بها استقامت حياته وصلح حاله وحسن مآله.

وفي هذا المبحث بمشيئة الله تعالى نتعرف على جملة الأهداف التي سعت وصايا القرآن الكريم لتحقيقها من أجل إصلاح أحوال الفرد، وتشمل:

1- وصايا تهدف إلى إصلاح العقائد.

2- وصايا تهدف إلى إصلاح الأخلاق.

3- وصايا تهدف إلى إصلاح اجتماعي ونفسي.

4- وصايا تهدف إلى حفظ الحقوق المالية.

المطلب الأول: إصلاح العقائد.

إن موضوع وصايا القرآن الكريم موضوع منثور عبر السور المكية والمدنية، فكانت أهدافه تتعلق بالعقيدة تارة، وبالشريعة أخرى:" فالقرآن الكريم له هدفان رئيسان أو عامان: هدف عقدي ترتكز عليه السورة المكية، وهدف تشريعي ترتكز عليه السورة المدنية"[1].

غير أن هذان الهدفان تنبثق وتندرج ضمنهما أهداف جزئية ترمي إليها، وهي متكاملة يخدم بعضها بعضا، من أجل الوصول إلى تحقيق الهدف الرئيس.

وقد جاءت وصايا القرآن الكريم من أجل إصلاح أحوال أفراد الأمة، فبدأت بإصلاح العقائد والدين، فدعت إلى ضرورة معرفة كل فرد للحق ثم اتباعه قال تعالى:{ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[2].

يقول الزمخشري مفسرا كلمة" الحق":" الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة"[3] .

ولما كان الحق هو الخير كله للفرد وكان من مقتضياته توحيد الله عز وجل دعت الوصية إلى عبودية الله تعالى والإيمان به، ونهت عن الشرك، قال تعالى:{ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً}[4]،وقال:{ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[5].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(661-728 هـ):" فإن الإنسان خلق محتاجا إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ونفسه مريدة دائما، ولا بد لها من مراد يكون غاية مطلوبها لتسكن إليه، وتطمئن به، وليس ذلك إلا لله وحده، فلا تطمئن القلوب إلا به، ولا تسكن النفوس إلا إليه، و{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}[6]، فكل مألوه سواه يحصل به الفساد، ولا يحصل صلاح القلوب إلا بعبادة الله وحده لا شريك له"[7].

فالإصلاح في الأرض والإفساد فيها مرهون بالإيمان بالله وعبادته وطاعته، وهو أصل الإصلاح.

---

1 – زكية محمد خالد أحمد، التشابك القصصي في سورة الكهف، دراسة في الموضوع والبناء، ص: 138، 139.

2 – العصر: 3.

3 – الزمخشري:الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص282.

4 – الأنعام: 151.

5 – لقمان: 13.

6 – الأنبياء: 22.

7 – أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد، ج 1، ص55.

فالوصية باتباع الحق والنهي عن الشرك تهدف إلى إصلاح تفكير الفرد الذي يؤدي إلى إصلاح اعتقاده، يقول محمد الطاهر بن عاشور:" فقد انتظم لنا الآن أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان، ودفع فساده فإنه لما كان هو المهيمن على هذا العالم كان في صلاحه صلاح العالم وأحواله، ولذلك نرى الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعه وهو النوع كله، فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم"[1].

فبإصلاح اعتقاد الفرد يصلح تفكيره وحاله وتستقيم حياته، ولا يتحقق الهدف العقدي إلا بالانتهاء عن الشرك، فالنهي عن الشرك هو القاعدة الأساسية التي تنبني عليها العقيدة، وما سواها من التكاليف والفرائض يرجع إليها ويستمد منها، يقول سيد قطب مفسرا قوله تعالى:{ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً }[2]:" القاعدة التي يقوم عليها بناء العقيدة، وترجع إليها التكاليف والفرائض، وتستمد منها الحقوق والواجبات..القاعدة التي يجب أن تقوم أولا قبل الدخول في الأوامر والنواهي، وقبل الدخول في التكاليف والفرائض، وقبل الدخول في النظام والأوضاع، وقبل الدخول في الشرائع والأحكام: يجب ابتداء أن يعترف الناس بربوبية الله وحده لهم في حياتهم كما يعترفون بألوهيته وحده، في عقيدتهم لا يشركون معه أحدا في ألوهيته، ولا يشركون معه أحدا في ربوبيته كذلك، يعترفون له بأنه المتصرف في شؤون هذا الكون في عالم الأسباب والأقدار، ويعترفون له وحده بأنه المتصرف في حسابهم وجزائهم يوم الدين، ويعترفون له وحده بأنه هو المتصرف في شؤون العباد في عالم الحكم والشريعة كلها سواء"[3].

ومن أجل تحقيق الهدف العقدي جاءت وصايا القرآن الكريم داعية إلى ضرورة معرفة الأفراد للصبر والثبات عليه من أجل الحفاظ على الدين، فالصبر عنصر ضروري لإيمان الفرد، ولتواصي الجماعة، قال تعالى:{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[4]، فلا يمكن أن يتواصى بالصبر من ليس صابرا،" إذ قل أن يقدم أحد على أمر بحق هو لا يفعله، أو بأمر بصبر وهو ذو جزع"[5].

---

1 - محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص64.

2 - الأنعام: 151.

3 -قطب : في ظلال القرآن، ج3، ص1229.

4 - العصر: 03.

5 - ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج30،ص534 .

وعملت وصايا القرآن الكريم على إصلاح عقائد الأفراد بحفظ دينهم وإقامته، والنهي عن التفرق فيه، قال تعالى:{ وَأَنَّ هَـــذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[1] .يقول سيد قطب:" إنه صراط واحد – صراط الله- وسبيل واحدة تؤدي إلى الله..أن يفرد الناس الله- سبحانه- بالربوبية ويدينوا له وحده بالعبودية، وأن يعلموا أن الحاكمية لله وحده، وأن يدينوا لهذه الحاكمية في حياتهم الواقعية..هذا هو صراط الله وهذا هو سبيله..وليس وراءه إلا السبل التي تتفرق بمن يسلكونها عن سبيله"[2].

فطريق الله عز وجل طريق واحدة، وهي التي توصل سالكها إلى الفلاح في العاجل و الآجل،عبر الإيمان به وتوحيده والخضوع له، وما سواها سبل متفرقة، فعن عبد الله بن مسعود،قال:" خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ:{ وَأَنَّ هَـــذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}[3] "[4] ولحفظ الدين واتباع الصراط المستقيم لا بد من أداء العبادات، والصلاة والزكاة من أهم العبادات التي يقيم الفرد دينه بأدائها، فجاءت الوصية تدعو إليها، قال تعالى:{ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }[5]. والعبادة:" تعتبر جزءا أساسيا لا بد منه لقيام الدين، وكماله،والمحافظة عليه لأنه يشمل باطن الإنسان وظاهره، وهو يوجد بالتصديق والاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان والكون،وهذاخضوع باطني،والعبادة خضوع ظاهري يلي ذلك الاعتراف، ويكون أمارة تدل على حصوله في القلب، وهذا الخضوع الظاهري ينقل العقيدة من حيز الفكر المجرد إلى حيز القلب الذي يحس ويشعر، فتصير العقيدة قوة دافعة لها حرارتها، ولها نورها"[6].

والعبادة مظهر ظاهري يأتي بعد الإيمان والتصديق بوجود الله تعالى، فهي تنقل العبد من حالة فكرية إلى حالة عملية، وتجعل القلب المقتنع بوجود الله يحس ويشعر وهي:" تابعة للتوحيد في كل دين جاء من عند الله ومع ذلك مكملة للإيمان بالله وأصولها مشتركة بين جميع الأنبياء والمرسلين كاشتراكهم في التوحيد ، لأن التوحيد بالله وعبادته لا يتغيران ،وإن حصل تغير في العبادة من حيث كيفية أداء العبادة المتمثلة في

---

1 - الأنعام: 153.

2 - قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص1234.

3 - الأنعام: 153.

4 -سبق تخريجه ص92.

5 - مريم: 31.

6 - يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار الحديث بالقاهرة، الدار التونسية بالخرطوم، ص 234.

الشعائرالدينية"[1].

قال تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }[2]، فالدين الذي أوصى الله عز وجل به ونهى عن التفرق فيه واحد وأصوله ثابتة دعا إليها كل الأنبياء والرسل، المتمثلة في التوحيد والعبادة، مع الاختلاف في طرائق الأداء.

والصلاة عبادة أوصت بها جميع شرائع الرسل، فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتجعل الإنسان في صلة دائمة بخالقه، قال تعالى:{ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ}[3]،" وهي تقوي نور الإيمان في القلب، وتصونه من الركام ودنس الفواحش"[4]،" و الصلاة من أعظم شعائر الإسلام التي يطلب أداؤها جماعة، وهـــي أول ركن من أركان الإسلام، وهي عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن ضيعها فهو لسواهاأضيع "[5].

وللصلاة مقصد أصلي وهو الخضوع لله والذلة له، يقول الشاطبي:" فالصلاة مثلا أصل مشروعيتها الخضوع لله سبحانه ،بإخلاص التوجه إليه والانتصاب على قدم الذلة و الصغار بين يديه وتذكير النفس بالذكرله"[6].

ثم إن لها مقاصد تابعة:" كالنهي عن الفحشاء والمنكر و الاستراحة إليها من أنكاد الدنيا ،وطلب الرزق بها وإنجاح الحاجات كصلاة الاستخارة ،وصلاة الحاجة، وطلب الفوز بالجنة والنجاة من النار وهي الفائدة العامة الخالصة وكون المصلي في خفارة الله ،ونيل أشرف المنازل"[7].

أما الهدف من التوصية بالزكاة فلتطهير قلوب الأغنياء، وسد حاجة الفقراء، وتقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، يقول أبو حامد العالم:" وقد شرعت الزكاة لتطهير نفوس الأغنياء، وقلوب الفقراء، أما نفوس الأغنياء فتطهر من البخل والجشع والشح، وما يتبع ذلك من ألوان الحرمان والظلم، وأما الفقراء

---

1 - يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، ص 236.

2 - الشورى، 13.

3 - العنكبوت: 45.

4 -ابن عاشور: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص238.

5 -المصدر نفسه.

6 - أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ط: 1425هـــ، 2004م، ج2، ص297.

7 - المصدر نفسه، ص 297، بتصرف.

فتطهر قلوبهم من الحقد والحسد والغل الذي يتولد بسبب الحرمان مع وطأة الحاجة، وما يتبع ذلك من أفعال ظاهرية قد تلحق الضرر بالأغنياء، وبهذه الفريضة انتزع الإسلام الغل من قلوب المؤمنين، وباعد بينهم وبين تلك الأمراض النفسية والقلبية وما يتبعها من أنواع أخرى، وسلامة النفوس والقلوب من ذلك ضروري لحياة الجماعات والأمم، ونحن نرى أفاعيل تلك الأمراض في تقلبات عالمنا الحاضر، ولا ينعم مجتمع بهذه الحياة إلابسلامة أفراده من تلك الأمراض"[1].والزكاة عبادة مالية، تؤدى شكرا للمنعم في العاجل، ورغبة في الأجر في الآجل وتعتبر" مصلحة ضرورية لحياة الناس، وركنا أساسيا من أركان الدين، لأن الدين وضعه الله لتحقيق مصالح الدنيا والآخرة"[2].

بهذا تكون الوصية قد حققت أهدافا ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد بإصلاح دينه وعقائده، وذلك بالتوصية بتوحيد الله عز وجل والإيمان به، والنهي عن الشرك، والتوصية بإقامة دينه واتباع صراطه المستقيم، والتواصي بالحق وأداء العبادات.

المطلب الثاني: إصلاح الأخلاق:

عملت وصايا القرآن الكريم على إصلاح حال الفرد من الناحية الأخلاقية، فأمرت بالتحلي بكل فضيلة،

1 - المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص242، 243.

2 - المصدر نفسه، ص 243.

ونهت عن اقتراف كل رذيلة" فالجري على هذه المكارم وتلك المحاسن لهو من أوضح العلامات وأبلغ الدلالات على أن الشرع الإسلامي يقصد إلى ربط صلاح الدنيا بصلاح الآخرة، فهذه الشمائل والقيم هي جوهر دعوة الإسلام الإصلاحية"[1].

فدعوة وصايا القرآن الكريم إلى التحلي بمحاسن الأخلاق والنهي عن رذائلها خير دليل على حرصها على إصلاح أخلاق الفرد، وبصلاحها تصلح دنياه وأخراه.

ومن أجل إصلاح أخلاق الفرد بينت وصايا القرآن الكريم طرق نيل الفضيلة فأمرت بالتواصي بالصبر، قال تعالى:{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[2].

" والتخلق بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلها فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليه حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها"[3].

أكثر الأخلاق الحميدة نابعة من الصبر، لأن فيه مخالفة النفس لشهواتها، والتحكم فيها وثباتها أمام ما لا تحب، فهو خلق يكسب صاحبه قوة الإرادة، فيجعله يثبت أمام القوتين اللتين من شأنهما تضعيف النفوس: القوة الشهوية والقوة الغضبية، يقول محمد الطاهر بن عاشور:" ومعظم الفضائل ملاكها الصبر إذ الفضائل تنبعث عن مكارم الخلال، والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة، وكبح زمام النفس عن الإسامة في شهواتها بإرجاع القوتين الشهوية والغضبية عما لا يفيد كمالا، أو عما يورث نقصانا، فكان الصبر ملاك الفضائل فما التحلم والتكرم والتعلم والتقوى والشجاعة والعدل والعمل في الأرض ونحوها إلا ضروب الصبر"[4].

ولما كانت التقوى أم مكارم الأخلاق دعت وصايا القرآن الكريم إلى التخلق بها، قال تعالى:{ وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً }[5].

والتقوى فضيلة تحكم العلاقة بين الإنسان والخلق في حدود المساواة والعدل، وتحكم العلاقة بينه وبين

---

1 -كامل: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، ج1، ص 471.

2 - العصر: 03.

3 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج30، ص533.

4 - المصدر نفسه، ج1، ص478.

5 - النساء: 131.

خالقه، فالتقي لا يضر نفسه ولا غيره، والتقوى" هي مصدر النية في المؤمنين بالله، فإذا اعتدوا ظالمين، ولم يحتجزوا من أهوائهم وشهواتهم التي لا تألوهم خبالا تنفك متطلعة منازعة، فإنما ينصرفون بذلك عن الله، ويغمضون في تقواه، ويترخصون في زجره ووعيده، فكأنهم لا يبالونه ما بالوا أمر أنفسهم، وكأن ضمير أحدهم إذا لم يحفل بتقوى الله لا يحفل بالله نفسه"[1].

وانعدام خلق التقوى يؤدي إلى فساد صاحبه، وإلى فساد غيره، لأنه قد أباح لنفسه جميع الرذائل، يقول الشرباصي:" فالمحروم من التقوى يستبيح لنفسه الادعاء والكذب والنفاق، ويستبيح لنفسه التوسع في الإفساد وعمل الشر، إذا نصحه مذَكِّر بأن يتقي الله تعالى تكبر وتجبر، فلننظر إلى القرآن الكريم وهو يقول في سورة البقرة:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ {204} وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ{205} وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ {206} وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ }[2].

ومن أجل إصلاح أخلاق الأفراد جاءت وصايا القرآن الكريم آمرة بالإحسان إلى الوالدين، ناهية عن الإساءة إليهما، قال تعالى:{ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً }[3]، فالوالدان هما سبب الوجود، وهما ابتدءا ابنهما بالإحسان والرحمة واللطف، من غير أن ينتظرا جزاء منه، يقول عبد الحميد ابن باديس(1308-1359):" الله هو الخالق، والوالدان- بوضع الله- هما السبب المباشر في التخليق، والله هو المبتدئ بالنعم عن غير سابق، وهما يبتدئان بالإحسان من غير إحسان تقدم، والله يرحم ويلطف وهو الغني عن مخلوقاته وهم الفقراء إليه، وهما يكنفان بالرحمة واللطف الولد وهما في غنى عنه وهو في افتقار إليهما، والله يوالي إحسانه ولا يطلب الجزاء، وهما يبالغان في الإحسان دون تحصيل الجزاء، فلهذه الحالة التي خصهما الله بها وأعانهما بالفطرة عليها قرن ذكرهما بذكره، فلما أمر بعبادته أمر بالإحسان إليهما ....ثم زاد هذا الحكم وهذا الأمر تقريرا بلفظ التوصية بهما في قوله

---

1 - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1: 1421هـ، 2000م، ص85.

2 - البقرة: 204، 205،206، 207.

3 - الأنعام: 151.

تعالى:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً}[1]، ليحفظ حكم الله وأمره فيهما، ولا يضيع شيء من حقوقهما، فكان حقهما بهذه الوصاية أمانة خاصة، ووديعة من الله عظيمة عند ولدهما، وكفى بهذا داعيا إلى الغاية بهذه الأمانة وحفظها وصيانتها"[2].

وإحسان الوالدين لولدهما إحسان ابتداء وفضل، أما إحسانه لوالديه فهو جزاء وشكر، ولا يتساوى إحسان الابتداء والفضل مع إحسان الجزاء والشكر، لسبق الأول في الثبوت دون انتظار جزاء، يقول ابن باديس:" ومن الإحسان ما يكون ابتداء وفضلا، ومنه ما يكون جزاء وشكرا، فعليه أن يعلم أن كل إحسانه هو شكر لهما على سابق إحسانهما الذي لا يمكنه أن يكافئه بمثله لثبوت فضيلة سبقه"[3].

وقد بين محمد الطاهر بن عاشور المقصد من الأمر ببر الوالدين فقال:" ... وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلقا بأخلاق الباري تعالى في اسمه الشكور، فكما أمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق، أمر بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصوري، ونعمة التربية والرحمة، وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها وتنبيه على المنافسة في إسدائها"[4].

فمقصد الإسلام من الأمر ببر الوالدين مقصد أخلاقي من أجل تربية الأفراد على شكر المحسن إليهم، لأنه من شكر الله على نعمة الخلق، وشكر والديه على نعمة الإيجاد والتربية والعطف شكر غيره واعترف لهم بالفضل، ونافس في التخلق بمكارم الأخلاق" وإن من راض نفسه على هذه الأخلاق الكريمة والمعاملة الحسنة، والأقوال الطيبة التي أمر بها مع والديه يحصل له من الارتياض عليها كمال أخلاقي مع الناس أجمعين، وكان ذلك من ثمرات امتثال الله وطاعة الوالدين"[5].

ومن أجل إصلاح أخلاق الأفراد دعت وصايا القرآن الكريم إلى العدل ونهت عن الجور والظلم والباطل، سواء في القول أو في الفعل، قال تعالى:{ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَاوَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى }[6].

والعدل في الفعل يكون بإيفاء المكيلات والموزونات، أما الظلم فيكون بالتطفيف فيهما، وخلق الإيفاء يكسب صاحبه رضى الله عز وجل، وحب الناس له، وتحل البركة في ماله، في حين يكسب التطفيف

---

1 - العنكبوت: 08.

2 -ابن باديس :مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص87، 88.

3 - المصدر نفسه، ص88.

4 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج15، ص73.

5 -ابن باديس:المصدر السابق: ص94.

6 - الأنعام: 152.

المطفف غضب الله تعالى، وسخط الناس، وتترع البركة من ماله، يقول ابن عاشور:" أن النظر إذا جال في منافع التطفيف في الكيل والوزن، وفي مضار الإيفاء فيهما ثم عاد ثم جال في مضار التطفيف ومنافع الإيفاء استقر وآل إلى أن الإيفاء بهما خير من التطفيف، لأن التطفيف يعود على المطفف باقتناء جزء قليل من المال ويكسبه الكراهية والذم عند الناس وغضب الله وسحت في ماله، مع احتقار نفسه في نفسه، والإيفاء بعكس ذلك يكسبه ميل الناس إليه، ورضى الله عنه، ورضاه عن نفسه، والبركة في ماله"[1].

وقد رغب الله تعالى في إيفاء الكيل فقال:{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[2].

" فالإيفاء أحسن عاقبة عاجلا في نفس الشخص، وأخلاقه وفي عرضه، وسمعته، وفي سلامته من المطالبات والمنازعات، وآجلا بحسن جزائه عند الله بما أعد للموفين من الأجر العظيم".[3]

أما العدل في القول فيكون بواسطة الكلام، بالصدق وقول الحق، وعدم الاعتداء على حقوق الغير، في كل الحالات، يقول ابن عاشور:" والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق بإبطالها أو إخفائها.....ومنه التزام الصدق في التعديل والتجريح، وإبداء النصيحة في المشاورة، وقول الحق في الصلح، وأما الشهادة والقضاء فأمر العدل فيهما ظاهر. وإذا وعد القائل لا يخلف وإذا أوصى لا يظلم أصحاب حقوق الميراث، ولا يحلف على الباطل وإذا مدح أحدا مدحه بما فيه، وأما الشتم فالإمساك عنه واجب ولو كان حقا، فذلك الإمساك هو العدل لأن الله أمر به"[4].

ومن أجل تحقيق الهدف الأخلاقي جاءت وصاية القرآن الكريم داعية الالتزام بخلق الوفاء بالعهود، قال تعالى:{ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }[5].

فالالتزام بهذا الخلق الكريم هو قيام بأعباء الدين، كما أن حياة الأفراد والجماعات مرهونة بالوفاء بعهود بعضهم لبعض، وهو شرط ضروري لحصول السعادتين، يقول ابن باديس:" عهد الله تعالى لعباده هو ما شرعه لهم من دينه فوفاؤهم بعهده قيام بأعباء ذلك الدين الكريم، وانتظام شؤونهم في هذه الحياة- أفرادا

---

1 -ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج15، ص99.

2 - الإسراء: 35.

3 -ابن باديس : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص128.

4 - ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج8، ص166، 167.

5 - الأنعام: 152.

وجماعات وأمما- متوقف على الوفاء من بعضهم لبعض بما بينهم من عهود: فالوفاء ضروري لنجاة العباد مع خالقهم، ولسلامتهم من الشرور والفوضى والفتن- وضروري- إذن لتحصيل سعادة الدنيا وسعادة الآخرة"[1].

وقد رغب الله تعالى في هذا الخلق الرفيع، ورهب من خيانته فقال:{ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }[2]

فالوفاء بالعهد " مطلوب في الفطرة، وفي الشريعة، فالعباد فطروا على استحسان الوفاء، ومطالبة بعضهم بعضا به، والشرع طالبهم بالوفاء، وشرعه لهم ووعدهم الثواب عليه"[3].

ولتحقيق الهدف الأخلاقي دعت وصايا القرآن الكريم إلى الأمر بالمعروف، ونهت عن المنكر وعن التكبر،" لقد هيأ الإسلام بأحكامه جوا تتفرخ فيه مكارم الخلال ومحاسن الأعمال، هو جو من الطهر والعفاف والنقاء تحرصه شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحميه شعيرة الحسبة، والدعوة إلى الله لتكون أساسا للمعاملة بين الصغير والكبير، والغني والفقير، والولي والمولى، والراعي والرعية، وجعل الإسلام الدعوة إلى هذا الخير كله من المؤهلات التي استحقت به أمة الإسلام أن تكون خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ }[4] "[5].

فالأخلاق الفاضلة التي دعت إليها وصايا القرآن الكريم من شأنها أن تجعل الفرد يعيش في أمن وعزة وسعادة، وبها يصان الأمن، وتسنير النفوس.

وأصلحت وصايا القرآن الكريم حال الفرد من الناحية الأخلاقية فنهت عن كل رذيلة قال تعالى:{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {18} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }[6].

والمشي بمرح في الأرض ينشئ التكبر والعجب وهما أساس الرذائل، يقول ابن باديس:" فإذا أعجب المرء بنفسه عمى عن نقائصها فلا يسعى في إزالتها، ولهى عن الفضائل فلا يسعى في اكتسابها، فعاش ولا أخلاق له، مصدرا لكل شر، بعيدا عن كل خير، ومن العجب بالنفس ينشأ الكبر على الناس والاحتقار

1 -ابن باديس :مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص125.
2 - الإسراء:34.
3 -ابن باديس :المصدر السابق ، ص 126.
4 - آل عمران: 110.
5 -كامل: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، ج1، ص471.
6 - لقمان:18 - 19.

لهم،ومن احتقر الناس لم ير لهم حقا، و لم يعتقد لهم حرمة و لم يراقب فيهم إلاًّ ولا ذمة، وكان عليهم مثل ما كان على نفسه- أظلم الظالمين-"[1]

فلإصلاح أخلاق الفرد لا بد له أولا أن يتخلى ويترك الأخلاق الذميمة وكل الرذائل ومن ثم يتحلى بمكارم الأخلاق،ولما كان التكبر أساس الرذائل كلها عملت وصايا القرآن الكريم على نبذه و النهي عن التخلق به، فإذا اتصف الفرد بالتكبر منعه اكتساب الفضائل، فلا يمكن أن يجمع بين الكبر والأخلاق الحميدة في آن، لذا يقول ابن باديس:" تربية النفوس تكون بالتخلية عن الرذائل ، والتحلية بالفضائل، والعجب هو أساس الرذائل، فأول الترك تركه، وهو المانع من اكتساب الفضائل، فشرط وجودها تركه كذلك، ومن لم يكن معجبا بنفسه، كان بمدرجة التخلق بمحاسن الأخلاق، والتتره عن نقائصها، لأن الإنسان مجبول على محبة الكمال، وكراهة النقص، فإذا سلم من العجب، فإن تلك الجبلة تدعوه إلى ذلك التخلق والتتره، فإذا نبه على نقصه لم تأخذه العزة، وإذا رغب في الكمال كانت له إليه هزة، فلا يزال بين التذكيرات الإلهية، والجبلة الإنسانية الخلقية يتهذب، ويتشذب، حتى يبلغ له من كمال"[2].

فهدف وصايا القرآن الكريم توجيه الأفراد إلى معالي الأمور، واجتناب سفاسفها، فهي ترفع صاحبها مقاما محمودا بين الناس، ودرجة رفيعة عند خالقه.

1 -ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص151، 152.

2 - المصدر نفسه، ص152.

المطلب الثالث: إصلاح اجتماعي ونفسي.

من بين الأهداف التي شرعت الوصية من أجل تحقيقها إصلاح أحوال الفرد من الناحية الاجتماعية والنفسية، فقد عملت وصايا القرآن الكريم على قيام الأسر وصلاحها، وعلى استقامة المجتمعات وتماسكها فأمرت بالتواصي بالمرحمة قال تعالى:{ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ }[1].

فالتواصي بالمرحمة" أمر زائد على المرحمة، إنه إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي به والتحاض عليه واتخاذه واجبا جماعيا فرديا في الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع"[2].

والتواصي بالمرحمة من أشرف الصفات وأعظم الفضائل، وهي سمة لصاحبها، لأنه لا يمكن أن يوصي بالمرحمة من لا يعرف معناها ومقتضياتها يقول ابن عاشور:" والتواصي بالمرحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضا كناية عن اتصافهم بالمرحمة لأن من يوصي بالمرحمة هو الذي يعرف قدرها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يوصي بها"[3].

والرحمة بين الأفراد ضرورية لحياتهم، فهي" هدف الاجتماع البشري وهي الغاية النهائية من كل دعوة للحق أو للصبر، فالله الذي جعل أخص صفاته أنه رحمن رحيم.لا يحب من عباده إلا أن يكونوا رحماء ، وأن تفشو بينهم الرحمة"[4].

فقد بينت وصايا القرآن الكريم كيفية تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان فأمرت بالتراحم بين أفراد المجتمع، كما نهت عن كل ظلم واعتداء واستغلال للأفراد.

فرحمة الله بعباده تتطلب تراحم بعضهم ببعض، فالمجتمع الذي يسوده الظلم والاعتداء، ويغيب التراحم بين أفراده مجتمع ممزق مشتت الفئات، ومبعثر الطاقات، لا يرجى منه خير ولا ازدهار، فهو يسير إلى الانحطاط والفناء.

ومن أجل تحقيق الهدف الاجتماعي نهت وصايا الفرآن عن كل فاحشة من شأنها أن تفسد المجتمع، وتحطم قوام الأسرة، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }[5]

---

1 - البلد: 17.

2 -قطب : في ظلال القرآن، ج6، ص3913.

3 -اين عاشور : التحرير والتنوير، ج30، ص361.

4 - أحمد حسين، مجلة منبر الإسلام، ع:7، رجب 1388هـ، سبتمبر 1978م.

5 - الأنعام: 151.

فقد قررت هذه الوصية القاعدة التي تقوم عليها الأسر ، ومن ثم تقوم عليها المجتمعات، وهي قاعدة حفظ النسل ."إنه لا يمكن قيام أسرة، ولا استقامة مجتمع في وحل الفواحش ما ظهر منها وما بطن.. إنه لا بد من طهارة ونظافة وعفة لتقوم الأسرة ويقوم المجتمع، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة هم الذين يحبون أن تتزعزع قوائم الأسرة وأن ينهار المجتمع"[1].

وقد قبح القرآن هذه الرذيلة في قوله:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }[2]. " أي بئس طريقا طريقه، طريق مؤد إلى شرور ومفاسد كثيرة، وعذاب عظيم في الأخرى فهو طريق إلى هلاك الأبدان، وفساد الأعراض وضياع الأموال وخراب البيوت، وانقطاع الأنساب وفساد المجتمع وانقراضه، زيادة على ما فيه من معنى القتل للنفوس "[3].

أما المقصد من تحريم هذه الفاحشة، فلحفظ النسل والنسب، فولد الزنا يكون مقطوع النسب محروم الحقوق، كما فيه إهمال للمرأة وقطيعة للرحم، وقد بين ابن عاشور علة تحريم الزنا قائلا:" وعناية الإسلام بتحريم الزنا لأن فيه إضاعة النسب وتعريض النسل للإهمال إن كان الزنا بغير متزوجة، وهو خلل عظيم في المجتمع، ولأن فيه إفساد النساء على أزواجهن، والأبكار على أوليائهن، ولأن فيه تعريض المرأة إلى الإهمال بإعراض الناس عن تزوجها، وطلاق زوجها إياها، ولما ينشأ عن الغيرة من الهرج والتقاتل"[4].

ومن أعظم المقاصد التي عملت وصايا القرآن الكريم على تحقيقها من أجل إصلاح اجتماعي حفظ النفوس، وكان ذلك عن طريق نهيها عن القتل بغير حق، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }[5]، وقال:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }[6] ، فقتل الأولاد قتل للنفس بغير حق، وقد أسند الله تعالى التحريم إلى نفسه، وفي هذا الإسناد" بعث للنفوس على الخشية من الإقدام على المخالفة، وتنبيه لها على ما يكفها عن الإقدام، وهو استشعار عظمة الله"[7].

فالمقصد من هذه الوصية الإلهية حفظ النفس، ووضع الأسس والضمانات التي من شأنها أن تحمي

1 -قطب : في ظلال القرآن، ج3، ص1231.
2 - الإسراء: 32.
3 -ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص120.
4 -ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص90.
5 - الأنعام: 151.
6 - الأنعام: 151.
7 - ابن باديس:مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص120

استمرار النوع البشري" فالإقدام على إتلاف نفس هدم لما أراد الله بناءه، على أنه قد تواتر وشاع بين الأمم في سائر العصور والشرائع من عهد آدم، صون النفوس من الاعتداء عليها بالإعدام، فبذلك وصفت بأنها التي حرم الله"[1].

فما شرع الله وصاياه إلا من أجل دفع الفساد عن المجتمع و تحقيق المصلحة لأفراده،فكل وصية بأمر أو نهي من شأنها أن تنشئ مجتمعا متماسكا تسوده الفضيلة و تختفي فيه الرذيلة، ويتمتع أفراده بالأمن و الطمأنينة .

يقول سيد قطب:"فالاعتداء إنما يقع على حق الحياة ذاتها، وعلى النفس البشرية في عمومها ، وعلى هذه القاعدة كفل الله حرمة النفس ابتداء .وهناك طمأنينة الجماعة المسلمة في دار الإسلام وأمنها. وانطلاق كل فرد فيها ليعمل وينتج آمنا على حياته،لا يؤذي فيها إلا بالحق .والحق الذي تؤخذ به النفس بينه الله في شريعته ، ولم يتركه للتقدير و التأويل .ولكنه لم يبينه ليصبح شريعة إلا بعد أن قامت الدولة المسلمة،وأصبح لها من السلطان ما يكفل لها تنفيذ الشريعة "[2].

إن غاية وصايا القرآن الكريم هي إصلاح أحوال المجتمعات و التيسير عليهم ورفع الحرج عنهم.فهي تعمل على صلاح أحوالهم في الحياة الدنيوية،فتستقيم على منهج الله، ومن ثم يكون ذلك صلاحا لأخراهم .

وفي إطار الإصلاح الاجتماعي ،تواصل وصايا القرآن الكريم تحقيق أهدافها، لحماية أفراد المجتمع من الضياع، ولما كان اليتيم أضعف فئاته ، وكانت أمواله معرضة للسلب و النهب، جاءت وصاية القرآن الكريم ضامنة حقوقه وذلك من أجل حفظ "قواعد التعامل بين الناس لإقامة قواعد الجامعة الإسلامية و مدنيتها وتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض"[3] .يقول سيد قطب :"واليتيم ضعيف في الجماعة ،بفقده الوالد الحامي والمربي ،ومن ثم يقع ضعفه على الجماعة المسلمة _على أساس التكافل الاجتماعي الذي يجعله الإسلام قاعدة نظامه الاجتماعي —وكان اليتيم ضائعا في المجتمع العربي في الجاهلية .وكثرة التوجيهات الواردة في القرآن وتنوعها وعنفها أحيانا تشي بما كان فاشيا في ذلك المجتمع من ضيعة اليتيم فيه ،حتى انتدب الله يتيما كريما فيه ،فعهد إليه بأشرف مهمة في الوجود ،حين عهد إليه بالرسالة إلى الناس كافة ،وجعل من آداب هذا الدين الذي بعثه به رعاية اليتيم و كفالته على النحو الذي نرى منه هذا

1- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص92.

2 - قطب:في ظلال القرآن، ج3 ص1232.

3 - ابن عاشور: التحرير والتنويرج8 ص162.

التوجيه"[1]. كما اهتمت وصايا القرآن الكريم بإصلاح النفوس ، وذلك بزرع الوازع الديني فيها ،وإحياء القلوب ،لتبلغ النفس درجة الإحسان ،فيعبد العبد ربه ،كما تربى النفس على يقظة الضمير و الخوف من الله عز وجل . "إن تربية الناشئة على يقظة الضمير و الخوف من الله ،والرغبة فيما عنده من الرحمة والثواب ، تنمي في نفوسهم محبة الخير و كراهية الشر فتصدر عنهم الأعمال الطيبة ، والمسالك المحمودة ،والخلق المرضي ،و يشيب الناشئ على الصدق و الأمانة ،والرفق في الأمور ،والوفاء ورعاية الحقوق، وأداء الواجبات وكف الجوارح عن الشر و الأذى "[2] .وفي وصايا القرآن الكريم تعليم و تربية نفس الفرد على الصبر ،ففي حالة الضيق والشدة و البلاء لا بد للعبد أن يتأدب مع نفسه فيجعلها صابرة ،فيكون بذلك مطمئن القلب معتمدا على الله عز وجل قوي الثقة فيه، قال تعالى :{ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[3]،وطريق صلاح النفوس يكون بمعرفة الحق ودوام التواصي عليه وبالرجوع إلى الله تعالى قال تعالى :{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ }[4]،وصلاح الإنسان يقاس بصلاح نفسه ،و فساده يكون بفسادها و انحطاطها .يقول ابن باديس:"إن المكلف المخاطب من الإنسان هو نفسه ،وما البدن إلا آلة لها ، و مظهر تصرفاتها ،وإن صلاح الإنسان و فساده إنما يقاسان بصلاح نفسه و فسادها ،وإنما رقيه وانحطاطه باعتبار رقي نفسه و انحطاطها وما فلاحه إلا بزكائها وما خيبته إلا بخيبتها .قال تعالى :{ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا {10 }[5] ،وفي الصحيح :"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ،وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب "[6] ، قد فسر ابن باديس القلب في الحديث بالنفس الإنسانية التي لها ارتباط وثيق بالبدن فقال :"وليس المقصود من القلب مادته و صورته ،وإنما المقصود النفس الإنسانية المرتبطة به، وللنفس ارتباط بالبدن كله، ولكن القلب عضو رئيس في البدن ومبعث دورته الدموية، وعلى قيامه بوظيفته تتوقف صلوحية البدن لارتباط النفس به، فكان حقيقا لأن يعبر به عن النفس على طريق المجاز وصلاح القلب- بمعنى النفس- بالعقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، وإنما يكونان بصحة العلم، وصحة الإرادة"[7].

---

1 - قطب: في ظلال القرآن،ج3 ص1232.

2 - طاحون، أمثال و نماذج بشرية من القرآن الكريم،ج5،ص134.

3 - العصر: 3.

4 - العصر:3.

5 - الشمس: 10،9.

6 - صحيح مسلم. كتاب المساقاة ،باب أخذ الحلال وترك الشبهات ،حديث(1599).

7-ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص98.

وهدف وصايا القرآن الكريم هو إصلاح نفس الفرد بإصلاح حاله و بالتالي إصلاح المجموع ،فالوصايا متوجهة إلى إصلاح النفوس إما بالوصية بالمأمورات وإما عن طريق الوصية عن المنهيات ،فما من وصية بأمر إلا و فيه صلاح الفرد وما من وصية بالنهي عن شيء إلا وفيه فساده ,

يقول ابن باديس :"فصلاح النفس هو صلاح الفرد ، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع ، و العناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس ،إما مباشرة وإما بواسطة ،فما من شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق والخير والعدل و الإحسان إلا وهو راجع عليها بالصلاح ،وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر و الظلم والسوء إلا وهو عائد عليها بالفساد ،فتكميل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب" [1]

فعبادة الله وتوحيده والإخلاص له، وجميع التكاليف والأعمال الصالحة متعلقة بالنفس وصلاحها فإن صلحت أدت كل ما هو مفروض عليها ، وإن فسدت أنهكت في أنواع الذنوب و المعاصي،وقد بين الله تعالى طريقا لمعرفة صلاح النفوس وفسادها في قوله:{ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ {113} يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ }[2] ،فدلت الآية أن طريق الصلاح مرتبط بصلاح الأعمال ،يقول ابن باديس :"وصلاح النفس وهو صفة لها خفي كخفائها، وكما أننا نستدل على وجود النفس و ارتباطها بالبدن بظهورأعمالها في البدن،كذلك نستدل على اتصافها بالصلاح و ضده بما نشاهده من أعمالها،فمن شاهدنا منه الأعمال الصالحة، وهي الجارية على سنن الشرع ،وآثار النبي صلى الله عليه وسلم حكمنا بصلاح نفسه وأنه من الصالحين، ومن شاهدنا منه خلاف ذلك حكمنا بفساد نفسه، وأنه ليس منهم، ولا طريق لنا في معرفة صلاح النفوس وفسادها إلا هذا الطريق"[3].

وقد أصلحت وصايا القرآن الكريم النفوس بالدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته، واتباع صراطه المستقيم وبر الوالدين، ونهيها عن اقتراف الآثام والمعاصي" وأفاد هذا طريقة إصلاح النفوس بدوام علاجها بالرجوع إلى الله- ذلك أن النفوس- بما ركب فيها من شهوة وبما فطرت عليه من غفلة، وبما عرضت له من شؤون الحياة، وبما سلط عليها من قرناء السوء من شياطين الجن والإنس- لا تزال إلا من عصم الله- في مقارفة ذنب ومواقعة معصية صغيرة أو كبيرة، من حيث تدري ومن حيث لا تدري،

1 - ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،ص98.

2 - آل عمران: 113، 114.

3 -ابن باديس:المصدرالسابق ، ص96.

وكل ذلك فساد يطرأ عليها، فيجب إصلاحها بمقارفة المعاصي والذنوب، وهكذا تعتبر النفوس بالأبدان، في باب الصلاح والفساد، في كثير من الأحوال غير أن الاعتناء بالنفوس أهم وألزم، لأن خطرها أكبر وأعظم"[1].

وكانت وصاية القرآن الكريم واضحة العناية بالنفس الإنسانية، لما وضعت لها من التشريعات ما يحقق الاستمرار في الحياة ويحفظ لها جميع حقوقها، ويمنع عنها الاعتداء، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ }[2].

كما شرع القرآن الكريم عقوبة زاجرة في الدنيا والآخرة على من يتعدى عليها، قال تعالى:{ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً }[3].

ووصايا القرآن الكريم تبلغ بنفس الفرد ما إن تمسك وعمل بها درجة الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة فهي بهذا الشكل تكون قد حققت أهدافا جمة من أجل إصلاح أحوال الفرد الاجتماعية والنفسية.

1 - ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص97، 98.

2 - الأنعام: 151.

3 - المائدة: 32.

المطلب الرابع: حفظ الحقوق المالية.

باستقراء وصايا القرآن الكريم تبين أنها عنت بالحفاظ على أموال الأفراد وثروتهم، فهي ضرورة من ضروريات معيشتهم، بها قوام أعمالهم، يقول ابن عاشور:" هذا وقد تقرر عند علمائنا أن حفظ الأموال من قواعد كليات الشريعة الراجعة إلى قسم الضروري"[1].

فحفظ أموال الأفراد ضروري، فهو يؤول إلى حفظ مال الأمة، فمنفعة المال الفردية تعود على أصحابها ثم على الأمة قاطبة، لأن" المقصد الأهم هو حفظ مال الأمة وتوفيره لها، وأن مال الأمة لما كان كلا مجموعيا فحصول حفظه يكون بضبط أساليب إدارة عمومه، وبضبط أساليب حفظ أموال الأفراد، وأساليب إدارتها، فإن حفظ المجموع يتوقف على حفظ جزئياته، وإن معظم قواعد التشريع المالي متعلقة بحفظ أموال الأفراد وآيلة إلى حفظ مال الأمة، لأن منفعة المال الخاص عائدة إلى المنفعة العامة لثروة الأمة، فالأموال مداولة بأيدي الأفراد تعود منافعها على أصحابها، وعلى الأمة كلها لعدم انحصار الفوائد المنجرة إلى المنتفعين بدوالها"[2].

وقد اهتمت الوصية بالحفاظ على أموال الأفراد بضبط نظام إدارته بأسلوب يحفظه ويعين على نمائه، وذلك عن طريق التجارة، قال تعالى:{ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا }[3].

" والمقصد الشرعي في الأموال كلها خمسة أمور: رواجها، ووضوحها، وحفظها، وثباتها، والعدل فيها، فالرواج دوران المال بين أيدي أكثر من يمكن من الناس بوجه حق، وهو مقصد عظيم شرعي دل عليه الترغيب في المعاملة بالمال، ومشروعية التوثق في انتقال الأموال من يد إلى أخرى"[4].

وللحفاظ على مقصد الرواج، شرعت الوصية عقود المعاملات وذلك بالتجارة لانتقال المال بين الأفراد بالعدل على وجه لا حرج فيه فيما خرج على وسع الإنسان لكي لا تتعطل مصالحهم ومنافعهم، فتبقى الأموال متنقلة متداولة على آحاد الأمة.

أما فيما يخص التصرف في المال فقد أعطت الوصية لمالك المال حق تصرفه في ماله في فترة حياته بمشيئته بعد إخراج حق الله تعالى في الزكاة، قال عز وجل:{ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }[5].

---

1 -ابن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ص169.

2 -مصدرنفسه، ص170.

3 - الأنعام: 152.

4 - ابن عاشور:المصدر السابق ، ص175.

5 - مريم: 31.

يقول ابن عاشور:" والشريعة قد بلغت إلى مقصدها هذا بوجه لطيف، فراعت لمكتسب المال حق تمتعه به فلم تصادره في ماله بوجه يحرجه لما هو في جبلة النفوس من الشح بالمال فجعلت لحالة المال حكمين؛ أحدهما حكمه في مدة حياة صاحبه، والثاني حكمه بعد موت صاحبه.

فأما في الأول فأباحت لمالك المال في مدة حياته تصرفه فيه واختصاصه به حثا للناس على السعي في الاكتساب لتوفير ثروة الأمة وإبعاد المفشلات عنها، فلم تجعل عليه في مدة حياة مكتسبه إلا حق الله فيه، وهو الزكاة، على اختلاف أحوالها وتخميس المغانم"[1].

أما بعد موت المكتسب فقد شرعت الوصية حكما آخر في المال، ولما كان الميت في الجاهلية يوصي بماله لأشهر الناس في قومه تقربا منه وحبا في السمعة، أبطلت الوصية ذلك الحكم بقوله تعالى:{ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ }[2]، فصار المال من حق الوالدين والأقربين ثم نسخت هذه الوصية بوصية المواريث في قوله تعالى:{ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ }[3]، فلم تجعل الوصية لمالك المال حق التصرف فيه بعد موته إلا في ثلثه، بأن يوصي به لغير الورثة، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص:" الثلث والثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"[4].

يقول ابن عاشور:" والثاني حكمه بعد موت مكتسبه، وفي هذه الحالة نفذت الشريعة مقصدها من توزيع الثروة تنفيذا لطيفا، لأن مكتسب المال قد قضى منه رغبته في حياته فصار تعلق نفسه بماله بعد وفاته تعلقا ضعيفا، إلا إذا كان على وجه الفضول، فعلم المكتسب باقتسام ماله بعد موته لا يثبطه عن السعي والكد في تنميته مدة حياته، فشرع الإسلام قسمة المال بعد وفاة مكتسبه، وقد كانوا في الجاهلية يوصون بأموالهم لأحب الناس إليهم أو أشهرهم في قومهم تقربا إليهم وافتخارا بهم، فأبطل الإسلام ذلك، فأوجب الوصية للأقارب بآية:{ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ }[5]، ثم نسخ بشرع المواريث المبين في القرآن والسنة ولم يُجعل لصاحب المال حق في صرفه بعد موته إلا في ثلث ماله أن يوصي به لغير وارث"[6].

---

1 - ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ص177.

2 - البقرة: 180.

3- النساء: 11.

4 - سبق تخريجه :ص 16.

5 - البقرة: 180.

6 - ابن عاشور :مقاصد الشريعة الإسلامية، ص177.

فوصية المواريث حققت مقصد التوزيع فجعلت المال في أيدي قرابة الميت لحفظه ولإصلاح أحوالهم الفردية، كما أنها تعود على الأمة بالفائدة والمنفعة، يقول ابن عاشور:" فتم مقصد التوزيع بحكمة، وهي جعل المال صائرا إلى قرابة صاحبه لأن ذلك مما لا تشمئز منه نفسه، ولأن فيه عونا على حفظ المال في دائرة القبيلة، وإنما تتكون الأمة من قبائلها، فيؤول ذلك إلى حفظه في دائرة جامعة الأمة"[1].

ومن المقاصد التي ترمي الوصية إلى تحقيقها للحفاظ على الحقوق المالية العدل فيها بحيث لا تتعرض للاعتداء والضياع فقد نهت عن قرب مال اليتيم إلا في حالة رعايته وإصلاحه، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ }[2]، فالحفاظ على أموال اليتامى ضروري" لأنهم صغار وضعاف وفقدوا الراعي العطوف وهم في أشد الحاجة إلى المال ولم يبلغوا أشدهم لكسب المال، وقد يكون صغرهم وضعفهم سببا لإغراء ضعاف النفوس بأكل أموالهم بدارا قبل أن يكبروا، أو يستبدلوا الطيب من أموال اليتامى بالخبيث من أموالهم، فبسط لهم حمايته، وأوعد من يتعدى على أموالهم من الأولياء وغيرهم بأشد العذاب الأليم "[3].

فضعف اليتيم لم يكن سببا في ضياع حقوقه المالية، فقد خصته وصية الله عز وجل بالعناية والرعاية والحفظ، فجعلت ماله في أعلى مستوى الحفظ.

وأهداف الوصية ترمي إلى إصلاح أحوال الأفراد بحفظ حقوقهم المالية، وذلك بتشريع عقود المعاملات التجارية لتحقيق مقصد رواج وتداول الأموال بين الأفراد، وتقسيم التركة على الأقارب لتحقيق مقصد التوزيع، وحفظ مال اليتيم لتحقيق مقصد العدل.

---

1 - ابن عاشور :مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص177.

2 - الأنعام: 152.

3 -يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص567.

-من خلال دراسة هذا المبحث الموسوم بـــ" أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد" تبين لي كيف أصلحت وصايا القرآن الكريم حال الفرد، فقد اهتمت بإصلاح عقائده، فدعت إلى حفظ الدين وإقامته، بتوحيد الله عز وجل والإيمان به وعبادته فأمرت بالصلاة والزكاة وبالتواصي بالحق ونهت عن الشرك.

كما عملت وصايا القرآن الكريم على إصلاح حال الفرد إصلاحا أخلاقيا، فأوجبت التحلي بمحاسن الأخلاق ونهت عن رذائلها، فجاءت داعية إلى تقوى الله عز وجل والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والإحسان إلى الوالدين والقصد في المشي، والغض من الصوت ، ونهت عن المنكر والتكبر والعجب.

ومن أجل تحقيق إصلاح اجتماعي للأفراد نهت وصايا القرآن الكريم عن قربان الفواحش وعن قتل النفس بغير حق، ودعت إلى ضرورة التراحم بين الأفراد.

واهتمت وصايا القرآن الكريم بإصلاح النفوس، وذلك بزرع الوازع الديني فيها والدعوة إلى معرفة الحق والتواصي به، وتعليمها الصبر والثبات عليه.

ومن الأهداف التي حققتها وصايا القرآن الكريم من أجل إصلاح حال الفرد، حفظ الحقوق المالية بتشريع عقود المعاملات التجارية وضبط نظامها، بالنهي عن الغش، والأمر بالوفاء في الكيل والميزان من أجل تحقيق مقصد رواج وتداول الأموال بين الأفراد.

كما حققت مقصد توزيع الأموال عن طريق وصية الميراث، وحققت مقصد العدل بحفظ مال اليتيم.

وبهذا تكون وصايا القرآن الكريم قد عالجت الفرد من جميع النواحي، وعملت على إصلاح أحواله في العاجل والآجل.

المبحث الثاني:أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمع.

توطئة:

تضمنت وصايا القرآن الكريم أهدافا جماعية ترمي إلى إصلاح أحوال الجماعة فقد عملت على إنشاء مجتمعات سوية وراقية ومنتظمة، فكانت أهم أهدافها إصلاح عقائد الجماعة ثم تقوية الروابط بينهم،فبدأت بالروابط العائلية، حيث أنها عملت على شد آصرة العائلة وتقويتها، لتنتقل إلى دائرة أوسع وهي العشيرة، فكانت أهدافها من أجل تقوية هذه الآصرة، وأخيرا سعت إلى تنظيم المجتمع والدولة.

وفي هذا المبحث بإذن الله تعالى نتعرف على كيفية تحقيق وصايا القرآن الكريم لهذه الأهداف الجماعية، وكيفية إصلاحها لأحوال المجتمع.

المطلب الأول: إصلاح العقائد.

من أعظم الأهداف الجماعية التي حققتها وصايا القرآن الكريم من أجل إصلاح أحوال المجتمع, إصلاح عقائدهم:"فالعقيدة هي الصخرة الصلبة التي يقف عليها المؤمن، فتميد الأرض من حوله وهو ثابت راسخ القدمين فوق الصخرة الصلبة التي لا تميد، والعقيدة هي النجم الهادي الثابت عل الأفق يتجه إليه المؤمن وسط الأنواء والزوابع، فلا يضل ولا يحيد، أما حين تصبح العقيدة ذاتها موضع شك ومثار ريبة، فلا ثبات للشيء ولا لأمر في نفس صاحبها، ولا قرار له على وجهة، ولا اطمئنان إلى طريق، ولقد جاءت العقيدة ليعرف أصحابها طريقهم ووجهتهم إلى الله، ويقودوا من وراءهم من البشر في غير ما تلجلج ولا تردد و لا ضلال فإذا هم استرابوا وشكوا فهم غير صالحين لقيادة أحد..."[1]

بالعقيدة الصحيحة تتجه الجماعة، وتعرف طريقها نحو الله عز و جل، فتعبده حق عبادته، ولا تشرك به أحدا.فتعرف نظاما ثابتا خاليا من الفوضى والانحلال والاختلال، فتقيم حضارة راقية سائرة على الهدى لا تضل ولا تحيد، يقول سيد قطب مفسرا قوله تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}[2] " تلك الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعا، وبين الرسل جميعا، هي قاعدة التصور الإسلامي، وهي التي تجعل من الأمة المسلمة، الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة في الدرب على هدى ونور، والتي تجعل من النظام الإسلامي النظام العالمي الذي يملك الجميع الحياة في ظله دون تعصب ولا اضطهاد، والتي تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعا مفتوحا للناس جميعا في مودة وسلام، ومن ثم يقرر السياق الحقيقة الكبرى، ويثبت عليها المؤمنين بهذه العقيدة، حقيقة أن هذه العقيدة هي الهدى، من اتبعها اهتدى، ومن أعرض عنها فلن يستقر على أصل ثابت"[3]

وقد قوم الله عز وجل عقول الناس لإصلاح عقائدهم لأن مصدر العقيدة هي العقل، قال تعالى،{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ {4} ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ {5} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

1 - قطب: في ظلال القرآن. ج:5،ص:3149.

2 - الشورى: 13.

3 - قطب،المصدر السابق ، ج1، ص118.

الصَّالِحَاتِ}[1].

يقول ابن عاشور:" فلا شك أن المراد بالتقويم في الآية تقويم العقل الذي هو مصدر العقائد الحقة والأعمال الصالحة، وأن المراد برده أسفل سافلين انتقال الناس إلى اكتساب الرذائل بالعقائد الباطلة والأعمال الذميمة، وليس المراد تقويم الصورة، لأن صورة الناس لم تتغير إلى ما هو أسفل، ولأن الاستثناء بقوله،" إلا الذين آمنوا " يمنع أن يكون المستثنى منه صورا ظاهرة، إذ ليس للمؤمنين الصالحين اختصاص بصورة جميلة، فالأصول الفطرية هي التي خلق الله عليها الإنسان المخلوق لعمران العالم، وهي إذا الصالحة لانتظام هذا العالم على أكمل وجه وهي ما يحتوي عليه الإسلام الذي أراده الله لإصلاح العالم بعد اختلاله"[2].

فإصلاح العقائد مصلحة ضرورية للأمة، حيث لا تستقيم أمور الجماعة باختلالها، فتؤول إلى الفساد ومن ثم إلى التلاشي يقول ابن عاشور:" فالمصالح الضرورية هي التي تكون الأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة إلى تحصيلها بحيث لا يستقيم النظام باختلالها، فإذا انخرمت تؤول حال الأمة إلى فساد وتلاش، ولست أعني باختلال نظام الأمة هلاكها واضمحلالها لأن هذا قد سلمت منه أعرق الأمم في الوثنية والهمجية، ولكني أعني أن تصير أحوال الأمة شبيهة بأحوال الأنعام بحيث لا تكون على الحالة التي أرادها الشارع منها وقد يفضي بعض ذلك الاختلال إلى الاضمحلال الآجل بتفاني بعضها ببعض، أو بتسلط العدو عليها إذا كانت بمرصد من الأمم المعادية لها، أو الطامعة في الاستيلاء عليها كما أوشكت حالة العرب في الجاهلية على ذلك"[3].

والهدف العقدي ضمن الوصايا في القرآن الكريم هدف رئيس تحقق عبر جملة من الأهداف الجزئية، من بينها المحافظة على الدين وحراسته، ولا يتحقق هذا المقصد إلا عن طريق التواصي بالحق،قال تعالى:{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[4]، " والتواصي تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى، في الهدف والغاية والأخوة في العبء والأمانة، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية، إذ تتفاعل معا فتتضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه، ويشجعه ويقف معه ويحبه، ولا يخذله، وهذا الدين هو الحق، ولا

1- التين: 4،6.

2 - ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ج2، ص300.

3 - المصدر نفسه.

4 - العصر: 03.

يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكاملة متضامنة على هذا المثال"[1].والتواصي بالحق يناط بالجماعة المؤمنة، المتحدة المتساندة، ذات الوجهة الواحدة من أجل حراسة الحق والحفاظ على الدين.

والتواصي بالصبر أحد مقومات الحفاظ على الدين، قال تعالى:{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[2]، وقال:{ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[3]، والمعوقات كثيرة وهي تحول بين الجماعة وبين أدائها وتواصيها بالحق" فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل، من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة، ولا بد من الصبر، لا بد من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير والصبر على الأذى والمشقة، والصبر على تبجح الباطل، وتنفخ الشر، والصبر على طول الطريق وبطء المراحل، وانطماس المعالم، وبعد النهاية"[4].

والتواصي بالصبر ضروري لقيام الحق والحفاظ على الدين، فمن أهم أسباب ضياع الدين في الأمم وعدم اتباع الحق جزع النفوس، يقول ابن عاشور:" فإن مما يصد الأمم عن اتباع دين قويم الفهم بأحوالهم القويمة وضعف النفوس عن تحمل مفارقتها فإذا تدرعوا بالصبر سهل عليهم اتباع الحق"[5].وفي التواصي بالصبر تتحد العزائم، ويتساند الجميع من أجل تحقيق الهدف الواحد، من أجل قيام الحق والحفاظ على الدين، فالتواصي بالصبر درجة أعلى من درجة الصبر الفردي، به تعرف الجماعة معنى الصبر، ثم تتواصى على القيام والنهوض بالأمانة الكبرى.

ووصايا القرآن حريصة على تكوين جماعة متماسكة متكافلة، تسودها روح المحبة والإخاء والتعاون من أجل إعلاء كلمة الله:" فمن خلال لفظ التواصي ومعناه وطبيعته وحقيقته تبرز صورة الأمة –أو الجماعة– المتضامة المتضامنة الأمة الخيرة، الواعية القيمة في الأرض على الحق والعدل والخير وهي أعلى وأنصع صورة للأمة المختارة، وهكذا يريد الإسلام أمة الإسلام... هكذا يريد أمة خيرة قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير، متواصية بالحق والصبر في مودة وتعاون وتآخ تتضح بها كلمة التواصي في القرآن"[6].

ومن بين الأهداف التي رمت إليها وصايا القرآن الكريم من أجل إصلاح العقائد إثبات وحدة المصدر

---

1 - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، 3968

2 - العصر: 03.

3 - البلد: 17.

4 -قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3968.

5 -ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص477.

6 -قطب:المصدر السابق ، ج6، ص3968.

ووحدة المنهج ووحدة الدين باختلاف الأنبياء والمرسلين، فالمؤمنون سائرون على شرع واحد ثابت، لا مجال فيه للاختلاف والشقاق" ويترتب عليها نتائجها من وجوب الثبات على المنهج الإلهي القديم، دون التفات إلى أهواء المختلفين"[1]، قال تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }[2].

ولما تفرق أتباع الرسل من بعد ما جاءهم العلم، أرسل الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وأوصاه بالدعوة إلى الله عز وجل والاستقامة على أمره معلنا وحدة الرسالات، وثبات الدين:" إنها القيادة الجديدة للبشرية جمعاء، القيادة الحازمة المستقيمة على نهج واضح ويقين ثابت، تدعو إلى الله على بصيرة، وتستقيم على أمر الله دون انحراف، وتنأى عن الأهواء المضطربة المتناوحة من هنا وهناك، القيادة التي تعلن وحدة الرسالة ووحدة الكتاب ووحد المنهج والطريق، والتي ترد الإيمان إلى أصله الثابت الواحد، وترد البشرية كلها إلى ذلك الأصل الواحد"[3].

وهذا الدين الذي سيقت وصايا القرآن الكريم هادفة من أجل الحفاظ والثبات عليه، ليس بالأمر الهين، فهو من اختيار الله عز وجل لعباده، قال تعالى:{ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {132} أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[4]،" فهو من اختيار الله، فلا اختيار لهم بعده ولا اتجاه، وأقل ما توجبه رعاية الله لهم، وفضل الله عليهم، هو الشكر على نعمة اختياره واصطفائه، والحرص على ما اختاره لهم، والاجتهاد في ألا يتركوا هذه الأرض إلا وهذه الأمانة محفوظة فيهم"[5].

والتواصي على ثبات الدين سنة الأنبياء والمرسلين في أقوامهم وبنيهم، في حياتهم وعند مماتهم، من أجل دوام الحق واستمراره، "ولما كان من شأن أهل الحق والحكمة أن يكونوا حريصين على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم كان من مكملات ذلك أن يحرصوا على دوام الحق في الناس متّبعا مشهورا فكان من

---

1 - قطب: في ظلال القرآن ، ج5، ص3148.

2 - الشورى: 13.

3 - قطب: المصدر السابق، ج5، ص3150.

4 - البقرة:133، 132.

5 - قطب: المصدر السابق، ج1، ص11.

سنتهم التوصية لمن يظنونهم خلفا عنهم في الناس بأن لا يحيدوا عن طريق الحق ولا يفرطوا فيما حصل لهم منه، فإن حصوله بمجاهدة نفوس ومرور أزمان فكان لذلك أمرا نفيسا يجدر أن يحتفظ به"[1].

وقد صيغت وصية يعقوب لأبنائه بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى:{ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[2]،" لينظر مقدار ثباتهم على الدين حتى يطلع على خالص طويتهم ليلقي إليهم ما سيوصيهم به من التذكير"[3].

لهذا سيقت وصايا القرآن الكريم من أجل إصلاح أحوال المجتمع محققة جملة من الأهداف الجزئية المتضافرة والمتكاملة من أجل تحقيق الهدف الأسمى وهو الهدف العقدي الذي" هو أساس الدين كله، وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تقبل الأعمال إلا به، وما أرسل الله رسولا إلا داعيا إليه، ومذكرا بحججه، و أفضل كلمة قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي" لا إله إلا الله"، وهي كلمته الصريحة فيه، ولا تكاد سورة من سور القرآن تخلو من ذكره والأمر به والنهي عن ضده"[4].

فبصلاح عقائد المجتمعات تستقيم أمور دينهم ودنياهم.

---

1 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص727.

2 – البقرة:133.

3 – ابن عاشور :المصدر السابق ، ج1، ص732.

4 – ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص82

المطلب الثاني:تقوية آصرة العائلة.

اهتمت وصايا القرآن الكريم بأمر انتظام العائلة، فهي أساس قيام المجتمعات ورقيها، فكان اعتناؤها بتقوية آصرة العائلة من أهم المقاصد والأهداف التي رمت إلى تحقيقها فنهت عن قرب الفواحش لضبط أصل تكوين الأسرة، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }[1].

والزنا فاحشة من الفواحش تؤدي إلى اختلاط وإضاعة الأنساب، فهي اعتداء على مصلحة النسل التي تعتبر من المصالح الضرورية، يقول ابن عاشور:" فالزنا مئنة لإضاعة الأنساب، ومضنة للتقاتل والتهارج فكان جديرا بتغليظ التحريم قصدا وتوسلا، ومن تأمل ونظر جزم بما يشتمل عليه الزنا من المفاسد، ولو كان المتأمل ممن يفعله في الجاهلية، فقبحه ثابت لذاته، ولكن العقلاء متفاوتون في إدراكه، وفي مقدار إدراكه، فلما أيقظهم التحريم لم يبق للناس عذر"[2].

ولما كانت فاحشة الزنا ذات مقدمات نهت وصايا القرآن الكريم عن مجرد القرب منها سدا للذرائع واتقاء الوقوع فيها، يقول سيد قطب:" ولأن هذه الفواحش ذات إغراء وجاذبية، كان التعبير:" ولا تقربوا" للنهي عن مجرد الاقتراب، واتقاء جاذبية الوقوع التي تضعف معها الإرادة...لذلك حرمت النظرة الثانية- بعد الأولى غير المتعمدة- ولذلك كان الاختلاط ضرورة تتاح بقدر الضرورة، ولذلك كان التبرج –حتى بالتعطر في الطريق حراما- وكانت الحركات المثيرة، والضحكات المثيرة، والإشارات المثيرة ممنوعة في الحياة الإسلامية النظيفة...فهذا الدين لا يريد أن يعرض الناس للفتنة ثم يكلف أعصابهم عنتا في المقاومة! فهو دين وقاية قبل أن يقيم الحدود ويوقع العقوبات، وهو دين حماية للضمائر والمشاعر والحواس والجوارح"[3].

وقد قبح الله عز وجل هذه الفاحشة بقوله:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }[4]، وقبحها كذلك في عقول الناس ليتجنبوها" وعظم قبح الزنا مركوز في العقول من أصل الفطرة، كان ولم يزل كذلك معروفا، ومن رحمة الله تعالى بخلقه أن ركز في فطرهم إدراك أصول القبائح والمحاسن، ليسهل انقيادهم للشرع عندما تدعوهم الرسل إلى فعل المحاسن وترك القبائح، وتأتيهم بما هو معروف في الحسن

1 - الأنعام: 151.

2 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص91.

3 -قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص1231.

4- الإسراء: 32..

أو القبح لهم فتبين لهم حكم الله فيه وما لهم من الثواب أو العقاب عليه"[1].

ومن أجل تقوية آصرة العائلة جاءت الوصية ببر الوالدين والإحسان إليهما، قال تعالى:{ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}[2]، وقال:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }[3]، وقال أيضا:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً}[4]، وقال:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً }[5].

فهي وصية الخالق لجنس الإنسان بأكمله بالإحسان المطلق لمن له الفضل والابتداء بالإحسان عليه، دون انتظار جزاء وشكر، فهي وصية خالية من كل شرط، يقول سيد قطب:" وهي وصية لجنس الإنسان كله، قائمة على أساس إنسانيته، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى وراء كونه إنسانا، وهي وصية بالإحسان مطلقة من كل قيد، فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى كذلك، وهي وصية صادرة من خالق الإنسان، وربما كانت خاصة بهذا الجنس أيضا، فما يعرف في عالم الطير أو الحيوان أو الحشرات وما إليها أن صغارها مكلفة برعاية كبارها، والمشاهد الملحوظ هو فقط تكليف فطرة هذه الخلائق أن ترعى كبارها صغارها في بعض الأجناس، فهي وصية ربما كانت خاصة بجنس الإنسان"[6].

وقد تكررت وصايا القرآن الكريم بالبر والإحسان إلى الوالدين، في حين لم ترد وصاية الوالدين بالإحسان إلى الأولاد، ما عدا وصية الميراث، ولا تخص الإحسان بل تخص الأموال، فالله عز وجل فطر الوالدين على رعاية وحفظ الأولاد" رعاية تلقائية مندفعة بذاتها لا تحتاج إلى مثير، وبالتضحية النبيلة الكاملة العجيبة التي كثيرا ما تصل إلى حد الموت–فضلا على الألم- بدون تردد، ودون انتظار عوض ، ودون منة ولا رغبة حتى في الشكران!

أماالجيل الناشئ فقلما يلتفت إلى الخلف قلما يلتفت إلى الجيل المضحي الواهب الفاني، لأنه بدوره مندفع

1 –ابن باديس: مجالس التذكيرمن كلام الحكيم الخبير، ص119.

2- الأنعام: 151.

3 - لقمان: 14.

4 - العنكبوت: 08.

5 - الأحقاف: 15.

6 - قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3261.

إلى الأمام، يطلب جيلا ناشئا منه يضحي له بدوره ويرعاه! وهكذا تمضي الحياة"[1].

والوصية تجعل الأسرة هي اللبنة الأولى في بنائها، ففيها يتلقى الطفل العطف والحنان والرحمة، في حين لو نشأ في محاضن أخرى غيرأسرته لنشأ معقدا حقودا، وإن توفرت له سبل الرفاهية والراحة والتربية، لفقده الشعور بالحب" فقد ثبت أن الطفل بفطرته يحب أن يستأثر وحده بأمه فترة العامين الأولين من حياته، ولا يطيق أن يشاركه فيها أحد، وفي المحاضن الصناعية لا يمكن أن يتوفر هذا، إذ تقوم الحاضنة بحضانة عدة أطفال، يتحاقدون فيما بينهم، على الأم المشتركة، وتبذر في قلوبهم بذرة الحقد فلا تنمو بذرة الحب أبدا، كذلك يحتاج الطفل إلى سلطة واحدة ثابتة تشرف عليه فترة من حياته كي يتحقق له ثبات الشخصية، وهذا ما لا يتيسر إلا في محضن الأسر الطبيعي، فأما في المحاضن الصناعية فلا تتوفر السلطة الشخصية الثابتة لتغير الحاضنات بالمناوبة على الأطفال، فتنشأ شخصياتهم مخلخلة ويحرمون ثبات الشخصية"[2].

فهدف وصايا القرآن الكريم من الأمر ببر الوالدين هو لشد آصرة العائلة التي تتكون منها الأمة، وفي ذلك صلاح عظيم لها، ويكون عن طريق تربية النفوس على الحب والود، لتمتين الروابط وتقوية العرى، وقد بين ابن عاشور المقصد من ذلك قائلا:" وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى مشدودة الوثوق، فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم، ثم عاطفة الأبوة المنبعثة عن إحساس بعضه غريزي ضعيف وبعضه عقلي قوي، حتى أن أثر ذلك الإحساس ليساوي بمجموعه أثر عاطفة الأم الغريزية أو يفوقها في حالة كبر الابن"[3] .

وعادة ما تأتي الوصية بالأمر ببر الوالدين مقترنة بالنهي عن الشرك وبالكلام عن العقيدة وفي هذا الاقتران دلالتان بينهما سيد قطب بقوله:" ذلك أن وشيجة الأبوة والبنوة هي أول وشيجة بعد وشيجة الإيمان في القوة والأهمية، وأولاها بالرعاية والتشريف، والثانية: أن آصرة الإيمان هي الأولى وهي المقدمة، ثم تليها آصرة الدم في أوثق صورها"[4].

وزادت الوصية آصرة العائلة تقوية وتوثيقا بوجوب التراحم بين أفرادها، قال تعالى:{ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

---

1 – قطب: في ظلال القرآن،ج 6 ، ص3261.

2 – المصدر نفسه.

3 – ابن عاشور :التحرير والتنوير، ج15، ص73، 74.

4 – قطب :المصدر السابق ، ص3261.

وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[1]، وبتقسيم التركة بين أفرادها، لتجنب كل الاختلافات التي من شأنها أن تؤدي إلى خصومات بين أفرادها، قال تعالى:{ يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ....}[2]

فجاءت الوصية بمنهجها الرباني، تشير إلى الأصل الذي يعود إليه تقسيم التركات، مبينة رحمة الله وعدله وبره بالأولاد، فما عليهم إلا أن ينفذوا وصيته العادلة، يقول سيد قطب:" إن الله هو الذي يوصي، وهو الذي يفرض ، وهو الذي يقسم الميراث بين الناس، كما أنه هو الذي يوصي ويفرض في كل شيء، وكما أنه هو الذي يقسم الأرزاق جملة، ومن عند الله ترد التنظيمات والشرائع والقوانين، وعن الله يتلقى الناس في أخص شؤون حياتهم – وهو توزيع أموالهم وتركاتهم بين ذريتهم وأولادهم- وهذا هو الدين، فليس هناك دين للناس إذا لم يتلقوا في شؤون حياتهم كلها من الله وحده، وليس هناك إسلام إذا هم تلقوا في أي أمر من هذه الأمور، جل أو حقر من مصدر آخر"[3].

وقد قسمت الوصية الأموال بين الأفراد على حسب تكاليفهم في محيط أسرهم، محافظة بذلك على الروابط العائلية، والصلات القلبية، وليس في هذا التقسيم تفضيل جنس على جنس، وإنما العبرة في ذلك هي تكاليف وواجبات الأفراد ضمن إطار الأسرة، وقد أورد صاحب الظلال الحكمة من تضعيف نصيب الذكر على نصيب الأنثى قائلا:" وليس الأمر في هذا أمر محاباة لجنس على حساب جنس، إنما الأمر أمر توازن وعدل بين أعباء الذكر وأعباء الأنثى في التكوين العائلي، وفي النظام الاجتماعي الإسلامي؛ فالرجل يتزوج امرأة، ويكلف إعالتها وإعالة أبنائها منه في كل حالة وهي معه، وهي مطلقة منه...أما هي فإما أن تقوم بنفسها فقط، وإما أن يقوم بها رجل قبل الزواج وبعده سواء، وليست مكلفة نفقة للزوج ولا للأبناء في أي حال...فالرجل مكلف –على الأقل- ضعف أعباء المرأة في التكوين العائلي، وفي النظام الاجتماعي الإسلامي، ومن ثم يبدو العدل كما يبدو التناسق بين الغُنم والغُرم في هذا التوزيع الحكيم، ويبدو كل كلام في هذا التوزيع جهالة من ناحية وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى، وزعزعة للنظام الاجتماعي والأسري لا تستقيم معها حياة"[4].

ومن أهم المقاصد التي رمت إليها وصايا القرآن الكريم لإصلاح حال الأمة : تقوية آصرة العائلة وذلك

---

1 - البلد: 17.

2 - النساء: 11.

3 -قطب: في ظلال القرآن، ط 1972 ،الطبعة الشرعية:26 ، 1418هـ—1997،ج1، ص590.

4 - المصدر نفسه، ص591.

بإحكام هذه الآصرة، فعنت بأصل تكوين العائلة، وذلك بالنهي عن قربان الفواحش التي من شـــأنها أن تنشر المفاسد وتحطم الأسرة، وتؤدي إلى تضعيف آصرة العائلة، فإذا أحكمت هذه الآصرة، وهي آصرة النكاح، ونتج عن ذلك نسل، وهي بداية لآصرة القرابة، عملت على إحكام هذه الآصـــرة بوجـــوب التراحم بين أفرادها وبالأمر بالبر والإحسان إلى الوالدين، وبتقسيم التركة بين الأفراد.

المطلب الثالث: تقوية آصرة الأمة.

من بين الأهداف التي سعت وصايا القرآن الكريم لتحقيقها من أجل إصلاح أحوال المجتمع، تقوية آصرة الأمة، ومن أجل ذلك دعت إلى التواصي بالحق، قال تعالى:{ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[1]، وأساس هذه الوصية أن يكون أفراد الأمة قائمين على التذكير بالحق والدعوة إليه، فإذا تحقق التواصي بالحق بينهم تقوى آصرهم.

وقد قرنت الوصية بالحق بالوصية بالصبر، فأفراد الأمة إذا وصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات عليه، تماسكوا وتكافلوا فتتمتن العلاقات بينهم،" وحين تتجه الأمة إلى إقامة مجتمع الحق والخير، لابد لها من الصبر، ولا بد لها من احتمال المتاعب والمصاعب، وحينئذ تتكاثر العزائم الصابرة، وتتضاعف الأيدي الثابتة، وتتوالى الأقدام الراسخة، فإذا أضيف إلى ذلك أن الهدف واحد، وأن الصف واحد، وأن الغاية واحدة، فقد اجتمع للأمة الكثير من حوافز الخير وعوامل الصلاح، ومن وراء تلك تتوالى الخطوات الجماعية المخلصة المتساندة الماضية نحو دعم الحق وتأييد الخير"[2].

وتبرز صور أفراد الأمةالمتضامنين، الواعين، القائمين على التواصي بالحق والدعوة إليه، وعلى التواصي بالصبر والثبات عليه، يقول سيد قطب:" أما التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فتبرز من خلالها صورة الأمة المسلمة، أو الجماعة المسلمة ذات الكيان الخاص والرابطة المميزة والوجهة الموحدة، الجماعة التي تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها، والتي تعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه من الإيمان والعمل الصالح الذي يشمل فيما يشمل قيادة البشرية في طريق الإيمان والعمل الصالح، فتتواصى فيما بينها بما يعينها على النهوض بالأمانة الكبرى".[3]

كما أن التواصي بالصبر يوحد إحساس أفراد الأمة بأنهم يسعون من أجل تحقيق هدف واحد فيتساندون متعاونين متكافلين فـ" التواصي بالصبر يضاعف المقدرة؛ بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المتجه، وتساند الجميع، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار...إلى آخر ما يثيره من معاني الجماعة التي لا تعيش حقيقة الإسلام إلا في جوها، ولا تبرز إلا من خلالها، وإلا فهو الخسران المبين والضياع".[4]

---

1 - العصر: 03.

2 - الشرباصي موسوعة أخلاق القرآن، ج3، ص203.

3 - قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3967.

4 - مصدرنفسه ، ص3968.

ومن عناية وصايا القرآن الكريم بتقوية آصرة الأمة ، الدعوة إلى التراحم بين أفرادهـــا، قـــال تعـــالى: { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[1]، فلا يوصي بالمرحمة إلا من كان عليما بالمرحمة، عـــاملا بهـــا، فأفرادالأمة إذا تبادلوا الوصية بالمرحمة بينهم قويت آصرتهم، يقول ابن عاشور مفسرا قولـــه تعـــالى: { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[2]:" خص بالذكر من أوصاف المؤمنين تواصيهم بالصبر وتواصيهم بالمرحمة لأن ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان، فإن الصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها لأنها لا تخلو مـــن كبح الشهوة النفسانية، وذلك من الصبر، والمرحمة ملاك صلاح الجماعة الإسلامية، قال تعالى: رُحَمَـــاء بَيْنَهُمْ }[3]، والتواصي بالمرحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضا كناية عن اتصافهم بالمرحمة، لأن مـــن يوصـــي بالمرحمة هو الذي عرف قدرها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يوصي بها"[4].

والرحمة فضيلة عظيمة نابعة عن قلب لين عطوف مترفق، محس بآلام الغير، ومقدر لمشاعرهم" وليـــست الرحمة خلق ضعيف كما يزعم بعض الزاعمين، لأن الرحمة الأصيلة هي التي تنبعث عـــن قـــدرة ذاتيـــة تستطيع أن تكون حازمة وصارمة ولكنها تقدر الظروف وتشعر بالمشاركة الوجدانية، فتتنازل عن بعض حقها عن طيب خاطر، وتترفق بمن يستحق الترفق، فهي في الواقع قوتان لا قوة واحدة؛ قوة الاقتدار ثم قوة التحكم في النفس بحملها على أن ترحم، وقد كانت قادرة على أن تقسو وتعنف"[5].

وقد حث القرآن الكريم على التخلق بها مع أقرب الناس إلينا وهما الوالدان، قال تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُـــل لَّهُمَـــا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً {23} وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَـــا رَبَّيَانِي صَغِيراً[6].

كما جعلها أساس العلاقة الزوجية، قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَـــسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[7].

كما كانت وصايا القرآن الكريم حريصة على ربط أواصر المحبة والألفة بين أفراد الأمة والمحافظة على هذا

1 - البلد: 17.

2 - البلد: 17.

3 - الفتح: 29.

4 -ابن عاشور: التحريروالتنوير، ج30، ص361.

5 -الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج1، ص123،

6- الإسراء: 23، 24.

7- الروم: 21.

الترابط أرشدت إلى ما ينمي هذه الألف، فحثت على الوفاء في الكيل والميزان، فالأفراد لا يمكنهم أن يعيشوا مستقلين في حياتهم بعضهم عن بعض، ولا تقوم حياتهم إلا إذا تبادلوا المنافع بينهم، فإذا كانت طريقة تبادلهم مبنية على العدل فإن عرى المحبة والثقة تتقوى بينهم، يقول ابن باديس مفسرا قوله تعالى:{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[1]:" والمكيلات والموزونات مورد عظيم للتعامل، ومعرضة تعريضا كبيرا للبخس والتطفيف، وأخذ مال الناس بالزيادة، أو بالتنقيص؛ إما بفعل الشخص، وإما بفساد الآلة، فأمر تعالى بإيفاء الكيل، وأمر باختيار الآلة الصالحة لذلك، وبين أن الوفاء عن الكيل بأن يكمل ما نقص، أو يرد ما زاد، فإن الذي يفصل الحق ويطيب النفوس هو الوفاء وقت الكيل".[2]

فالعلاقات والروابط تتقوى بين المتبايعين إذا كان العدل أساس التعامل بينهما، ومن العدل تحصيل الثقة، وقد رغب الله تعالى في الإيفاء فقال:{ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ }[3]، لأنه خير، فيفيد العدل والحق وأكل الحلال وراحة البال، وفيه حصول الثقة التي هي رأس مال التاجر، وفيه حفظ نظام التعامل الذي هو ضروري للحياة".[4]

ولما كانت إقامة القسط من أدق الأمور حيث لا يتحقق في كل مكيل وموزون، ولرفع الحرج والعسر عن أفراد الأمة، يسر الله تعالى المبادلات التجارية، وجعلها في حدود الطاقة والوسع، فقال:{ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}[5]،" وقاعدة اليسر وحصر التكليف بما في وسع المكلف وما يقابله من رفع الحرج ونفي العسر، من أعظم قواعد هذا الشرع المبني على أقوى أساس من الحق والعدل، فلا يساويه فيه قانون من قوانين الخلق، ولو عمل المسلمون بهذه الوصية لاستقامت أمور معاملتهم، وعظمت الثقة والأمانة بينهم، وكانوا حجة على غيرهم من المطففين والمفسدين"[6].

وتتقوى آصرة الأمة إذا التزم أفرادها بالوفاء بعهود بعضهم البعض، قال تعالى:{ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[7] ، فتعامل الناس مبني على تبادل الثقة وعلى الوفاء بالعهود المنعقدة بينهم.

---

1 - الإسراء: 35.

2 -ابن باديس: مجالس التذكيرمن كلام الخبير الحكيم، ص127.

3 - الأنعام: 152.

4 - ابن باديس:المصدر السابق ،ص 128.

5- الأنعام: 152.

6 -رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج8، ص191.

7 - الأنعام: 152.

كما يتحقق مقصد تقوية آصرةالأمة بالعمل بوصية الزكاة، قال تعالى: {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }[1]، فالزكاة من شأنها أن تنتزع الشح والبخل من قلوب الأغنياء، فتتقوى روابط المحبة والمودة والألفة بين أفرادالأمة وشد آصرهم.

بهذا تكون وصايا القرآن الكريم قد حققت جملة من الأهداف رمت إلى إصلاح أحوال الجماعة قصد تقوية آصرة الأمة، وقد كان ذلك عن طريق التواصي بالحق والصبر والمرحمة، والتوصية بإيفاء المكيال والميزان والوفاء بالعهود، ووصية الزكاة.

1- مريم: 31.

المطلب الرابع: انتظام المجتمع والدولة.

إن أعظم هدف لوصايا القرآن الكريم هو انتظام أمر الأمة وإصلاح أحوالها، وجلب المصالح إليها ودفع الضرر والفساد عنها، فقد أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الشرائع من أجل إقامة نظام ودستور للبشرية.

ويتحقق أمر انتظام المجتمع عن طريق العقيدة والتوحيد والإيمان، واتباع صراط الله المستقيم، وقد حقق الإسلام بما جاء به من وصايا القرآن الكريم التقدم والرقي والعمران للمسلمين، كما مكنهم من قيادة البشر، وقد كانوا من قبل في تخلف وانحطاط" وأعطاهم الشخصية المميزة بهذه العقيدة التي تجعل لهم وجودا بين الأمم والدول، و لم يكن لهم قبلها أدنى وجود، وأعطاهم القوة التي تعرفهم بها الدنيا وتحسب لهم معها حسابا، وكانوا قبلها خدما للأمبراطوريات من حولهم، أو مهملين لا يحس بهم أحد، وأعطاهم الثروة كذلك بما فتح عليهم في كل جهة..وأكثر من هذا أعطاهم السلام، سلام النفس، سلام البيت، وسلام المجتمع الذي يعيشون فيه، أعطاهم طمأنينة القلب وراحة الضمير والاستقرار على المنهج والطريق".[1]

ولما كان القتل اعتداء على النفس، نهت وصايا القرآن الكريم عنه لما فيه من هلاك الجنس وخراب العمران، قال تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }[2]، وقال: }وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[3]، يقول ابن باديس:" إن الأرواح الإنسانية كريمة الجوهر، لأنها من عالم النور، فقد خلقت من نفخ الملك، كما في حديث ابن مسعود- رضي الله عنه- الثابت في الصحيح:" إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح..."[4]...دع ما يطرأ عليها بعد اتصالها بالبدن من تزكية ترقى بها في معارج الكمال، أو تدسية تنحط بها إلى أسفل السافلين، وبعد ارتباطها بالبدن يتكون منها المخلوق العظيم العجيب المسمى بالإنسان الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض ليعمرها ويستثمرها، ويعبرها إلى دار الكمال الحق، والحياة الدائمة الأبدية، هذه النفوس البشرية جاءت الشرائع السماوية

---

1 - قطب:في ظلال القرآن، ج1، ص252.

2 - الأنعام: 151.

3 - الأنعام: 151.

4 - أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ح (3332.)

كلها بإيجاب حفظها، فكان حفظها أصلا قطعيا".[1]

وقد كان العرب في جاهليتهم يستخفون بقتل النفس، لأنهم جهلوا حكمة خلق الإنسان، وهي تعمير الأرض، قال تعالى:{ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا }[2]، فجاءت وصايا القرآن ناهية عن قتل النفس بغير حق، ومؤكدة حفظها، يقول محمد الطاهر بن عاشور:" معلومة حال العرب في الجاهلية من التسرع إلى قتل النفوس، فكان حفظ النفوس من أعظم القواعد الكلية للشريعة الإسلامية، ولذلك كان النهي عن قتل النفس من أهم الوصايا التي أوصى بها الإسلام أتباعه".[3]

وقتل الأولاد خشية إملاق قتل للنفس بغير حق، أبطل الله سببه بقوله:{ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}[4]، وبين للآباء فظاعة هذا القتل بقوله:" أولادكم" بإضافة الأولاد إليهم، فإن الأولاد أفلاذ الأكباد، وقطعة من لحم المرء ودمه، ونسخة من ذاته، فمحبتهم فطرة، والعطف التام عليهم خلقة، فكيف يكون قبح وفظاعة فعل من بلغ بهم القتل؟ وأي خير يرجى من قاتل ولده لغيره من الناس؟ وبعدما جنى أفظع الجنايات على ألصق الناس به؟؟".[5]

كما نهت وصايا القرآن الكريم عن قرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }.[6]، لما فيها من فساد المجتمع وانحلاله، فهي طريق إلى هلاك الأبدان وفساد الأعراض، وضياع الأموال، وخراب البيوت" والجماعة التي تشيع فيها الفاحشة جماعة ميتة منتهية إلى الدمار، والحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية، والحضارة الفارسية، شواهد من التاريخ، ومقدمات الدمار والانهيار في الحضارة الغربية تنبئ بالمصير المرتقب ينخر فيها كل الفساد".[7]

ونظمت وصايا القرآن الكريم المجتمع بحفظ مال اليتيم فنهت عن قربه إلا بالتي هي أحسن وبينت كيفية الولاية على ماله وزمنها، وبينت وقت بلوغ الحلم والرشد ودفع أمواله إليه، قال تعالى:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ }.[8]

---

1 -ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 135، 136 بتصرف.

2 - هود: 61.

3 -ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص91.

4 - الأنعام: 151.

5 -ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص117.

6- الأنعام: 151.

7-قطب :في ظلال القرآن ، ج3، ص 1231، 1232.

8 - الأنعام: 152.

وقد خصت الوصية الحفاظ على مال اليتيم دون غيره لضعفه وقلة ناصره فقد كان المجتمع في الجاهلية لا يعرف حقا لليتيم، بل يستولي عليه متى وجد إلى ذلك سبيلا، فكان اليتيم ضعيفا ضائعا في مجتمع لا يعرف الحق إلا للأقوياء، يقول ابن باديس:" وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه ضعيف لا ناصر له، والنفوس أشد طمعا في مال الضعيف، فالعناية به أوكد والعقوبة عليه أشد، ومن تأدب بأدب الآية في مال الضعيف كاليتيم، كان حقيقا أن يتأدب بأدبها في مال غيره".[1]

وهذه الوصية توجب على الأمة رعاية مال اليتيم وحمايته من الضياع قبل بلوغه الأشد، لأن بالأموال قوام الحياة،" فالأموال مقرونة بالنفوس في الاعتبار، فقرنت في النظم آية حفظ الأموال بآية حفظ النفوس، كما قرن بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:"...فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام"[2] ".[3]

أما إذا بلغ أشده راشدا وجب على كافله دفع ماله إليه، ولا يحق له أن يسيطر عليه، فيستقل حينئذ بماله وينتفع به، يقول ابن باديس:" فمن الفروض الكفائية على الأمة أن يكون أيتامها مكفولين غير مهملين، ووقت بلوغ الأشد- بلوغ الحلم والرشد- هو وقت استقلال من كان يتيما ووقت دفع ماله إليه، فلا يجوز حينئذ الاستيلاء على ماله والسيطرة عليه".[4]

أما عن وقت دفع مال اليتيم إليه فقد حددته الوصية ببلوغ الأشد، ويكون ذلك بحصول القوة البدنية والعقلية التي تخرجه من ضعفه ومن يتمه، وتحصل له القوة البدنية ببلوغه، أما القوة العقلية فتحصل برشده العقلي وحسن تصرفه في شؤون الحياة وخاصة المعاملات المالية، يقول ابن باديس مبينا وقت بلوغ الأشد:" وبلوغ الأشد هو بلوغ القوى، والوصول إلى الحالة التي تحصل فيها القوى للإنسان، القوى البدنية والقوى العقلية، ولا يقال في الشخص قد بلغ أشده إلا إذا حصل على قواه من الجهتين، فأما القوى البدنية فعلامة حصولها البلوغ، وأما القوى العقلية فعلامة حصولها هو الرشد الذي يظهر في حسن التصرف، وقد جمع العلامتين في قوله تعالى في سور النساء:{ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ }[5] "[6]

---

1 - ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص124.

2 - صحيح مسلم،، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ح (1679).

3 - ابن باديس:المصدر السابق ، ص 123.

4 - المصدر نفسه، ص124.

5 - النساء: 06.

6 -ابن باديس:المصدر السابق ، ص 122، 123.

وبلوغ الأشد يبدأ من بلوغ الإنسان راشدا، ويستمر نحو النضج والاكتمال حتى يبلغ سن الأربعين،" فالأربعون هي سن الاستكمال والتمام في القوى، وهي السن التي بعث الله فيها النبي صلى الله عليه وسلم للعالمين بشيرا ونذيرا".[1]

هذا النضج الذي رسمته وصايا القرآن الكريم للحفاظ على مال اليتيم قبل بلوغه الأشد من شأنه أن يتحكم في انتظام المجتمع، ومن ثم انتظام الدولة، حيث لا يضيع فيه حق للضعيف، فقد حققت هذه الوصية الهدف بتهذيبها النفوس وتعليمها مبدأ عدم التعدي على حقوق الآخرين، وعلى من هو أضعف منها، بل وجوب رعايته وحمايته، كما علمتها خلق الاقتناع بما وهبها الله عز وجل وعدم الطمع في مال الغير، كما حققت وصايا القرآن الكريم هدف تنظيم المجتمع والدولة بتشريعها وصية الميراث، قال تعالى:{ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ }[2]، وقد نظمت هذه الوصية المجتمع تنظيما لم يكن قانون ولا منهج بشري من شأنه أن ينظمها هذا التنظيم،" وإن ما يوصي به الله ويفرصه ويحكم به في حياة الناس- ومنه ما يتعلق بأخص شؤونهم، وهو قسمة أموالهم وتركاتهم بين ذريتهم وأولادهم- لهو أبر بالناس وأنفع لهم، مما يقسمونه هم لأنفسهم، ويختارونه لذرياتهم...".[3]

وقد بينت الوصية فرائض قرابة الميت؛ بدءا بالأولاد ثم الوالدين، فالزوجين، بعد استيفاء الدين من التركة ثم تنفيذ وصية المالك" وقد شدد الإسلام في إبراء الذمة من الدين، كي تقوم الحياة على أساس من تحرج الضمير، ومن الثقة في المعاملة، ومن الطمأنينة في جو الجماعة، فجعل الدين في عنق المدين لا تبرأ منه ذمته حتى بعد وفاته".[4]

وقد يُحجب بعض أقارب الميت فلا يرثون لأن هناك من هم أقرب منهم إلى الميت فحجبوهم عن الميراث، وقد يكون هؤلاء المحجوبون فقراء محتاجين، فجاءت الوصية" لتلافي بعض الحالات التي يحجب فيها بعض الورثة بعضا، وقد يكون المحجوبون معوزين، أو تكون هناك مصلحة عائلية في توثيق العلاقات بينهم وبين الورثة، وإزالة أسباب الحسد والحقد والنزاع قبل أن تنبت".[5]

والله هو الذي أوصى، وهو الذي قدر هذه الفرائض، وهو الذي قسم التركة بين قرابة الميت، ومن أجل

---

1 – ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص123.

2- النساء: 11.

3 – قطب:في ظلال القرآن،، ج1، ص590.

4 – المصدر نفسه، ص 592.

5 – المصدر نفسه.

تطييب نفوس الورثة، يقول:{ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً }.[1]

وهو وحده يعلم أي الورثة أقرب نفعا للميت، وهو الذي يعلم مصالح عباده فقسم الفرائض على هذا النحو، يقول سيد قطب:" فهناك من تدفعهم عاطفتهم الأبوية إلى إيثار الأبناء على الآباء، لأن الضعف الفطري تجاه الأبناء أكبر، وفيهم من يغالب هذا الضعف بالمشاعر الأدبية والأخلاقية فيميل إلى إيثار الآباء، وفيهم من يحتار ويتأرجح بين الضعف الفطري والشعور الأدبي، كذلك قد تفرض البيئة بمنطقها العرفي اتجاهات معينة كتلك التي واجه بها بعضهم تشريع الإرث يوم نزل...فأراد الله سبحانه أن يسكب في القلوب كلها راحة الرضى{آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً }.[2]والتسليم لأمر الله، ولما يفرضه الله، بإشعارها أن العلم كله لله، وأنهم لا يدرون أي الأقرباء أقرب لهم نفعا، ولا أي القسم أقرب لهم مصلحة".[3]

وقد نظمت وصية الميراث المجتمع، وضمنت استقرار الدولة وسلامتها من الفوضى والفتن، ومن المنازعات والمطالبات التي قد تحصل بين أفراد المجتمع.

" تلك الفرائض، وتلك التشريعات، التي شرعها الله لتقسيم التركات، وفق علمه وحكمته، ولتنظيم العلاقات العائلية في الأسرة، والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع،" تلك حدود الله" التي أقامها لتكون هي الفيصل في تلك العلاقات، ولتكون هي الحكم في التوزيع والتقسيم".[4]

ولما كان الاختلاف ناجما بين الأفراد مؤد إلى الفوضى في المجتمعات ، وكان من أهم أسبابه الظلم، فقد أوصى سبحانه بالعدل والإحسان، وأوصى بالنهي عن الاعتداء، فقال: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}.[5]

كما يتحقق مقصد انتظام المجتمع بالعمل بوصية الزكاة، قال تعالى:{ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }[6]، فبتوزيع الزكاة على المحتاجين ينتظم المجتمع، حيث لا يكون بين أفراده من هو في فقر وبؤس.

وهكذا أصلحت وصايا القرآن الكريم أحوال الجماعة بإصابتها المقصد الأسمى وهـو انتظـام المجتمـع

---

1 – النساء: 11.

2 – النساء: 11.

3 – قطب: في ظلال القرآن، ج1، ص593.

4 –المصدر نفسه ، ص595.

5 – الأنعام: 152.

6 – مريم: 31.

واستقرار الدولة وسلامتها من الفوضى، وحققت ذلك عبر جملة من الوصايا المتمثلة في عباد الله سبحانه والنهي عن الشرك وعن قتل النفس بغير حق، وعن قرب الفاحش ما ظهر منها وما بطن، وبرعاية مال اليتيم، وبحفظ حقوق الورثة، وبتشريع وصية الزكاة.

من خلال دراسة الفصل الثاني الموسوم ب:"أهداف وصايا القرآن الكريم" تبين لي كيف اهتمت وصايا القرآن الكريم بإصلاح أحوال الأفراد، فكانت بدايته عن طريق إصلاح عقائدهم، ولتحقيق ذلك دعت إلى توحيد الله عز وجل والإيمان به وعبادته، فأمرت بالصلاة والزكاة، وأمرت بالتواصي بالحق وبحفظ دينهم وإقامته، ونهت عن الشرك.

كما عملت على إصلاح حال الفرد أخلاقيا، فأمرت بالتحلي بمحاسن الأخلاق، ونهت عن رذائلها، فجاءت أحكامها داعية إلى تقوى الله عز وجل، والإحسان إلى الوالدين، والأمر بالمعروف والوفاء بالعهود، وبالقصد في المشي، وبالغض من الصوت، ونهت عن المنكر والتكبر والعجب، فهي تحول بين المرء وبين تحليه بالرذائل.

ومن أجل تحقيق إصلاح اجتماعي للأفراد نهت وصايا القرآن الكريم عن قرب الفواحش، وقتل النفس بغير حق، ودعت إلى ضرورة التراحم بين الأفراد.

واهتمت وصايا القرآن الكريم بإصلاح النفوس، وذلك بزرع الوازع الديني فيها والدعوة إلى معرفة الحق والتواصي به، وتعليمها الصبر والثبات عليه.

ومن الأهداف التي حققتها وصايا القرآن الكريم حفظ الحقوق المالية للأفراد بتشريع عقود المعاملات التجارية، والنهي عن الغش فيها، والأمر بالوفاء في الكيل والميزان من أجل تحقيق مقصد روج وتداول الأموال بين الأفراد، كما حققت مقصد توزيع الأموال بتشريعها وصية الميراث، وحققت مقصد العدل بحفظ مال اليتيم.

وبهذا تكون وصايا القرآن الكريم قد عالجت الفرد من جميع النواحي وعملت على إصلاح أحواله في العاجل والآجل.

ولم يكن اهتمام وصايا القرآن الكريم بإصلاح أحوال الفرد وحسب، بل كان اهتماما منصبا حول المجتمع، فكان أعظم هدف رمت إليه إصلاح أحوال المجتمعات، والعمل على تكوين مجتمع مثالي متدين، يعبد فيه الله عز وجل حق عبادته، وتسود فيه الأخلاق وتحكمه الفضيلة، ويعمه النظام.

ومن أجل تحقيق الهدف المنشود، سعت وصايا القرآن الكريم من أجل إصلاح عقول النـــاس، فـــأمرتهم بتوحيد الله عز وجل، ونهتهم عن الشرك، وبهذا تكون قد نظمت العلاقة بين الناس وخالقهم.

ومن ثم عملت على إصلاح وتقوية العلاقات بين أفراد المجتمع، فبدأت بإصلاح العلاقة بـــين الأقـــربين، فأوصت بالإحسان إلى الوالدين، ونهت عن قتل الأولاد، وحفظت الحقوق المالية لأفراد العائلة.

فإذا أحكمت آصرة العائلة، واصلت وصايا القرآن الكريم العمل على ربط أواصر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، وذلك من أجل تقوية أواصرالأمة ، فدعت إلى ضرورة معرفة الحق والصبر، ومن ثم التواصـــي بهما، كما أوجبت التراحم والعدل بين أفراد المجتمع.

وبعد شد آصرة الأمة وإحكامها، نظمت وصايا القرآن الكريم المجتمع وذلك بنهيها عن الظلم والاعتداء وقرب الفواحش، وأمرها بالعدل والإحسان، وبتشريعها لوصية الميراث.

وبهذا تكون وصايا القرآن الكريم قد حققت أهدافا ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمعات، وذلك بإصلاح عقائدها، ثم تقوية العلاقات بين أفرادها بدءا من العائلة ثم الأمة، كما حققت هدف تنظيم المجتمع، وبانتظام المجتمع تنتظم الدول.

خـــــــــــــاتمة

تناول هذا البحث موضوع "وصايا القرآن الكريم مضامينها وأهدافها، وكان الهدف المنشود هو الخروج بتصور حول الموضوع، فجاء مقسما إلى جزءين رئيسين ؛الجزء الأول منه تناول مفاهيم أساسية ثم مضامين وصايا القرآن الكريم ،أما الجزء الثاني فكان خاصا بالأهداف التي ترمي إليها ،فكانت نتائجه كما يلي:

لوصايا القرآن الكريم أربعة مضامين:عقدي ،أخلاقي ،اجتماعي ،ومضمون العبادات .

– وقد شمل المضمون العقدي؛ التوصية بالحق، وبالصبر،وبالنهي عن الشرك، وبعلم غيب الله، وإقامة الدين،واتباع الصراط المستقيم .

فالعمل بهذه الوصايا يجعل الإنسان يعرف دينه،فيكمل نفسه ثم يكمل غيره، فيتغلب في نفسه باعث الدين الذي يمثل الحق على باعث الشهوة الذي يمثل الباطل، فيعترف لله بالألوهية والربوبية ،ويتيقن من معرفة أعظم صفة لله ،وهي علمه بالغيب ،فإن علم بذلك ،أقام دين الله تعالى ،واتبع صراطه المستقيم.

– المضمون الأخلاقي،وقد احتوى؛ وصية التقوى،والوفاء بالعهد، والعدل في القول، والنهي عن التكبر،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،والوفاء في الكيل والميزان.

وقد نظمت الوصية الأخلاقية العلاقة بين العبد وربه،وبين الإنسان والإنسان فدعت إلى أنبل الأخلاق ، فالإنسانية ما عرفت وصايا أخلاقية أكمل ولا أحسن من الوصايا القرآنية منذ وجودها ونشأتها .

فقد دعت إلى أخلاق وسطية وهي من نوعين ؛ أخلاق فردية ، وأخلاق اجتماعية .

وللوصية الأخلاقية علاقة وطيدة بالوصية العقدية ،فلا وجود للأخلاق في غياب مؤطرها ،أما الإخـــلال بها فينجم عنه الظلم وهو أهم أسباب الفرقة والاختلاف بين الناس، وتشيع الضلالة ،وتنتشر الفاحـــشة والفساد ويهلك العباد.

– المضمون الاجتماعي :وقد شمل ؛التوصية بالمرحمة،و الإحسان إلى الوالدين، والنهي عن قتل النفس بغير حق، و عن قتل الولد، و قربان الفواحش،و قربان مال اليتيم.وتشريع وصية الميراث.

فالوصية الاجتماعية اهتمت بأساس قيام المجتمعات ، فدعت إلى الركيزة الأساسية لبناء مجتمع متماسك وراق ،وهي التوصية بالمرحمة، كما اهتمت بتقوية الروابط العائلية ،فأمرت بوجوب الإحسان إلى الوالدين ، ولهذه الوصية ارتباط وثيق بالمضمون العقدي،وبالمضمون الأخلاقي ، فإيمان العبد لا يكتمل حتى يحسن إلى والديه ،أما الإساءة إليهما فتثمر فيه أخلاقا قبيحة ،كالجبروت والشقاوة ،وتؤدي إلى

تخريب وتدمير العلاقات الأسرية والعائلية،كمااهتمت الوصية باستمرار حياة البشرية،فنهت عن كل قتل بغير حق ، وحافظت على النوع البشري فنهت عن كل قربان للفواحش ،وأبعدت كل مجال للخصومات بتشريعها وصية الميراث ،كما راعت مسؤولية الأفراد وطريقة إنفاقهم بتضعيف حظ الذكر.

و لم همل الوصية حق الضعيف ، فنهت عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ،وحددت سن دفع ماله إليه.

- مضمون العبادات : أوصى الله عز وجل في كتابه العزيز بالصلاة ،فهي عماد الدين ،من أقامها أقام الدين ،ومن ضيعها كان لسواها أضيع ،وللعاملين بوصية الصلاة صفات فهم حافظون للأمانات صابرون على المصائب، شاكون على النعم، غير مانعين غيرهم منها.أما المخلين بهذه الوصية فهم خائنون للأمانات ،جازعون ،مانعون غيرهم من نعم الله التي أنعمها عليهم ،كما أوصى بالزكاة إلا أنها في بداية الإسلام كانت مطلقة غير محددة المقادير ولا مخصصة المصارف، فهي عبارة عن وصايا توجيهية موكولة إلى ضمائر الأفراد وإلى إيمانهم، وقد شابهت بذلك الزكاة في الشرائع السماوية السابقة.

-أهداف وصاياالقرآن الكريم:

جاءت وصايا القرآن الكريم هادفة إلى إصلاح أحوال الفرد، ومن أجل تحقيق ذلك دعت إلى توحيد الله تعالى والإيمان به وعبادته، فأمرت بالصلاة والزكاة وبالتواصي بالحق،وبحفظ الدين وإقامته ،ونهت عن الشرك.

ثم عملت على إصلاح أخلاقه فأمرت بالتحلي بمحاسن الأخلاق ،ونهت عن رذائلها، فجاءت أحكامها داعية إلى تقوى الله عز وجل، والإحسان إلى الوالدين، والأمر بالمعروف والوفاء بالعهود، وبالقصد في المشي، وبالغض من الصوت، ونهت عن المنكر والتكبر والعجب.

ومن أجل إصلاح اجتماعي للأفراد نهت عن قربان الفواحش، وقتل النفس بغير حق، ودعت إلى ضرورة التراحم بين الأفراد.

واهتمت وصايا القرآن الكريم بإصلاح النفوس وذلك بزرع الوازع الديني فيها والدعوة إلى معرفة الحق والتواصي به، وبتعليمها الصبر والثبات عليه.كما حافظت على الحقوق المالية للأفراد بتشريع عقود المعاملات التجارية، والنهي عن الغش فيها، والأمر بالوفاء في الكيل والميزان من أجل تحقيق مقصد رواج وتداول الأموال بين الأفراد، كما حققت مقصد توزيع الأموال بتشريعها وصية

الميراث، وحققت مقصد العدل بحفظ مال اليتيم.

وعملت وصايا القرآن الكريم على تكوين مجتمع مثالي متدين، يعبد فيه الله عز وجل حق عبادته، وتسوده الأخلاق وتحكمه الفضيلة، ويعمه النظام.

ومن أجل تحقيق الهدف المنشود، سعت إلى إصلاح عقول الناس، فأمرتهم بتوحيد الله عز وجل، ونهتهم عن الشرك.

ومن أهم الأهداف التي رمت إلى الوصول إليها لإصلاح حال الجماعة ،تقوية آصرة العائلة وذلك بإحكام هذه الآصرة، فعنت بأصل تكوين العائلة، وذلك بالنهي عن قربان الفواحش التي من شأنها أن تنشر المفاسد وتحطم الأسرة، وتؤدي إلى تضعيف آصرة العائلة، فإذا أحكمت هذه الآصرة، وهي آصرة النكاح، ونتج عن ذلك نسل، وهي بداية لآصرة القرابة، عملت على إحكام هذه الآصرة بوجوب التراحم بين أفرادها وبالأمر بالبر والإحسان إلى الوالدين، وبتقسيم التركة بين الأفراد.

كما عملت على تقوية آصرة الأمة، فهي تتقوى إذا التزم أفرادها بالوفاء بعهود بعضهم البعض، فتعامل الناس مبني على تبادل الثقة وعلى الوفاء بالعهود المنعقدة بينهم.

كما يتحقق مقصد تقوية آصرة الأمة بالعمل بوصية الزكاة ، فتتقوى روابط المحبة والمودة والألفة بين أفراد الأمة وتشد آصرهم.

وأصلحت وصايا القرآن الكريم أحوال الجماعة بإصابتها المقصد الأسمى وهو انتظام المجتمع واستقرار الدولة وسلامتها من الفوضى، وحققت ذلك عبر جملة من الوصايا المتمثلة في عباد الله سبحانه والنهي عن الشرك وعن قتل النفس بغير حق، وعن قرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبرعاية مال اليتيم، وبحفظ حقوق الورثة، وبتشريع وصية الزكاة.

بالعمل بهذه الوصايا يحفظ الفرد دينه وخلقه وعرضه وماله ، فتستقيم حياته الدنيوية ،ويفوز بالحياة السرمدية ،كما يصلح بها حال المجتمع ،فيستقيم فيه ميزان العدل ،وينتظم الناس على الجادة .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة :

السورة	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة		
" مالك يوم الدين"	04	{77}
" اهدنا الصراط المستقيم "	06	{89}
البقرة		
"ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين........"	1- 3	{100}
" يؤمنون بالغيب"	03	{72-71}
" أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم..."	21	{100}
" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل......."	30	{152}
"وإياي فاتقون"	41	{97}
" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة"	43	{172}
" واستعينوا بالصبر والصلاة"	45	{ 48}
" وملائكته ورسله وجبريل وميكال"	98	{150}
" أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم"	100	{103}
" يختص برحمته من يشاء"	105	{131}
" لا ينال عهدي الظالمين"	124	{102}
" ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه......"	130، 131	{69}
"ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب؛ يا بني إن الله اصطفى...."	132	{69-82-203}
"أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ....."	133	{70-203-204}
" قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين"	135	{69}
"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء....."	143	{117}

"فاذكروني أذكركم واشكروا ولا تكفرون"	152	{142}
"واستعينوا بالصبر"	153	{39}
" ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من..."	155	{49}
"أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة"	157	{167}
"فما أصبرهم على النار"	175	{38}
" والموفون بعهدهم إذا عاهدوا......"	177	{103-48}
"كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الوصية..."	180	-19-15} -28-23 20 {196
"فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه....."	181	{17}
"فمن خاف من موص جنفا أو إثما...."	182	{17}
" وكذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون"	187	{99}
"واتقواالله"	189	{97}
" حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله"	193	{88}
"ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله..."	205-204 - 207-206	{184}
والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين"	233	{137}
"والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزراجهم...."	240	{163}
" والكافرون هم الظالمون"	254	{110}
" فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى"	256	{67}
"وما تنفقوا من خير........."	272	{19}
" آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون....."	285	{73}

آل عمران

"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم....."	18	{108 -62}

"ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل.."	75	{15}
"...من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك...."	75	{15}
" بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين"	76	{106}
"وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة.."	81	{83}
"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف......"	104	{119}
"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ......"	110	-119-85} {187
" من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل...."	113 -114	{193}
" فاتقوا الله لعلكم تشكرون"	123	{142}
" بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا....."	125	{ 49}
" سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها..."	133 -134	{100}
" والله يحب الصابرين"	146	{48}
" فبما رحمة من الله لنت لهم"	159	-131} {132
" اصبروا وصابروا"	200	{48- 39}

النساء

"واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام...."	01	{22}
" وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم...."	06	{216-24}
"للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ...."	07	{19}
"إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون ......"	10	{157}

"يوصيكم الله في أولادكم الذكر مثل حظ الأنثيين .."	11	-17-11-8} -23-22 -161-159 -165-162 -208-196 {218-217
"من بعد وصية يوصي يها أو دين..........."	12	-23-17} -159-24 {165-163
" إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا"	103	{167}
" ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ....."	115	{84}
" إن الله لا يغفر أن يشرك به"	116	{56}
" ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا"	116	{55}
" ولله ما في السماوات و ما في الارض ولقد وصينا ...."	131	{181-96}
" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله...."	135	{108}
" والمقيمين الصلاة"	162	{168}
"إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده"	163	{80}

المائدة

"حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخترير وما أهل لغير الله به"	03	{68}
" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط..."	08	{108}
" أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض...."	32	-151} {194
" إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض..."	33	{151}
" إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة"	72	{56}
" لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود ...."	79-78	{119-85}

"فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون"	100	{97}
" يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم....."	105	{118}
"ياأيها الذين آمنواشهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت...."	106	{13- 12}
"فإن عثر على أنهما استحقا إثما....."	107	{14}
الأنعام		
" إن رحمة الله قريب من المحسنين"	54	{132}
"وعنده مفاتح الغيب، لا يعلمها إلا هو"	59	{72}
" سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا"	148	{56}
" قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ....."	150	{64}
" قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا.."	151	{ 8- 55- -91-63 -134 -146-145 -150-147 -157-151 - 178-158 -184 -179 -190-189 -205-194 -214-206 {215

- ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى...."	152	-102} -105-104 -106 -111-108 -123- 122 -156-155 -186-185 -197-195 - -212 -215 {218
" وأن هذا صراطي مستقيما فتابعوه ولا تتبعوا السبل..."	153	-91-89} {180-93
" قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما"	161	{91 -90}
قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين..."	163 -162	{63}

الأعراف

" وأن تشركوا بالله ما لم يترل به سلطانا"	33	{55}
" إن رحمة الله قريب من المحسنين"	56	{132}
"سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق"	146	{112}
" ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون....."	157-156	{172}
" وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم......"	172	{107}
" فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما......"	190	{56}
إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان......"	201	{100}

الأنفال

" واصبروا إن الله مع الصابرين"	46	{49}
التوبة		
" فاقتلوا المشركين"	05	{57}
"ورحمة للذين آمنوا منكم"	61	{127}
"والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف.."	71	{119}
" ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن...."	75 -76	{103}
" فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين...."	122	{86}
يونس		
"وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين"	105	{83}
هود		
" هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"	61	{215}
" إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة"	11	{51}
" ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة"	17	{132}
" يختص برحمته من يشاء"	28	{131}
" وآتاني رحمة من عنده"	43	{131}
"تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك"	49	{29}
" رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت"	73	{132}
" ولا تنقصوا المكيال والميزان......"	84	{122}
"وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم"	101	{66}
يوسف		
"فصبر جميل..."	18-83	{39}
"إن الحكم إلا لله، أمر ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم.."	40	{84}
" وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون"	106	{56}
" قل هذه سبيلي أدعو إلى الله، على بصيرة أنا ومن اتبعني..."	108	{84- 92}

"هدى ورحمة لقوم يؤمنون"	111	{127}
الرعد		
"عالم الغيب والشهادة"	09	{72}
" والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم"	22	{39}
" والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم...."	23-24	{49}
إبراهيم		
" ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات.."	5	{49}
"الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء....."	32-33	{152}
الحجر		
" واخفض جناحك للمؤمنين"	88	{132}
النحل		
" إنه لا يحب المستكبرين"	23	{112}
" وما بكم من نعمة فمن الله"	53	{142}
"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى...."	90	{22}
" وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم"	91	{102-103}
" ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"	96	{49}
" ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين "	96	{51}
" وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون"	100	{55}
" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة..."	118	{66}
" والذين هم به مشركون"	125	{84}
" ولئن صبرتم لهو خير للصابرين "	126	{49}
" واصبر وما صبرك إلا بالله"	127	{50}
الإسراء		
" اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا"	14	{76}

" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا..."	23	-130} {211
" واخفض لهما جناح الذل من الرحمة....."	24	-130} -136-132 {211
" ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم"	31	-145} {146
" ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا"	32	-148} -155 {205-190
" وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا"	34	187-102}
"وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ"	35	-186 {212-185
" ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر....."	36	-110} {210-184
" ولا تمش في الأرض مرحا، إنك لن تخرق الأرض...."	37	{116}
" ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر....."	70	{152}
" وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين"	82	{131}
"قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي"	100	{131}
الكهف		
" وأقرب رحما"	81	{127}
" فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا..."	110	{58-56}
" ولا يشرك بعبادة ربه أحدا"	110	{56}
مريم		
" ذكر رحمة ربك عبده زكريا"	02	{132}

" وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ..."	31	{81-142-169-172-175-180-195-213-218}
" واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد....."	54 – 55	{167-172}
" وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه....."	55	{169}

طه

"ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي"	115	{103}
" فإما يأتينكم مني هدى، فمن اتبع هداي......"	123	{91}

الأنبياء

" لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"	22	{178}
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا...."	47	{74}
"وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات.."	73	{169-172}
" وما أرسناك إلا رحمة للعالمين"	107	{131}

الحج

" ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير...."	31	{67}
"لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد"	40	{168}
" فلا ينازعنك في الأمر، وادع إلى ربك، إنك لعلى هدى مستقيم"	67	{84}

النور

" ولولا فضل الله عليكم ورحمته"	14	{131}
"وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم"	15	{75}

الشعراء

"إذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين...."	10،11	{98}
"تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين"	97-98	{58}
" كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون...."	106-105 -108-107	{98}

النمل

" أم كان من الغائبين"	20	{72}
" وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين"	75	{72}

القصص

"فقال رب إني لماأنزلت إلي من خير فقير..."	24	{19}
"قال الذين حق عليهم القول ..."	63	{31}

العنكبوت

"ووصينا الإنسان بوالديه حسنا"	08	-134} -141-140 -185 {206
" ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله ....."	10	{46}
" وإبراهيم إذقال لقومه اعبدواالله واتقوه ذلكم خير لكم...."	16	{98}
" إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا..."	17	{68}
" إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"	45	{181}

الروم

"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها "	21	-130} {211
"ذلك الدين القيم"	30	{77}

لقمان

" يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم"	13	64-55} {178-66
"ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله.."	14	-134} -136-135 -134 -138 {206
" وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ...."	15	-136} {141-140
" يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن......"	16	{71}
" يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على..."	17	-65-46} -167-119 {175
" ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا...."	18	-112} -116-114 {187
" واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر......"	19	-117} {187
" ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات ومافي الأرض.."	20	{152}
" يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما........"	33	{100}
السجدة		
" وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون"	24	{50}
الأحزاب		
" يا أيها النبي اتق الله"	01	{96}
" أو أرادبكم برحمة"	17	{131}

" إن الله وملائكته يصلون على النبي"	56	{167}
سبأ		
"اعملوا آل داوود شكرا"	13	{143}
" قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال....."	22-23	{59}
فاطر		
" ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها"	02	{132}
" هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض....."	03	{63}
" ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه.."	32	{67}
يس		
"ما ينظرون إلاصيحة واحدة تأخذهم...."	49	{18}
"فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون"	50	{18}
" ألم أعهد إليكم يا بني آدم"	60	{103}
الصافات		
" إنا لمدينون"	53	{77}
الزمر		
"والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"	03	{65-58 }
" إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"	10	{49}
" والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون"	33	{100}
" أو أرادني برحمة"	38	{131}
" قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا ....."	53	{132-66}
غافر		
"إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين"	60	{112}

فصلت

" وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة..."	6-7	{172}
" وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها...."	35	{49}

الشورى

"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما..."	13	{77-79-80-80- 82-83 181 -200-203}
" ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه"	13	{76-80-82- 198-200}
" وينشر رحمته"	28	{131}
" ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور..."	43	{49}

الزخرف

" أهم يقسمون رحمة ربك"	32	{131}
" ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة...."	63	{98}

الدخان

" وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين......."	38 -39	{110}

الأحقاف

" ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا، حملته أمه كرها....."	15	{134-135- 137-138- 139-206}
" أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ..."	16	{140}
" فاصبركما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم"	35	{48}

محمد

"وآتاهم تقواهم"	17	{96}

الفتح

" ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما" 10 {106}

" رحماء بينهم" 29 {209}

الذاريات

" إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون....." 23 {32}

"كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون" 52 {69-68}

"أتواصوا به بل هم قوم طاغون" 53 {68-9}

" فتول عنهم فما أنت بملوم" 54 {69}

النجم

" فأعرض عن من تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحياة الدنيا " 29 {52}

" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" 32 {148}

الحديد

" وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة". 27 {131}

المجادلة

" ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم..." 07 {75}

الممتحنة

"واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون" 11 {99}

" يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا" 12 {56}

الصف

" هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق...." 9 {83}

الطلاق

"وأشهدوا ذوي عدل منكم....." 02 {13}

التحريم		
" قوا أنفسكم وأهليكم نارا"	06	{96-45 }
المعارج		
" إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا...."	19 -23	{169}
"الذين هم على صلاتهم دائمون"	23	{168}
" والذين هم على صلاتهم يحافظون"	34	{168}
المدثر		
هو أهل التقوى وأهل المغفرة"	56	{96}
عبس		
" قتل الإنسان ما أكفره، من أي شيء خلقه...."	17 -22	{114}
الأعلى		
" قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى...."	14 -19	{80}
البلد		
" فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا"	11، 16	{43}
"وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة "	17	{30-38-43-127-189-202-208-211
الشمس		
"قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"	9 -10	{192}
الضحى		
" ألم يجدك يتيما فآوى"	06	{157}
" وأما بنعمة ربك فحدث"	11	{142}

التين		
" لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه..."	4 -6	{200}
البينة		
" وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء....."	5	{172}
الزلزلة		
"فمن يعمل مثقال ذرةخيرا يره"	07	{19-74}
"ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"	08	{19-74}
العاديات		
"وإنه لحب الخير لشديد"	08	{19}
العصر		
"وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"	03	{30-31-38- 43-45- 178 -179- 183-192- 200-202- 210}
الماعون		
" فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون"	4 -5	{168}

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار

أ

الصفحة

-"أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك" {160}
-"أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني....." {163}
-"الأنبياء أولاد علات " {79}
-"الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد" {78}
- أن تجعل لله ندا وهو خلقك" {145}
-"ألا أخبركم بأكبر الكبائر ،قالوا :بلى يا رسول الله......." {134}
-"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله......." {192}
-" أول ما يقضى فيه بين الناس في الدماء" {153}
-"إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ...." {117}
-"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...." {139}
- إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة......" {214}
-"إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل....." {67 }
-"إن الرجل ليعمل ،أو المرأة بطاعة الله ستين سنة،ثم يحضرهماالموت..." {17 }
-"إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لاوصية لوارث " {23}
-"إن الله تعالى أوحى إلي إن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد..." {116}
-" إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن...." {108}
-"إنكم قد وليتم أمرا أهلكت فيه الأمم السالفة ...." {124}
-" إنما يرحم الله من عباده الرحماء" {130}

ث

-"ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن ...." {139}
-"الثلث والثلث كثير..........." {196-21-16}

ح

-" الحلال بين و الحرام بين ،ومن رتع حول......" {97}

خ

- خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قال:" هذا سبيل الله..." { 180-92}

د

-"الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم ،لا فضل بينهما ....." {104}

ص

-"الصبر ضياء...." {54}

-"الصبر نصف الإيمان ..." {54}

-" الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟........................ " {168}

- صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا..." {99}

-"صم شهر الصبر،وهو شهر رمضان" {39}

ض

-"ضرب الله مثلا صراطا مستقيماوعن جنبتي الصراط سوران...." {93}

ع

-"عادني وسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع..." { 16 }

-"عهد إلي النبي الأمي " {102}

ف

-.فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام.................. {216}

ك

-"كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تتورم قدماه..." {143}

-"الكبر تسفيه الحق وغمط الخلق" {113}

-"الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحد منهما ...." {112}

-"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ..." {76-52}

ل

- لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان،...." {151}

-"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ...." {112}

م

-"ماحق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه......" {22 }
-"ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم..." {120}
- مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير..............." {167}
-"من أبر يا رسول الله ؟قال له :أمك ،قال :ثم من ؟...." {136}
-"من أقل ما أوتيتم ،اليقين وعزيمة الصبر " {52}
-"من حلف بغير الله فقد أشرك" {58-55}
-" من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه..." {153}
- من لا يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا......." {148}

ن

-"نعم الوصية حق على كل مسلم أن يوصي إذا حضره الموت..." { 15}

هـ

-" هذا من أهل النار" {153}

ي

-"يا رسول الله :أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ..." {161}

فهرس الأشعار

رَعَتْهُ الفيافي بعدما كان حِقْبَةً

رعاها وماءَ الـــمُزْن ينهل ساكبُه.........{89}

أكرم على الحروريين مهري   وأحملهم على وضح الصراط............{89}

قائمة المصـــــــــــــــــادر والمراجع

-القرآن الكريم

أ

1-ابن الأثير: الإمام المبارك بن محمد ،جامع الأصول في أحاديث الرسول ،المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز،مكة المكرمة.

2-الأطرش: محمود أحمد سعبد ،حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها على ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة وأفعال سلف الأمة ،دار الإيمان للطبع والنشر و التوزيع ،ط:2002.

3-الألباني :محمد ناصر الدين ،صحيح سنن أبي داود ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد،ط1 :1419 هــ1998م.

4- الألباني :محمد ناصر الدين ،صحيح سنن النسائي،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد،ط1 :1419 هــ1998م.

5-الألوسي:محمود شكري الألوسي البغدادي ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان(د ،ت ،ط).

6-ابن أنس:مالك، الموطأ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط:1406 هــ1995م .

ب

7-ابن باديس: عبد الحميد، مجالس التذكيرمن كلام العليم الخبير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة ،الجزائر ،ط1 :1402هــ 1982م.

8- البخاري :أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخاري الجعفي،صحيح البخاري،دارالكتب العلمية بيروت، لبنان(د،ت،ط).

9-البخاري :أبو الطيب القنوجي،فتح البيان في مقاصد القرآن،دار الكتب العلمية ،ط1 :1420هــ 1999م.

10-البرسوي :إسماعيل حقي،تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي ،بيروت (د،ت،ط).

11- البقاعي :برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدررفي تناسب الآيات والسور،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1-1415هــ،1995م.

12-بيوض:إبراهيم بن عمر ،في رحاب القرآن ،نشر جمعية التراث القرارة غرداية ،الجزائرط:1423هـ2002م.

ت

13-الترمذي :أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ،الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (د،ت،ط).

14-ابن تيمية: أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى،جمع وتحقيق المرحوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد.

ج

15-الجزائري: أبو بكر جابر الجزائري،عقيدة المؤمن ، دار الشهاب، باتنة، ط1.

16-الجزائري: أبو بكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،مكتبة العلوم والحكم،ط2-1416هـ،1996م.

17-الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح ،تاج اللغة وصحاح اللغة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

ح

18-ابن حنبل :أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل ،تحقيق شعيب الأرنؤوط،محمدنعيم العرقسوسي ،إبراهيم الزيبق،ط1 :1416 هـ1996م،مؤسسة الرسالة.

19-حوى:سعيد حوى ،الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:5 ،1419هـ1999م،

20-أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف ،تفسير البحر المحيط،دار الكتب العلمية ،ط1-1419-1993.

21-حسين:أحمد، مجلة منبر الإسلام، ع:7، رجب 1388هـ، سبتمبر 1978م.

خ

22-الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي،حاشية الشهاب المسماة عناية الراضي على تفسير البيضاوي،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1-1417هـ-1997م.

23-الخوارزمي: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التأويل و عيون الأقاويل في وجوه اتأويل، دار الفكر للطباعة و النشر.

د

24-الدارمي :عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي السمرقندي ،سنن الدارمي،دار الفكر بيروت ،لبنان(د،ت،ط).

25-أبوداود:سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود،دراسة وفهرسة :كمال يوسف الحوت ،دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ،مؤسسة الكتب الثقافية،ط1: 1409ه-1988م.

26-دو كوري : عثمان ،التدابير الواقعية من القتل في الإسلام،دار الوطن للنشر ،ط1 :1420 هـ 1999م.

ر

27-الرازي:فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، التفسبر الكبير أو مفاتيح الغيب،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 :1411هـ 1990م.

- الرازي:فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، التفسبر الكبير أو مفاتيح الغيب،ط :دار إحياء التراث العربي، ط3.

28-الراغب الأصفهاني :الحسين بن محمد بن المفضل ،مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي،دار القلم دمشق،الدار الشامية بيروت ،ط3 -1423ه-2002م.

29-الراوي :محمد ،كلمة الحق في القرآن الكريم موردها ودلالتها ،مكتبة العبيكان ،ط:1415هـ 1995م.

30-رضا:محمد رشيد،تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 :1420ه 1999م.

31-الرافعي: مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1: 1421هـ، 2000م.

ز

32-الزبيدي:محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس،دار صادر ،بيروت ،لبنان (د، ت ،ط).

33- الزحيلي :وهبة ،التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر بيروت ،لبنان ،ط:1411هـ 1991م.
34- زكية محمد خالد أحمد، التشابك القصصي في سورة الكهف، دراسة في الموضوع والبناء.

س

35-أبو السعود:محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ،تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ،ط1: 1419هـ 1999م.
36- السمرقندي:أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ،تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض،الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ،ط1: 1413هـ 1993م.
37-ابن سيده:أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ،ط1421هـ 2000م.

ش

38-الشاطبي :أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي ،المكتبة العصرية صيدا ،بيروت ،ط:1425هـ2004م.
39- الشافعي:أبو عبد الله محمد بن إدريس، أحكام القرآن للشافعي، جمعه:أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري صاحب السنن الكبرى، دار الكتب العلمية بيروت،لبنان ،ط1400هـ 1980م.
40- الشرباصي:أحمد-موسوعة أخلاق القرآن –دار الرائد العربي –ط2: 1407ه 1987م.

ط

41- طاحون:أحمد بن محمد،أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم، مكتبة التراث الإسلامي،ط1 ،1411هـ 1990م-ط1414،2هـ1993م.
42- الطبرسي:أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل، مجمع البيان في تفسير القرآن ،دارالكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1: 1418هـ 1997م.
43-الطبري:أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الكبير ،تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ،ط2 :1406هـ ،1985م.

44- طنطاوي :محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط:1406ه1986م.

ع

45-العالم : يوسف حامد ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار الحديث بالقاهرة، الدار التونسية بالخرطوم.

46-ابن عاشور :محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير،الدار التونسية للنشرتونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (د ،ت ،ط).

- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والطباعة .

47-ابن عاشور: محمد الطاهر ، مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

48- ابن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله ،أحكام القرآن،تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

49-ابن عطية: أبو محمد عبد الحق الأندلسي ،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ،ط1: 1412هـ 1991م.

غ

50 -الغزالي: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد ،إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1421هـ، 2001م.

- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين،دار المعرفة ،بيروت،لبنان،(د،ت،ط).

ف

51-ابن فارس:أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ،معجم مقاييس اللغة ،تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل، بيروت ،لبنان،ط1 ،1411ه 1991م

52- ابن فارس:أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا مجمل اللغة،دراسة وتحقيق:زهير عبد المحسن سلطان،مؤسسة الرسالة ،ط2 :هـ1406 -1997م

53-الفقيهي: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ،الوصايا في الكتاب والسنة ،دار الإمام أحمد،ط:1 ،1426 هـ 2005م ، المجموعة الثانية.

54-الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي –القاموس المحيط –دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان(د ،ت ،ط)

55-الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي –بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز-المكتبة العلمية –بيروت (د،ت،ط).

ق

56- القرضاوي:يوسف،الصبر في القرآن ،مكتبة الشركة الجزائرية ،ط1408هـ 1987م.

57-القرضاوي:يوسف، فقه الزكاة، ط: 20، 1408هـ، 1988م،

58- القرطبي:أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ،الجامع لأحكام القرآن ،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط1405 هـ1985 م

59- القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري الشافعي، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان ،ط1: 1420هـ 2000م.

60- قطب :سيد-في ظلال القرآن ،دار الشروق ،ط15 ،1408هـ 1988م.

-قطب :سيد ،في ظلال القرآن، ط: 1، ،1972،الطبعة الشرعية26، هـ1418 ،1997م.

61-ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ،الضوء المنير على التفسير ،جمع علي الحمد الحمد الصالحي،الناشر مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام.(د، ت ،ط).

62-ابن قيم الجوزية:شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الجيل بيروت ،ط:1413 ه1991م.

63-ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية،بدائع الفوائد، مكتبة المؤيد، الرياض،ط1: 1415هـ، 1994م.

64-ابن قيم الجوزية : شمس الدين بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، الفوائد، ،مكتبة النهضة الجزائرية.

ك

65-كامل: عبد العزيز مصطفى، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي،دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1-1415 هـ1995م.

66-ابن كثير:عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ،تفسيرالقرآن العظيم ،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2 :1400هـ 1980م.
- ابن كثير:عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ،تفسيرالقرآن العظيم ،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،ط :6، 1406 ،1984
67-الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،مؤسسة الرسالة ،ط2-1413هـ-1993م.

م

68-ابن ماجه :الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي –دار إحياء التراث العربي (د،ت،ط).
69-الماوردي :أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ،النكت والعيون تفسبر الماوردي –تعليق :السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم،دار الكتب العلمية ،(د،ت،ط).
70- المراغي:أحمد مصطفى، تفسير المراغي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
71-مسلم:أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،صحيح مسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ،توزيع دار الكتب العلمية بيروت لبنان (د ،ت ،ط).
72-ابن منظور :أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري،لسان العرب،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان(د ،ت ،ط) .
- ابن منظور :أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري،لسان العرب،دار صادر بيروت.
73-ابن منظور:أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري،لسان العرب المحيط،دار لسان العرب، بيروت،(د،ت،ط).
74-الميلي: مبارك بن محمد ،رسالة الشرك ومظاهره ،دار البعث للطباعة والنشر،ط3-1403هـ،1982م

ن

75-بن ناصر: عبد العزيزجليل، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ، دار طيبة، السعودية، ط2: 1419هـ، 1998م
76-النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ،الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان ،ط1: 1415ه 1994م.
77- النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1416هـ، 1996م
78-النسائي:أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي،تفسير النسائي،مؤسسة الكتب الثقافية ،ط1: 1410هـ1990م.
79-النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ،حققه ورقمه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة بيروت ،لبنان، ط1 :1411 هـ 1999 م.

هـ

80-الهيثمي: -نور الدين علي بن أبي بكر ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،ط:1408هـ1988م

و

81- وجدي: محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين ،دار المعرفة ،لبنان ، م 10 ،ص 7

فهرس الموضوعات

مقدمـــــــــــــــة..1

الفصل الأول :مفاهيم أساسية..........................07

المبحث الأول :مفهوم الوصية وشروطها 08

المطلب الأول :مفهوم الوصية..08

المطلب الثاني :شروط الوصية...12

المبحث الثاني :قيمة الوصية وتأصيلها.......................................18

المطلب الأول :قيمة الوصية...18

المطلب الثاني:تأصيل الوصية..18

الفصل الثاني: مضامين الوصية...................29

المبحث الأول: المضمون العقدي...30

المطلب الأول: التواصي بالحق..31

المطلب الثاني: التواصي بالصبر.......................................38

المطلب الثالث التوصية بالنهي عن الشرك.........................55

المطلب الرابع: التوصية بعلم غيب الله تعالى........................71

المطلب الخامس التوصية بإقامة الدين.................................77

المطلب السادس: التوصية باتباع الصراط المستقيم....................89

المبحث الثاني: المضمون الأخلاقي...95

المطلب الأول: التوصية بالتقوى...96

المطلب الثاني: التوصية بالوفاء بالعهد..................................102

المطلب الثالث: التوصية بالعدل في القول.........................108
المطلب الرابع: التوصية بالنهي عن التكبر.........................112
المطلب الخامس: التوصية بالاعتدال في المشي وفي الكلام...............117
المطلب السادس: التوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...............119
المطلب السابع: الوصية بالوفاء في الكيل والميزان.........................122
المبحث الثالث: المضمون الاجتماعي.........................126
المطلب الأول: التواصي بالمرحمة.........................127
المطلب الثاني: التوصية بالإحسان إلى الوالدين.........................134
المطلب الثالث : التوصية بالنهي عن قتل الولد.........................145
المطلب الرابع : التوصية بالنهي عن قربان الفواحش.........................147
المطلب الخامس: التوصية بالنهي عن قتل النفس 150
المطلب السادس: التوصية بالنهي عن قربان مال اليتيم.........................155
المطلب السابع: وصية الميراث.........................159
المبحث الرابع: مضمون العبادات.........................167
المطلب الأول: التوصية بإقامة الصلاة.........................167
المطلب الثاني: التوصية بإيتاء الزكاة.........................172
الفصل الثالث:أهداف وصايا القرآن الكريم.........................176
المبحث الأول :أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال الفرد.........................177
المطلب الأول :إصلاح العقائد.........................178
المطلب الثاني :إصلاح الأخلاق.........................183
المطلب الثالث:إصلاح اجتماعي ونفسي.........................189
المطلب الرابع :حفظ الحقوق المالية.........................195

المبحث الثاني :أهداف ترمي إلى إصلاح أحوال المجتمع...........199
المطلب الأول :إصلاح العقائد...200
المطلب الثاني :تقوية آصرة العائلة 205
المطلب الثالث:تقوية آصرة الأمة... 210
المطلب الرابع :انتظام المجتمع والدولة..............................214
خاتـــــــــــــــمة...221
فهرس الآيات القرآنية الكريمة..224
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار................................241
فهرس الأشعار..244
قائمة المصـــــــادر والمراجع...245
فهرس الموضوعات...253

ملخصات